

الناس والسحر



الناس والسحر

بحث فى علم الاجتماع الغيبى

دكتورة

سامية حسن الساعاتى

الناشر

الدار المصرية السعودية

للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة

اسم الكتاب: الناس والسحر

اسم المؤلف: د. سامية حسن الساعاتي

سنة النشر: 2006م

رقم الإيداع: 2629 / 2006م

الترقيم الدولي: 4 - 88 - 6122 - 977

الناشر

الدار المصرية السمودية

للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة

E - Mail: egysaudi@link.net

حقوق الطبعة والتوزيع محفوظة

الإدارة: 16 عمارات العبور شارع صلاح سالم
الدور الثالث - مدينة نصر - القاهرة

تليفاكس: 02 / 2621365

محمول: 0123140315 - 0123171722 - 0123171744



الإهداء



إلى أمي الحبيبة ..

نبيح الحب والفهم والعطاء

أهدي كتابي هذا تقديراً

وعرفانا وبعضاً من وفاء ..

سامية حسن الساعاتي



تقديم

بعد مرور سنوات على نشر كتابي هذا بعنوان السحر والمجتمع دراسة نظرية وبحث ميداني، يطيب لي أن ينشر من جديد بعنوان: « الناس والسحر: بحث في علم الاجتماع الغيبي ».

والحقيقة أنني أشعر الآن بسعادة غامرة، وأنا أكتب هذا التقديم لهذا الكتاب. وقد أجريت عليه تعديلات تتمثل في إضافة أجزاء جديدة في الفصل الرابع تخص موضوع الإسلام والسحر وأيضاً إضافة أجزاء أخرى جديدة في الفصل الخامس تخص دور ظاهرة السحر في المجتمع المصري. هذا إلى جانب دراسة تتبعية قمت بها من سنة 97 - 2002 عن السحر والسحرة في الريف والحضر.

وكم شعرت بالرضا، وأنا أراجع الكتاب للطبع عندما وجدت أنني قد وفيت موضوع الناس والسحر حقه، ذلك أن ظاهرة السحر إلى جانب ظاهرات غيبية أخرى أصبحت محورا لعلم حديث، كثر فيه البحث، في المجتمعات الشرقية، والغربية، وهذه البحوث كلها يتضمنها الميدان الجديد الذي أطلق عليه ما وراء علم النفس meta -Psychology .

ونحن كباحثي علم الاجتماع ليس علينا أن نحكم على الظواهر، ونقيمها، وإنما علينا تقرير الحقائق المتعلقة بها، وتحليلها، وتفسيرها. لذلك فإن أي مؤلف علمي يبدأ بالحكم عليها بأنها من قبيل الدجل أو الأساطير يصبح غير علمي، لأنه وقع في خطأ إصدار حكم مسبق على هذه الظواهر، بل أن يكون قد وقع في خطر تصديق بعض الآراء الشائعة التي سادت حقبة طويلة، تسفه ما يعتقد الناس في الظواهر الغيبية.

والواقع أن ميدان الناس والسحر يشهد المزيد من الممارسين المحترفين

المختصين، والمترددین عليهم، وذلك كما تدلنا الإحصاءات المعاصرة من واقع بعض الدراسات، وكما تنبئنا وسائل الأعلام المختلفة من مقروءة، ومسموعة، ومرئية، ففي كل يوم تطالعنا الصحف بحوادث وحكايات مختلفة تخص المشتغلين بالسحر، والمترددین عليهم.

وقد يظن البعض أن هذا الميدان ينحسر شيئاً فشيئاً، وأن العاملين، يضيق بهم الخناق بمرور الوقت، بحكم منطق التغيير والتنمية، وزيادة الوعي، لكن الأمر في حقيقته خلاف ذلك.

فهناك محترفون جدد يعززون الميدان باستمرار، ويحرصون على تطوير أساليبهم الوقائية مثل "التحويطة وغيرها". وأساليبهم العلاجية مثل الرقوة، والأعمال المختلفة بما يحقق مزيداً من الاقبال عليهم، والطلب على خدماتهم، وهكذا يبقى الميدان مزدهراً.

ومن خلال دراسة تتبعية قمت بها خلال سنة 1997 حتى سنة 2002 عن السحر والسحرة في الريف والحضر، وجدت أن بعض السحرة قد أدخل شيئاً جديداً على أسلوبه، ومنهجه في السحر، فهو كثيراً ما يجمع بين السحر والعلاج الطبى الحديث، فى آن واحد، فهناك طفل ذهب به أهله إلى الشيخ المشتغل بالسحر، فكتب له "حفظ". وقرر له دواء طبياً حديثاً، وآخر كان يعاني من آلام معوية مزمنة، فكتب له المشتغل بالسحر حجاباً، وقرر له برنامجاً غذائياً دقيقاً. وهناك ساحر آخر كان يكشف على مرضاه بالسماعة، ويسمى نفسه "بالدكتور"، مثل الدكتور "شيحة" فى قرية فى محافظة الغربية.

أما من حيث الأجر على سبيل المثال، فتدل الشواهد الواقعية، على أن تقاضى المشتغلين بالسحر لأجورهم، قد شهد فى السنوات القليلة الأخيرة الماضية، تغيراً من حيث الكم، والنوع فقد تضاعف هذا الأجر عدة مرات، لأنهم

على وعسى بأن خدماتهم مطلوبة سواء للوقاية أو العلاج، لذلك فهم يرفعون أجورهم لاسيما وأن الأسعار فى زيادة مستمرة.

وأما من حيث النوع، فإن الأجر أصبح غالبا يقتصر على النفود، ولم تعد المواد العينية تستخدم لهذا الغرض إلا نادرا. ولا يخفى أن ما كشف عنه البحث الميدانى، مازال سائدا هذه الأيام، كما أكدته دراستنا التتبعية للناس والسحر، وحيث وجدت أن كثيرا من الممارسات الشعبية تستمد قوتها من ربطها بالدين على نحو أو آخر. ويبدو هذا الارتباط بشكل واضح فى العلاج الدينى - السحرى، حيث تستخدم أسماء الله الحسنى، وآيات من القرآن الكريم.

ويحدونى عظيم الأمل، فى أن يسهم كتابى هذا، عن الناس والسحر، دراسة وبحثا، فى إثراء المكتبة العربية، وبخاصة فى ميدان علم الاجتماع الغيبى، وفى تقديم نموذج متفرد، ومفيد، لطلاب البحث، وراغبى الاستزادة من محبى العلم والمعرفة.

والله من وراء القصد

سامية حسن الساعاتى

مصر الجديدة : فى 4 يناير 2006



استهلال

دوافع ثلاثة تلك التي دفعتني إلى دراسة ظاهرة السحر دراسة نظرية عامة، تتضمن في ثناياها حقائق متعلّقة بواقعها في المجتمع المصري، ثم بحثها بحثاً ميدانياً في إطارها الواقعي المصري.

أما الدافع الأول، فإعلامي عام، ذلك لأنني لاحظت انتشار هذه الظاهرة حتى بين المتعلمين في مصر، بل إن كبرى الصحف والمجلات المصرية، أصبحت تفرد لهذه الظاهرة أماكن بارزة فيها. وهناك صحيفة يومية درجت لمدة طويلة على نشر إعلان لعرافة تطلق على نفسها الحاجة .. الروحانية. وذلك بشكل منتظم في مكان بارز من إحدى صفحاتها.

وحدث على سبيل المثال أن نشرت بعض الصحف والمجلات المصرية. ومنها مجلة صباح الخير في عددها رقم 983 / 7 نوفمبر 1974. "في المباراة التي أقيمت يوم الجمعة 25 أكتوبر بين فريق المحلة، وفريق تانزانيا، ظل فريق المحلة مهاجماً طوال الوقت لكن دون جدوى، ورغم أنه شدد هجماته، لكن جميع الفرص ضاعت منه. وبدأ الجمهور يشعر بأن هناك شيئاً غير عادي. وبالفعل لاحظوا وجود بعض التمايم والأحجية وضعها حارس المرمى خلفه، وعلى الفور تقدم أحد المتفرجين، واختطف الأحجية، وحدثت مطاردة، ثم استأنف اللعب، وجاء الهدف الأكبر بين تكبيرات المتفرجين".

وبينما كنت أتجول في منطقتي السيدة زينب، والحسين، بمناسبة الاحتفال بمولد كل منهما لاحظت انتشار كتب متنوعة في السحر مثل: شمس المعارف الكبرى للبونى، ومجربات الديربي الكبير، والسحر الرباني في علوم الروحاني،

وتسخير الشياطين في وصال العاشقين، والسحر العجيب في جلب الحبيب. فأخذت أفكر في هذه الظاهرة، وأدركت أن في انتشار عرض هذه الكتب ما يدل على أن هناك طلبا كبيرا عليها. ومن هنا عازمت على بحثها.

والدافع الثاني، تاريخي ثقافي، فدراسة ظاهرة السحر في المجتمع المصري، تلقى الضوء على سمات أخرى من سمات مجتمعنا المصري، وتعد من مكونات الشخصية المصرية.

وأول هذه السمات هي سمة الاستمرار، بمعنى أن هناك بعض العناصر الثقافية القديمة يستمر بقاؤها في المجتمع المصري حتى الآن، ومن هذه العناصر ظاهرة السحر في المجتمع المصري المعاصر، فجزورها ضاربة إلى عهد المصريين القدماء، وهي موجودة في كثير من تفصيلاتها كما كانت تماما في مصر القديمة (على سبيل المثال العروسة الورقية التي تنقب بالإبرة لائقاء شر العين والحسد، والرقى المتعددة الأغراض ... إلخ).

ويرجع ذلك في - في اعتقادي - أساساً إلى إن عناصر النشأة الطبيعية التي أوجدت ظاهرة السحر في مصر القديمة، مازال الكثير منها موجودا وقائماً في المجتمع الحديث والمعاصر وأهم تلك العناصر في رأيي عنصرا الخوف، والعجز.

هذا بالإضافة إلى أن أغلب المعتقدات السحرية في المجتمع المصري ميراث مشترك يؤمن به أفراد المجتمع على اختلاف فئاتهم، وبيئاتهم، بل أيضا على اختلاف دياناتهم رغم تعارض معظم المعتقدات السحرية - التي سنتعرض لها بالدراسة والبحث - تستمد جذورها من مصادر أقدم من الدين (سواء اليهودية أم النصرانية أم الإسلام)، كما أنها تعبر عن عنصر أقدم، في الشخصية القومية للشعب المصري، ومن هنا لا يستشعر المصري المنتمي إلى أحد الأديان، أدنى غضاظة في ممارسة أحد معتقدات مصري آخر ينتمي لدين مغاير.

أما الدافع الثالث، فعالمى ثقافى، وهو أن ظاهرة السحر ظاهرة عالمية، وشكل شائع من أشكال الفكر بين الناس، ويمكن أن ينشأ آليا وبشكل مستقل عن أفكار أخرى مشابهة فى بيئات ثقافية أخرى، وذلك بسبب الوحدة النفسية بين البشر. ويعبر باستيان Bastian عن عالمية الظاهرة بمفهوم الفكرة الأساسية Elementargedanke، فى سنة 1860 كما عبر "جريم" W. Grimm عن الفكرة نفسها قبل ذلك بأربع سنوات حين كتب يقول: "هناك بعض الظروف التى تبلغ حدا من البساطة والطبيعية يجعلها تتكرر فى كل مكان، كما أن هناك أفكارا تنبثق من تلقاء نفسها".

فظاهرة السحر من الظواهر التى يمكن أن نطلق عليها اسم "النظائر الثقافية" Cultural Parallels وهى ظواهر ثقافية متشابهة توجد فى مختلف أجزاء العالم، فكل الشعوب تعرف الحجاب، والطلسم، والنذور، وطقوس الأعمال السحرية المختلفة كالصمت والصوم، وخلو المعدة من الطعام .. إلخ.

ويؤكد ما ذهبنا إليه ما جاء فى جريدة الأهرام بتاريخ 9/ 6/ 1981 فى باب بعنوان مواقف "لقد زاد عدد الأمريكان الذين يحملون "الأحجية" فى جيوبهم أو التعاويذ. وهذه الزيادة ليست مقصورة على سكان المدن أو المتعلمين أو رجال الأعمال .. وإنما 99 ٪ من رواد الفضاء يفعلون ذلك".

"وفى آخر إحصاء أن عدد الرجال الذين يحملون التعاويذ يقترب من عدد النساء. وقد سئل أحد علماء النفس عن تفسير لذلك فأجاب: "التفسير العلمى لا يهم وإنما الذى يهم هو شعور الإنسان بأن هذا يعطيه إحساسا بالأمان".

وجدير بالذكر أن ظاهرة السحر إلى جانب ظواهر غيبية أخرى أصبحت محور علم حديث كثر فيه البحث ليس فى المجتمعات الغربية المتقدمة فحسب، بل أيضا فى مجتمعات الكتلة الشرقية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى "سابقاً" وهذه

البحوث كلها يتضمنها الميدان الجديد الذى أطلق عليه ما وراء النفس - meta Psychology، ومن أبرز البحوث فى هذا الميدان تلك البحوث المتعددة فى ذلك المجال المعروف باسم Extra Sensory Perception.

ونحن باحثى علم الاجتماع ليس علينا أن نحكم على الظواهر أو نقيمها وإنما علينا تقرير الحقائق المتعلقة بها، وتحليلها وتفسيرها، لذلك فإن أى مؤلف علمى عن هذه الظواهر الغيبية يبدأ بالحكم عليها بأنها من قبيل الدجل، أو الأساطير، يصبح غير علمى، لأنه وقع فى خطأ إصدار حكم مسبق على هذه الظواهر، بل إنه يكون قد وقع فى خطر تصديق بعض الآراء الشائعة التى سادت حقبة طويلة، تسفه ما يعتقد الناس فى الظواهر الغيبية.

والقسم الأول من كتابنا الناس والسحر يتميز بأنه دراسة تاريخية ثقافية اجتماعية تشمل خمسة فصول يتناول الأول منها لمحة تاريخية عن ظاهرة السحر فعرض فيها بإفاضة للسحر عند قدماء المصريين لإبراز أوجه الشبه بين المعتقدات السحرية فى مصر القديمة، وبين المعتقدات السحرية الحالية فى مصر.

ويوضح الفصل الثانى أهم المفاهيم الأساسية والمرتبطة بالسحر، أما الفصل الثالث فيعرض عرضاً تحليلياً نقدياً أهم تصنيفات السحر، التى اجتهدنا فى تبويبها، وعرضها بالشكل التى هى عليه، وفى الفصل الرابع تفصيل للصلة ما بين السحر والدين، وأوجه الشبه بينهما، وأوجه الاختلاف - وموقف الأديان (اليهودية والنصرانية، والإسلام) من السحر - أما الفصل الخامس فنتناول فيه السحر كظاهرة اجتماعية، وفيه نحلل ظاهرة السحر من وجهة نظر العلوم الاجتماعية، ونبين الصلة بينها وبين العادات الاجتماعية والتنشئة الاجتماعية، ثم نفصل الوظيفة الاجتماعية لظاهرة السحر، وأخيراً نختتم هذا الفصل الهام بدراسة تحليلية تتبعية للسحر فى سوسيولوجيا المجتمع المصرى الحديث، وتحليل لدور ظاهرة السحر فى المجتمع المصرى.

وتعد الدراسة النظرية لظاهرة السحر، خاصة في الفصل الأخير منها، والخاص بالسحر كظاهرة اجتماعية مدخلا تأصيليا للبحث الميداني الذي يمثل القسم الثاني والفصل السادس من هذا الكتاب والذي اخترنا عنوانه: ظاهرة السحر في مدينة القاهرة. ويشتمل على عمل ميداني، ومسح سحري للمدينة، يعطينا صورة حية لما وصلت إليه هذه الظاهرة في الربع الأخير من القرن العشرين، وفي عاصمة هذا المجتمع بالذات، وهي مدينة القاهرة.

وينقسم البحث الميداني إلى شقين أساسيين: الأول وهو يمثل الفصل السابع خاص بالمشتغلين بالسحر في مدينة القاهرة، ومناطق توزعهم فيها، وتوزيعهم وفق أعمارهم، ونوعهم، وديانتهم، ومستوى تعليمهم، وحالتهم الاجتماعية .. إلخ. أما الشق الثاني من البحث وهو يمثل الفصل الثامن فيختص بالمتريدين على المشتغلين السحر في القاهرة، وتوزيعهم فيها، حسب القسم الإداري، وفئات السن، والنوع، ومستوى التعليم، والحالة الاجتماعية، ودوافع التردد، وعدد مراته، ومدى شعور المتردد بالفائدة من ترده. ويأتي الفصل التاسع ليعطي النتائج النهائية للبحث.

وفي معالجتنا لظاهرة السحر والمجتمع المصري، لا نتناول الحقائق الخاصة بآثاره، ولا تلك المقولات التي تتداول بين الناس بخصوص فاعليته، لأن هذه مسائل لا دخل لعلم الاجتماع فيها، وإنما ينحصر اهتمامي كباحثة، في ظاهرة السحر نفسها في المجتمع المصري من حيث:

(أ) وجودها.

(ب) مدى انتشارها.

(ج) والمحيط الذي تنتشر فيه.

وذلك بقصد التوصل إلى فروض وتعميمات بخصوص ظاهرة السحر في المجتمع القاهري، وفي مدينة القاهرة باعتبارها أكبر مدينة مصرية، وأوسعها

عمرانا، وأوفرها سكانا، وأنماها حضارة وثقافة، تسهم مستقبلا في إثراء نظرية عامة عن ظاهرة السحر في المجتمع المصري.

والجديد في تناولنا لهذا الموضوع، هو المعالجة الاجتماعية الثقافية لظاهرة السحر، وهو اجتهاد مستحدث في المكتبة العربية يختلف عن الاجتهادات التقليدية الأخرى، سواء التاريخي منها، أو الديني، أو الأنثروبولوجي، وإن لم يغفل أيا من هذا الأبعاد.

كما أن الجهد المخلص المبذول في العمل الميداني لبحث ظاهرة السحر في مدينة عاصمية وهي القاهرة، لهو الآخر جهد متميز في طبيعته، وفي تعرضه لعاصمة حضرية لدراسة ظاهرة السحر فيها، والشائع حتى الآن في ظن معظم المفكرين والباحثين على السواء. أن السحر قاصر على قرى الريف المصري فقط، والجديد أيضا هو تناولنا لكل من المشتغلين بالسحر، والمترددون عليهم معا، وكل فئة منها تتطلب وحدها، في دراستها، بحثا مضنيا، ومن الأفكار المبتكرة في هذا البحث ما توصلنا إليه من رسم " خريطة سحرية " يتمثل عليها المشتغلون بالسحر بحسب توزعهم في الأقسام الإدارية المختلفة.

وأرجو أن أكون بكتابي هذا بقسميه النظري، والميداني، قد أسهمت بجديد من أجل فهم ثقافتنا المصرية، تلك الثقافة الغنية بظواهر تتطلب الدراسة والتحليل، والتفسير، والفهم، وأن أكون قد وجهت بعض الأنظار لتتجه إلى الداخل في أبحاثها، من أجل علم اجتماع مصري معاصر، كما أرجو أن يكون الكتاب قد أثار بعض التساؤلات، والاهتمامات التي تدفع باحثين آخرين ربما من تخصصات مقاربة، كالأنثروبولوجيا، وعلم النفس، وعلم النفس الاجتماعي إلى تناول ظاهرة السحر من أبعاد أخرى تزيد الموضوع ثراء.

1

الناس والسحر

الدراسة النظرية

الفصل الأول

ظاهرة السحر ..

لمحة تاريخية

تمهيد

من الأمور الغامضة المحيرة التي تستعصى على الفهم ، تلك المسائل والموضوعات التي أطلق عليها فى مجموعها علوم ما وراء الطبيعة (metaphysics) ومنها ظاهرة السحر، أو علم السحر، أو فن السحر، كما يحلو لبعض الباحثين والعلماء أن يسموه. والمعروف أن السحر كان منذ العصور الموعلة فى القدم أداة يعتقد الناس أنها تعينهم فى حل مشكلاتهم التي يربطونها بعالم الغيب الذى يتحايلون على جلاء غموضه، ورفع بعض أستاره بشتى الوسائل التي تدخل فى هذه الظاهرة.

وسنتناول فى هذا الفصل ظاهرة السحر من منظور تاريخى، فنستعرض منشأ وجود السحر ونعنى بإيراد لمحات تاريخية عن السحر عند الفرس، ثم الكنعانيين، والكلدانيين، ثم البدائيين، ثم نعرض بإفاضة للسحر عند قدماء المصريين، لإبراز التشابهات وأوجه الصلة بين المعتقدات السحرية فى مصر القديمة، والمعتقدات السحرية الحالية فى مصر.

ولما كان السحر من أول الأمور التي اهتم بها الإنسان واعتقد فى وجودها وحقيقتها. فقد نقش معتقداته وطقوسه وتعاليمه ومعرفته على هذه الصخور أو صنع لها التماثيل. ولما ارتقى به أمر القراءة والكتابة عمد إلى الكتابة فيه، وترك مخلفات كثيرة بين مخطوط ومكتوب ومنقوش تدلنا جميعها على مبلغ اهتمامه بالسحر ومازال الأمر على هذا المنوال حتى يومنا هذا.

وفى الحقيقة فإن الإنسان منذ أول عهده بالحياة كان يعيش فى رعب دائم تارة من الوحوش الكاسرة، وطورا من الزواحف الهائلة، وتارة أخرى من الظواهر الطبيعية التي كانت تبعث الفرع فى كيانه لجهله بأسبابها وعوامل تلافيها

مثل البرق والرعد التي كان الإنسان ينسبها إلى مخلوقات أخرى عاتية لا يراها ويجهل أمرها تماما.

ولم يقتصر خوف الإنسان على نفسه من هذه العوامل فقط بل تعداها إلى أخيه وزميله الإنسان الذي يعيش معه أو بجواره، لما كان يجيش في الصدور من نزعات ورغبات وعواطف وإحساسات متباينة متناقضة في قوتها وهيئتها لا يفقه من أمرها شيئا ولكنه يراها تدفعه للإضرار بغيره، أو التعلق والتزلف له، أو اكتساب مودته.

ووسط هذه المخاوف، التي قد تصل إلى حد الرعب والفرع والهلع أحيانا، عاش أهل الفرات ودجلة، وهم أول من استعمر الأرض، ومنهم السامريون الذين عاشوا قبل ظهور المسيح عليه السلام بخمسة آلاف عام وكذلك الكلدانيون والكنعانيون والآشوريون وهم أول من استخدم السحر، ونقله عنهم أقباط مصر ثم يهودها، ثم انتقل إلى الهند وأوروبا وأفريقيا وأمريكا وعم العالم بأسره.

وقد اختلفت الآراء في معرفة أول ساحر في الوجود، ولكن الرأي الغالب يؤكد أن ذرية (هابيل) هم أول من مارس السحر بمدينة بابل لأنهم كانوا زمرة من المجرمين العتاة، وأن المولى عز وجل عاقبهم بالفيضان لكثرة مساوئهم وتعدد مخازيهم والتجائهم للشياطين وأعوانهم من دون الله، ويقال أن (هام Cham) ابن نوح عليه السلام كان من أوائل السحرة، كان يأوى إلى جبل خاص يناجى فيه شيطانه حتى أنه عندما حدث الفيضان ودعاه والده ليركب فى الفلك معه وينجو، عصى أمره مفضلا الالتجاء إلى هذا الجبل معتقدا أن خلاصه سيأتى على يد الشيطان فخاب أمله وكان من المغرقين.

وحذا حذو (هام) أنجاله كنعان وسيدون وغيرهما، واتخذوا السحر وعبادة الشياطين والاتصال بهم دينا لهم، وينسب البعض إلى هذه الذرية معظم ما يحدث فى هذا العالم من شرور فقد تعلم أحد أبنائه من الشيطان (عزازيل) صناعة الحراب والمدى والتروس والدروع. فانتشر القتل والجرائم والحروب وتعلمت

نساؤه من نساء الشياطين استعمال العطور والزينة والتبرج فسادت الخلاعة، والفسق، والفجور، وتولدت عنها الغيرة والانحلال الخلقي (1).

وانتشرت ذرية (هام) في بقاع الأرض واستوطن عدد كبير منهم بزعامه ابنه (زوروستر Zoroaster) ومعناه (نجمة الحياة المضيئة) بلاد الفرس. وقد أجمع معظم المؤرخين والكتاب على أن زوروستر، هو أول من أسس علم السحر ووضع له قواعد، وزاوله، ومارسه، وترك فيه آثاره التي مازالت للآن مرشدا ومرجعا لجميع السحرة (2).

و"زوروستر" هو أول من لفت نظر الناس إلى الكواكب والأجرام السماوية وأدخل في روعهم شدة بأسها بصفقتها آلهة كبيرة بيدها صلاحهم وفسادهم، ولذا وجبت عبادتها وترضيبتها. وقد نزلت كل الكتب السماوية تنهى عن عبادة الشمس والقمر والكواكب.

وعلم زوروستر السحر لأتجاله (أزوناس وأبيولوس وأرومازوس) وانتقل منهم إلى غيرهم، وقطع القفار، وعبر البحار وانتشر في جميع أنحاء الأرض حتى أنه عند اكتشاف أمريكا وجدوا سحرتهم يقومون بطقوسهم وصلواتهم السحرية كما نصت عليه المراسيم التي خلفها الفرس والأشوريون، كما أنهم وجدوا عادات السحرة وأعمالهم بالمكسيك هي بذاتها التي يقوم بها سحرة مقاطعة النافار بفرنسا، والتي مازلوا يمارسونها إلى الآن، كما يوجد في الوقت الحالي ما يربو على المائتي ألف شخص من طائفة (الباريسين) بالهند يدينون بمذهب زوروستر ويعملون حسب تعاليمه السحرية (3).

ويمكن القول إذن بأن تاريخ ظاهرة السحر السحرة يبدأ منذ خمسة آلاف

(1) انظر محمد جعفر، كتاب السحر، ص 4، 5.

(2) Encyclopedia Britannica. 1965. Vol. 14, p. 570.

(3) محمد جعفر، المصدر السابق، ص 7.

عام وقبل ظهور المسيح عليه السلام عندما وضع أسسه ومارسه الساحر الكبير (زوروستر) فى بلاد الفرس، وقد حفظت معظم تعاليمه فى الأفستا (Avesta) وهو الكتاب المقدس للفرسيين القدماء. كما عد الكهنة الفارسيون أو المجوس الرعيل الأول من السحرة والمنجمين.

وترسب كلفة "مجوس" اللاتينية الأصل بتاريخ طويل يرتد فى أصله إلى قبيلة فارسية قديمة تخصصت فى عديد من المناشط التعبدية.

وثمة نزاع حول ما إذا كان المجوس منذ البداية تابعين لزوروستر (زرادشت) وأول مريدين له. والواقع أنه منذ القرن الأول الميلادى إلى ما بعده استخدمت كلمة مجوس للإشارة إلى السحرة والراجمين بالغيب الوافدين أساساً من بابل، وقد اشتهروا بأشكال مختلفة من الحكمة. ولكن بانهيار الإمبراطورية الفارسية صارت هناك تفرقة بين المجوس الفارسيين الذين تميزوا بالمعرفة الدينية العميقة، وبين المجوس البابليين الذين اعتبروا غالباً من السحرة المشعوذين ⁽¹⁾.

وجاء بعد الفرس الكنعانيون والمصريون والهنود وغيرهم، وكان لكل منهم طريقته واعتقاداته الخاصة فى عمله، ولكن أساس العمل واحد فى جميع البلاد ويرجع إلى ما وضعه زوروستر فى هذا السبيل.

(أ) السحر عند الكنعانيين

كان الكنعانيون يعتقدون اعتقاداً عظيماً فى القوة السحرية التى تشعها أجساد القطط والكلاب التى ذكروا عنها شيئاً كثيراً فى مخلفاتهم ونقوشهم وآثارهم. ومنها أنه إذا دخل كلب أحمر اللون أحد المعابد فرت منه الآلهة، وولت منه البركة، وإذا دخله كلب أصفر سرقت محتوياته، أما إذا دخله كلب أبيض فهذا دليل على بقاء المعبد فترة طويلة مع ازدياد خيراته، وأيضاً إذا دخل كلب أسمر قصر الملك هجر

(1) الموسوعة البريطانية، المصدر السابق، الصفحة نفسها.

الأخير زوجته ودب الانحلال فى أسرته، وتفشى الفساد فى حاشيته ومملكته حتى يزول ملكه، وإذا جلس كلب أسود على عرش الملك فهذا نذير بموته وشوب حريق كبير فى عاصمته.

وكانوا يتشاءمون من نباح الكلاب ليلا ويتهمونها باستدعاء الشياطين لإلحاق الأذى بالسكان وهم نائمون مطمئنين. وما زالت هذه الخرافة شائعة بيننا حتى اليوم فإذا ما طرق سمعنا كلبا يعوى كالذئب قلنا إنه ينبح (بالمقلوب أو المعكوس) وتوجسنا خيفة من نباحه خصوصا إذا كان هناك بيننا مريض. أما القطط فنظرا وفراستها وأنانيتها وشراستها، فقد كانوا يحسبونها من الأرواح الشريرة خصوصا عند اجتماعها ليلا واشتداد عوائها وصراخها بلهجات ونغمات مزعجة، وكانوا يعدون هذا العواء الكريه الممقوت دليلا على اجتماعها بالشياطين لتلقى الأوامر منهم.

(ب) السحر عند الكلدانيين

كان الكلدانيون يستخدمون دماء الطيور الصغيرة بعد ذبحها فى أعمالهم السحرية، ولذا كانوا يعنون بأمرها ويطعمونها طعاما خاصا ولا يأكلونها أبدا. واهتم الكهنة والسحرة الكلدانيون بدراسة الكواكب والنجوم، وكانوا يعتقدون اعتقادا راسخا فى تأثيرها على حياة البشر وينسبون إليها أمورا كثيرة، منها أن ظهور كوكب المشتري فى الليالى القمرية يبشر النساء الحاملات بالمواليد الذكور، وظهور عطارد دليل على زيادة المعاملات التجارية، وتحسين الأحوال الاقتصادية للسبلاد، وعلو شأن العلم والأدب والمشتغلين به وكذلك فإن ظهور كوكب زحل، ليدل على الخلافات العائلية، وسوء حالة المتزوج والأعزب على السواء وتفشى الإجرام والرذيلة.

أما ظهور كوكب المريخ فمعناه عزل الملوك أو وفاتهم، وتفشى المجاعات والأمراض واندلاع الحروب، كما أن ظهور كوكب الزهرة يدل على رواج سوق

الزواج خصوصا للعانسات، ولأن نجد بعض الفلكيين ومن يهتمون بهذا العلم يبنون تنبؤاتهم على ظهور هذه الكواكب في أوقات معينة ودلالاتها مماثلة لما سبق ذكره.

وكان السحرة الكلدانيون يعولون في أعمالهم السحرية على حركات هذه الكواكب وأوقاتها وتقابلها وابتعادها، وكل ما يتصل بها، وذلك لاعتقادهم الراسخ بتأثيرها على حياة الأدميين.

أما الشعب فقد كان يعتقد اعتقادا راسخا في السحر الذي ملك عليه عقله ولبه، وصار ينسب إليه كل خير وشر يصيبه، كما كان يعتقد أن مصدر هذا السحر هو الأرواح الشريرة أو الطيبة التي تراقب حركاته وسكناته وتعمل على راحتته أو مضايقته، فإذا حدث مثلا أو طاش سهم الصيد ولم يصب الفريسة فلا يعزو هذا الصيد فشله إلى قلة خبرته أو مرانه أو عدم الدقة في تصويب رمحه، ولكن كان ينسب فشله دائما إلى وجود الأرواح الشريرة التي تعاكسه، وتتدخل في شئونه، وأنها هي التي أطاحت بسهمه فلم يصب الفريسة. ولذا كان يعتمد لإرضائها فورا بذبح أى حيوان، وتركه في الخلاء اعتقادا منه بأنها بعد ذهابه ستسطو على هذه الضحية وتلتهمها ثم تكف عن مضايقته.

وقد أنجبت ذرية (هام. زورستر) أربعة عائلات تولى زعامة كل واحدة منها أحد أنجالهم النابغين في علوم السحر فتولى مصر بوجهيها البحرى والقبلى (مصر ايم) وتزعم (كوش) اثيوبيا و(توث) القبائل الرحالة بين أفريقيا وآسيا. ورأس (كنعان) الفينيقيين.

وترد كل أسس السحر وأعمال السحرة إلى (كوش) الذى ذكرناه آنفا، وعنه أخذت معظم القبائل البدائية تعاليمها وعلومها السحرية، خاصة ما تعلق منها بتغيير الأدميين إلى ذئاب أو ضباع أو كلاب، وغيرها من الحيوانات الكاسرة⁽¹⁾.

(1) انظر محمد جعفر، المصدر السابق، ص 11 - 14.

(ج) السحر فى المجتمعات البدائية

يعد عالم ما وراء الطبيعة عاملاً دائماً فى حياة البدائي، فنراه يلجأ إليه لتفسير كل ما يقع أمامه، ويعزو إليه من الشرعية والمعقولية ما نعزوه نحن إلى قوى الطبيعة المعترف بها. والعقلية البدائية التى لا تعول إلا على الروابط الغيبية لا تعد ما نسميه نحن سبباً وعلّة لما يحدث إلا مناسبة له على أحسن تقدير، أو بتعبير أصح لا تعدّه إلا آلة فى يد القوى الخفية، ولاشك أنه يمكن للمناسبة أن تتغير وللآلة أن تستبدل بغيرها، دون أن يمنع ذلك من وقوع الحادثة، إذ يكفى لوقوعها أن تتمكن القوة الخفية من القيام بعملها وإلا تقف فى طريقها قوة عليا من نوعها.

وتعتمد الجماعات البدائية كلها إلى تفسير الموت بغير الأسباب الطبيعية، فإذا مات عندهم شخص عزوا موته على وجه العموم إلى أن ساحراً قد حكم عليه بالموت "يستطيع الشخص المقصود أن ينطلق كعادته إلى رحلة صيد .. وفجأة يشعر بشيء ما فى قدمه أو ساقه ويرى حية تنهش جسمه ومن الغريب أن هذا النوع من الحيات يختفى على الفور. ويدل هذا الاختفاء السريع على أن الشخص الذى لدغته الأفعى قد وقع تحت تأثير سحر عدو وأنه لا مفر من موته، والواقع أنه لا يقوم بأية محاولة للعلاج، بل يستولى عليه اليأس، ويضطجع فى انتظار الموت" (1).

وقد يتصور البدائيون إمكان وقوع الموت بحادث عارض، ولكنهم فى أغلب الأحيان يعزون نتيجة ما نسميه نحن بالحادث العارض إلى تأثير سحر شرير. ويقول "هوييت" Howitt: "إذا قتل محارب من أفراد القبائل القريبة من ماريبرا Maryborough (فى كوينزلند) فى إحدى مبارزاتهم الطقسية، اعترفوا بأن موته يرجع إلى فقدانه المهارة فى صد رماح العدو، ولكنهم يعتقدون فى الوقت نفسه أن فقدان المهارة يرجع إلى سحر ضار قام به بعض أفراد قبيلته".

(1) W. E. Rath. Superstition. Magic & Medecine. Ethnography. Vol. 12, p. 13.

وليس هذا الاتجاه العقلى مقصورا على القبائل الاسترالية، إذ إننا نعثر عليه فى صورة جد متشابهة لدى الجماعات البدائية كلها مهما بلغ تباعدها فى المكان (1).

ويعبر "بنتلى" عن الفكرة نفسها بدقة إذ يقول: "لا يعتبر أهل الكنفو الأصليون أن المرض والموت من الحوادث الطبيعية، ولا يرجعونهما إلى أسبابهما بأية حال، بل إلى فعل السحرة دون سواهم، حتى ولو كان الموت ناشئا عن الحرب أو الفرق أو السقوط من فوق شجرة عالية أو انقضا صاعقة أو اعتداء حيوان ضار، فإنهم يعزونه إلى تأثير السحر. وهم يتمسكون بهذه العقيدة فى إصرار عجيب وبعد تام عن المنطق. فعندهم أن الميت لا يموت إلا إذا وقع ضحية لسحر ساحر، ولذلك يعدون هذا الساحر هو الجانى الحقيقى" (2).

بعبارة أخرى تتوقف حياة البدائيين العقلية وبالتالي (أحداسهم) على حقيقة بدائية جوهرية، وهى أن العالم المحسوس والعالم الآخر لا يكونان فى تصوراتهم إلا شيئا واحدا. ومجموع الكائنات غير المرئية لا تنفصل عندهم عن مجموع الكائنات المرئية. وليست الكائنات الخفية فى نظرهم بأقل وجودا ونشاطا من الكائنات المرئية، بل إنها أكثر منها تأثيرا وإرهابا، ولذلك فهى تشغلهم أكثر من غيرها، وتصرف عقولهم عن التفكير فيما نسميه نحن بالمدركات الموضوعية، ولو إلى حد يسير وما جدوى ذلك إذا كانت الحياة، والنجاح، والصحة، ونظام الطبيعة وكل شئ آخر يتوقف فى كل لحظة على القوى الخفية؟ وإذا كان فى وسع الجهد الإنسانى أن يفعل شيئا، ألا ينبغى له أن ينفقه، أولا وقبل كل شئ فى تفسيره لمظاهر هذه القوى وتنظيمها بل فى استثارتها أيضا؟ الواقع أن هذه هى الطريقة التى حاولت بها العقلية البدائية أن تنمى تجاربها.

ويمكننا على وجه الإجمال أن نقسم التأثيرات غير المرئية التى تشغل العقلية البدائية بصورة دائمة، إلى ثلاثة أقسام، وإن كانت كثيرا ما تتداخل بعضها فى

(1) انظر ليقى بريلى، العقلية البدائية، ترجمة محمد القصاص، ص 26، 27.

(2) المصدر نفسه، ص 29.

بعض وهذه الأقسام هي: أرواح الموتى، والأرواح بأعم معانى الكلمة، أى تلك المؤثرات التى تجعل الحياة تدب فى الأشياء الطبيعية من حيوانات ونباتات، وكائنات جامدة (الأنهار والصخور، والبحار، والجبال والأدوات المصنوعة، إلخ)، وأخيرا الطلاسـم والتعاويذ التى تعد من فعل السحرة.

ويذكر "مالينوفسكى": أن السحر يلعب دورا هاما فى حياة التروبربانديين، فهو ضرورى للزراعة ولحماية الأطفال وكذلك فى حالات الحب أيضا. وعلاوة على ما تقدم فللسحر أهميته فى صناعة السفن، فهو ضرورى لجعل السفينة تسير بسرعة وأمان. كذلك يعتقد الأهالى أن المرض، والصحة والوفاة تنتج عن السحر. ويستفيد الرؤساء من قوة السحر فى التغلب على أعدائهم، فعندما يشك حاكم القرية فى وجود مؤثرات ضده، فإنه يسلط عليهم السحرة للانتقام منهم⁽¹⁾.

ويحلل "مالينوفسكى" فى عمل آخر له السحر عند البدائيين تحليلا رائعا. ويرى أن الاعتقاد فيه لا ينقص بل على العكس يزداد، رغم وصول المبشرين، وانتشار بعض التعليم وهو يرى أن السحر عند البدائيين إنما يتسم بأشياء تقال، وأشياء تؤدى، وشخص يقوم بشعائر معينة. وبذلك فتمة ثلاثة أضلاع للسحر هي الرقية، والطقس، وحالة الشخص الممارس للسحر⁽²⁾.

فإذا رجعنا إلى قبائل البابو فى غينيا الجديدة الألمانية الذين نجدهم مدروسين بعناية فائقة فى المؤلف الذى أصدره الدكتور "تويهوس" Neuheuss وجدنا أن السحر يلعب عندهم دورا أعظم من الدور الذى يلعبه الخوف من الأرواح، فإذا لم يسقط المطر، أو إذا سقط أكثر مما ينبغى، وإذا ساءت الحاصلات الزراعية، وإذا لم تثمر أشجار النارجيل، وإذا ماتت الخنازير، وإذا لم يأت الصيد البرى أو البحرى بالثمرة المرجوة، وإذا

(1) B. Malinowski, Argonauts of the Western Pacific, N. Y. E. P. Dutton & Co Inc. 1961.

(2) B. Malinowski. The Dynamics of Culure Change, New Haven, Yale University Press 1945, PP. 95: 97.

زلزلت الأرض زلزالها ، وإذا طفى مد البحر فاكتسح قرية على الشاطئ ، وإذا حدث مرض أو موت ، وإذا وقع أى شىء من هذا القبيل لم تكف الأسباب الطبيعية لتفسيره بأية حال ، بل لابد أن يكون هناك سحر من خلف ستار".

وتعتقد قبائل "الكاي" أنه لا يموت شخص موتاً طبيعياً قط حتى ولو كان من الشيوخ الهرمين، إذ يعتقدون أن موتهم يرجع إلى السحر، وكذلك الحال بالنسبة إلى جميع الكوارث التى تحل بهم فإذا سقط شخص، فالساحر هو الذى أسقطه. وإذا انفق أن أصيب بجرح من خنزير برى أو عضته أفعى، ففتش عن الساحر أيضاً. كذلك الساحر هو الذى يعمل فى بعيد على أن تموت هذه المرأة أو تلك فى أثناء الوضع (1).

وهكذا هو الحال فى معظم الجماعات البدائية حيث يقف "السحر دائماً بالمرصاد ليحدث شراء، أو ليتسبب فى خسارة ما. فهو فى حالة "إمكان دائم" للشر، ينتهز كل فرصة تلوح له لينفذ سهمه. وهذه الفرص ليست محدودة العدد. إذ من المستحيل أن يحيط بها الفكر مقدماً فى مجموعها، فتبدو مظاهره هذه فى اللحظة التى يباشر فيها عمله، ولا يشعر به المرء إلا حين يكون سهم شره قد نفذ، ولذلك لم يكن فى إمكان القلق الدائم الذى يعيش فيه البدائى أن يسمح له، رغم ذلك، بإدراك الشر الذى سيقع به قبل وقوعه لكى يحاول منعه.

فخوف السحر مائل أمامه بصفة مستمرة، ولكنه رغم ذلك واثق من أنه سيكون ضحيته. ولعل فى ذلك سببا من أهم الأسباب التى تفسر لنا شدة حقن البدائيين على الساحر حينما يكتشفونه إذ إن الأمر لا ينحصر عندهم فى معاقبة الساحر على الشرور الماضية التى عانوها على يديه والتى لا يعرفون عددها ولا مداها. وإنما يريد البدائيون بوجه خاص أن يقضوا مقدماً على الشرور التى يستطيع هذا الساحر أن ينزلها بهم فى المستقبل، وتتنحصر وسيلتهم الوحيدة لقتل

(1) محمد جعفر، المصدر السابق، 55.

الساحر فى إلقائه فى اليم أو حرقه بالنار وفى الوقت نفسه، يقضى هذا الإجراء على روح الشر التى تحل فيه وتتخذ مطية لنشر شرورها.

ويعتقد البدائيون أن الشرور التى يستطيع الساحر أن يسلطها على غيره لا تحصى ولا تعد، فإذا ما أراد أن يقضى على شخص ما؛ استولى على أى شىء ينتسب إليه، واعتبر أنه هو الشخص ذاته بطريق المشاركة والتقمص. (وذلك كخصلة من شعره، أو قلامات من أظافره، أو بعض فضلاته، أو بوله، أو أى شىء من أثر أقدامه، أو من ظله أو صورته، أو اسمه، إلخ). وحينئذ يقوم ببعض إجراءات سحرية على هذا الجزء من الشخص حتى يهلكه وفى بعض الأحيان يغرق زورقه أو يجعل سهمه أو بندقيته تطيشان. وفى أحيان أخرى يفتح جسمه أثناء نومه بالليل فيسرق منه عنصر الحياة بانتزاع دهن كليتيه. وقد يسلمه إلى وحش ضار أو أفعى، أو عدو. وأحيانا يعمل على سحقه بواسطة شجرة أو حجر ينترع من مكان ما ويسقط عليه عند عبوره به، وهكذا تتعدد وسائل القضاء على الأشخاص إلى ما لا نهاية، وإذا لزم الأمر تحول الساحر نفسه إلى حيوان.

وفى أفريقيا الاستوائية يعتقد البدائيون أن التماسيح التى تختطف الضحايا البشرية ليست حيوانات عادية ولكنها آلات طبيعة فى يد السحرة. بل قد تكون التماسيح هى السحرة أنفسهم عن طريق التقمص.

وإذا ما حدث إخفاق أو كارثة، فسره البدائيون تفسيراً واحداً لا يتطرق إليه الشك، وهو أن المصاب وقع تحت تأثير خفى، ولكن من العسير فى غالب الأحيان أن يعرفوا نوع هذا التأثير، فإذا نظروا إلى الحادثة فى حد ذاتها، كالصيد الذى أخفق أو المرض الذى نزل أو الجفاف الذى أهلك الحقول، إلخ، كان من العسير عليهم أن يستنتجوا منها ما إذا كانت ترجع إلى أحد السحرة أو إلى بعض الموتى المختفين أو إلى الأرواح الشريرة.

وفى أكثر المجتمعات البدائية، يرجع البدائيون السبب دائماً إلى "السحرة والأرواح الشريرة" والواقع أنه يمكن للأرواح الشريرة أن تكون فى خدمة السحرة

والعكس صحيح، وقد يكون الساحر نفسه منطويا على روح شريرة في بعض الأحيان على غير علم منه. وحينئذ يتداخل التصوران أحدهما في الآخر. ولكن يبقى بين التصويرين هذا الفارق الهام. وهو أن الساحر بضرورة الحال فرد من الأفراد، وعضو من هذه المجموعة الاجتماعية أو من تلك المجموعة المجاورة، ومن ثم أصبح تصويره جليا محددا. أما تصور الأرواح فإنه يظل على جانب من الإبهام والغموض تبعا للجماعات والمجتمعات التي يلاحظ فيها، مادامت هذه الأرواح ليست أشباحا لموتى، بل يختلف هذا التصور في داخل الجماعة الواحدة تبعا للاخيلة الفردية والطبقة الاجتماعية التي ينتسب إليها الأشخاص (1).

ولعل تشبيه هوميروس القائل: " النوم صنو الموت " منحدر من أحقاب بعيدة، وهو عند البدائيين حقيقى بنصه وفصه. فمما هو معروف عندهم أن الميت الجديد يواصل الحياة، ولكن في ظروف جديدة. وهو لا يبتعد عنهم من فوره، بل يبقى قريبا منهم ويستمر التأثير على هيئته الاجتماعية التي تحس حضوره ولا تستطيع الانصراف عنه. نعم لقد غادرت "روحه" جسده، ولكن جسمه لا يزال باقيا، ومادام لم يتحلل تمامًا فإن ضروب المشاركة بين الميت الجديد وهيئته الاجتماعية لا تنقطع إلا جزئيا.

كذلك حال النائم حين يحلم، فإن روحه (في اعتقاد البدائيين) تنفصل عن جسمه، ويصبح في حالة تشبه حالة الموتى الجدد إلى أن تعود إليه روحه من جديد، ويعبر البدائيون أحيانا عن هذه الفكرة بعبارات ملفتة للنظر. فالفعل "يحلم" (دركوكو) (drokuku) في أفريقيا الغربية الألمانية معناه "يموت نصف موت". ففي الحلم تغادر الروح الجسد وتذهب إلى إقليم الأحلام، حيث يظن المرء لحظة أنه يرى الأشياء ويمتلكها، غير أنها لا تمكنه من احتجازها، ومع ذلك فإن هذه الظلال تعتبر حقيقة واقعية. فمثلا إذا رأى في الحلم شخصا مات منذ زمن طويل،

(1) انظر ليفي بريل، المصدر السابق، ص 55: 58.

كان معنى ذلك أنه تكلم معه حقيقة. وفي الحلم يرى المرء أشياء حقيقية وحوادث تحدث حقيقة إذ إن الروح تتحرر من الجسم مؤقتاً وتتكلم وتفعل كما تتكلم وتفعل فى وضوح النهار حين تكون فى الجسم، وينحصر الفرق الوحيد بين الحالتين فى أنها أثناء الحلم تتحرك فى عالم غير المرئى لا فى عالم المرئى.

ولما كان الخوف من السحر هو الهم الدائم لدى البدائيين، نجد أنهم على اتصال دائم بالأموات، يستوى عندهم فى ذلك من ماتوا ولا تزال ذكراهم حية، وتلك الكتلة المختلطة من الأسلاف". إذن من الطبيعى أن يستخدموا الأحلام فى تحقيق هذا الاتصال، وأن يسخروها فى اكتشاف السحرة (1).

وقد رأينا أن الأحلام تكون أهم جزء فى تجارب العقلية البدائية، لأنها هى التى تصل بينها وبين العالم غير المرئى بطريق مباشر. ثم تأتى الفؤول فى الدرجة الثانية من الأهمية لأنها هى الأخرى تمد هذه العقلية ببعض المعلومات عن فعل القوى الغيبية التى تحس بوجودها.

فالفؤول ضروب من الكشف تحدث تلقائياً، ويفسرهما البدائي على التو دون حاجة إلى تروى، وذلك بواسطة أنواع من الارتباط الزائف تصل بين تصوراته الجمعية. ولفؤول عند البدائيين صور شتى كأن يسمعون هذا الطائر يصيح من جهة الشمال أو يروا ذاك الحيوان يعبر الطريق فى أثناء المسير، وهلم جرا، والبدائي يدرك الدلالة السعيدة أو المنحوسة لهذا الفأل أو ذاك بمجرد أن يدرك الحادثة التى تكونه، وحينئذ يتابع السير فى المشروع الذى بدأه بشجاعة أو يتخلى عنه. وهو إذ يفعل ذلك إنما يساير معطيات تجاربه التى تعد الفؤول فى الصف الأول منها، ويشبه ذلك إلى حد ما مسلك الطبيب الذى يبنى وصفاته على حالة المريض التى يكشف عنها تشخيصه للعلاج.

فإذا كانت تلك طبيعة الفأل، وإذا كان الفأل فى تصورات البدائيين الجماعية سببا

(1) انظر ليفى بريل، المصدر السابق، ص 55: 58.

مؤثراً بقدر ما هو كشف عن المستقبل. فلا ينبغي لنا أن نعجب إذا رأينا جل الجماعات البدائية تعمل كل ما فى وسعها للقضاء على الحيوان الذى يحمل الفعل السيئ.

ولا يتردد البدائيون لحظة واحدة بين التفكير المنطقى على بساطته ووضوحه وبين الرؤيا المباشرة، وهذا سبب من الأسباب التى تجعلهم يلجأون دائماً إلى أعمال عرافية جد متنوعة، فهى متجهة دائماً نحو العالم الخفى، وكل اهتمامها موجه نحو ضروب المشاركة الغيبية. ولذلك كانت العرافة عندهم أجدى من أى تفكير عقلى، وأقدر منه على الإجابة عن ضروب حب الاستطلاع التى يصبو إليها العقل، وعلى سد الحاجات التى يستلزمها العمل. وتحدث هذه العرافة فى صورة رؤيا أو فالٍ مستثار أو صلاة أو كشف عن نوايا القوى الخفية أو استحواذ حالى على أمر مستقبل حاضر فى آن واحد (1).

وتتطوى كلمة ساحر لدى المجتمعات البدائية على فكرتين، فالشخص الذى يشار إليه بهذه الكلمة يُعتقد:

أولاً : أن لديه القدرة أو المعرفة الكافية لممارسة الفنون الخفية.

ثانياً : أنه يتعاطى أكل اللحم البشرى. وهذا المعنى الثانى هو الغالب فالسحرة يقتلون ضحيّتهم لكى يأكلوها.

كما أن السحر من أعظم الكبائر التى يمكن لبشرى أن يرتكبها. فهو يتساوى والقتل، بل هو أشد منه، لأنه يتضمن الاتهام بالقتل، ثم يضاف إليه فكرة مبهمة من النمنمة. فالساحر يقتل الكائنات البشرية ليطعم لحمها.

كما يسود الاعتقاد أيضاً فى تلك الجماعات بأن الساحر يمكنه فى أغلب الأحيان الحصول على النتيجة التى يرغب فى الوصول إليها بمجرد أن يفكر فيها دون حاجة إلى استعمال رقية سحرية أو طقس خاص.

(1) انظر المصدر السابق نفسه، ص 156، 238.

وتساعدنا الاعتقادات المذكورة آنفاً على فهم الهلع الذى يلقيه الساحر فى نفوس أعضاء الجماعات البدائية، والحنق الذى يتجلى فى صنوف العذاب التى يصبونها عليه، ومحاولة الهجوم عليه بطريق المفاجأة، حينما يصممون على التخلص منه بعد فترة طويلة من التردد فى غالب الأحيان. وذلك لأن الساحر يستطيع أن يسبب شراً مستطيراً دون جهد كبير، إذ يكفيهِ أن يركز تفكيره، ويوجه إرادته نحو الشيء الذى يود وقوعه فيقع هذا الشيء حتماً، وهو أقدر على ذلك من غيره، فيمكنه حينئذ، إذا أراد أن يجر الخراب والمرض والموت إلى جاره، دون أن يضطر إلى القيام بعمل يلفت إليه نظر الآخرين، بل دون أن يضطر إلى تحريك إصبع من أصابعه، وإزاء هذا الخطر لا يستطيع المواطنون إلا أن يتخذوا منه أحد موقفين: فإما أن يعملوا على ضمان وده وإما أن يبيدوه. وهذا هو السبب الجوهرى للامتيازات التى يتمتع بها، والتى لا يجرؤ أحد على أن يعارض فيها أو يمنعها عنه. وهو أيضاً السبب فى النهاية المحزنة التى ينتهى إليها فى أغلب الأحيان⁽¹⁾.

والواقع أن أقدم شكل من أشكال الكهانة ما يعرف فى المجتمعات البدائية باسم الطبيب الساحر medicine - man الذى تتمثل قدراته فى نوعين أساسيين وفقاً لما قرره الأنثروبولوجيون: قدرات دينية، وقدرات سحرية.

وتعتمد القدرات الدينية على ما تقدمه الكائنات العليا الغيبية من مساعدة، أما القدرات السحرية فيفترض أنها قدرات طبيعية.

ومن الأهمية بمكان أن نعرف أن الطبيب الساحر، سواء تمارس بالسحر أم بالدين، فهو دائماً محفوف بالاعتقاد ممن حوله بأنه قادر على أن يقدم الخير للآخرين، أو يوقع عليهم الشر، وأن قدراته ليست نصيباً مشتركاً لسائر الناس، بل ينفرد به وحده. فسحر الطبيب الساحر إذن يفوق كل ما تتناول إليه أيدي الناس جميعاً. فعندما يخبر شخص صريع أحد الأمراض أو فريسة حادث مجهول، فإن

(1) المصدر نفسه، ص 271، 395.

البدائي يسارع إلى تفسير ذلك بأن ثمة سحرًا قام به عدو ضده، وأن الطبيب الساحر وحده، هو الذى يمكنه القضاء على الأعمال السحرية الرديئة التى حيكّت ضده (1).

ويذكر "ليفانز بريتشارد" (Evans Pritchard) فى حديثه عن "النوير" أنه فى العهود القديمة كان إذا مات رجل من السحر فإن أقاربه يحاولون ذبح الساحر (givan mal) رغم أن بريتشارد يذكر أنه لم يسجل حالة واحدة ذبح فيها ساحر أو قتل.

وهناك شىء جدير بالاهتمام عند النوير، وهو أن الساحر عندهم لا يستخدم سحره ضد أفراد جماعته، ولكنه يستخدمه فقط ضد الأشخاص من القرى الأخرى. لذلك فإنه ليس من السهل أخذ الثأر منه حيث أن أهل قريته سيساعدونه، ويعضدونه، لأنهم يعتقدون أن السحر ذا قيمة فى حمايتهم (2).

وقد أوضحت دراسات علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية أن السحر ظاهرة اجتماعية تسود حياة جميع القبائل التى درسوها ويؤدى لأفراد القبائل وظائف عديدة ويقول "بريتشارد" (E. Pritchard) فى هذا الصدد "إنه يصعب أن ندرس جماعة من الجماعات البدائية دون أن يلمس الباحث أثر السحر لأنه ظاهرة عضوية وراثية". ويذكر "بريتشارد" فى مؤلفه عن الأزاندى أن الاعتقاد السائد بين هذه الجماعات هو أن القوى السحرية تنتقل من جيل إلى جيل فى الأسرة الواحدة عن طريق التوريث البيولوجى، فيرث الوليد هذه القوى عن أبيه أو أنه تبعاً لنوعه، فالرجل يورث قوته السحرية إلى أولاده من الذكور، والمرأة إلى ذريتها من البنات (3).

(1) انظر الموسوعة البريطانية، المصدر السابق، ص 751.

(2) E. Evans Pritchard. The Nuer: A Description of the Modes of Livelihood and Political Institution of a Nilotic People. Oxford University Press. 1940.

(3) Evans Pritchard. Witchcraft, Oracles and Magic Among Azandé. Oxford. 1937.

وإلى جانب هذا الاتجاه العنصرى الفطرى، نجد من يفسر ظاهرة السحر وممارساته فى المجتمعات البدائية على أسس سوسيولوجية، فيذهب "نادل" (Nadel) على سبيل المثال إلى أن السحر يقوم على تلبية نواحي اجتماعية ناجمة عما يعتور الجماعة من مظاهر القلق والضغوط، وهو يشيع نواحي متعددة، حيوية، واجتماعية وسيكولوجية، بل إنه يعد أيضا وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعى.

(د) السحر عند قدماء المصريين (*)

تقابل الدين والسحر فى أكثر من جانب من جوانب حياة المجتمع فى مصر القديمة لذلك فقد تركز السحر فى المعابد، واعتبر علما من علوم الكهنوت الذى تخصص فيه الكهنة وحدهم، كما أن الكثير من الطقوس الدينية ارتبطت بالسحر وتعاليمه، وتداخل السحر والدين معا فى كتب الموتى، والمتون الدينية، وعلاقة "الآلهة" القديمة بالبشر.

بعبارة أخرى كان السحر عند المصريين القدماء مجرد دين تطبيقى، كما كان يشغل به كبار رجال الدين. ومازال هذا الاعتقاد فى قدرة بعض رجال الدين على استخدام لتحقيق المآرب قائما حتى الآن ⁽¹⁾. وكانت نظرة الناس إلى السحرة كنظرتهم إلى رجال الدين لأن كلا منهما يمثل قوة إلهية.

وقد ذكر عالم الآثار سليم حسن فى معرض حديثه عن تغلغل السحر فى الكهنوت فى مصر القديمة "إنه من العبث أن نبحت إذا كان السحر وليد الدين، أو الدين وليد السحر، فالاعتقادان قد ظهرا فى ميدان واحد، أملاهما مظهر العالم وظواهر الطبيعة. وقد ارتبط السحر منذ نشأته بأساطير الخلق، خلق الحياة

(*) يهمنى أن ننسبه القارئ أن اهتمامنا بهذا الجزء يرجع إلى صلته الوثيقة بالسحر فى مجتمعنا المصرى المعاصر، ووجود تشابهات كثيرة فى المعتقدات السحرية الحالية، وتلك التى كانت فى مصر القديمة، وتأثير ذلك فى موضوع التغير الاجتماعى والسحر.

(1) Max Muller. Egyptian Mythology. London 1924. p. 198.

والوجود، والعوامل المكونة لهما، والقوى المحركة والمسيطر عليها. وقد نسب قدماء المصريين السحر ونزوله على الأرض إلى الإله "تحت" إله العلم والمعرفة وحامل العلامات الإلهية، والمعبود القمري لمدينة هرموبوليس، أول من أنزل كتب السحر المقدسة ووضع طلاسمة الباهرة فأنزل الحرف والنطق والكلمة، وكل منها تمثل قوة لها تأثيرها وفاعليتها، وفي كل منها وضع سرًا من أسرار الكون والوجود. فالخالق خلق الأشياء بنطق أسمائها، وعلم مخلوقاته النطق للتعرف والتخاطب، والحرف أو الرمز أو الصورة (1).

إن تلك البردية من برديات تحت (هرمس) في الحرز الخاص بأسرار الكون تفسر الكثير من تقسيمات السحر ووسائله، فارتكزت العقيدة في السحر في أن لكل من الحرف، والاسم والنطق، طاقة سحرية لها فاعليتها منها قوى الخير، ومنها قوى الشر، فأسماء الآلهة والمعبودات مثلًا وذكرها في الدعاء أو ترديدها لها أثر سحري في مد الإنسان بقوى الخير وحمايته، أو حفظه من قوى الشر.

فالسحر وعناصره، وطقوسه، تعتمد على تلك "الهبات المقدسة الثلاث" التي وهب الساحر القوة الخارقة في كيفية استخدامها سواء في التعاويذ، أو الطلاسمة والتماثيل، أو في الرقى والأحجبة، والطقوس، وغيرها مما عرف من طرق السحر ووسائله (2).

ولم يكن السحر في حد ذاته مكروها في مصر القديمة، مادام يستعمل لأغراض طبية كشفاء الأمراض، ودفع شرالعين الشريرة التي كان الناس يخشون أضرارها. والحق أن الساحر الذي كان يستطيع دفع شرها، كان محبوبا من الشعب. وعلى النقيض من ذلك، كان أشرار السحرة يجلبون المرض والموت لأعدائهم بتعذيبهم وقتلهم في صورهم أو تماثيلهم (3) (in effigy).

(1) سيد كريم "السحر والسحرة عند قدماء المصريين". الهلال، العدد الأول يناير 1975، ص 48.

(2) المصدر نفسه، ص 49.

(3) ماكس مولر، المصدر السابق، الصفحة نفسها.

وكانوا يعتقدون أن ما يفعلونه بهذه الصورة المرسومة، أو بهذه التماثيل الصغيرة يحدث بالفعل، وفي الوقت نفسه لأعدائهم، فيتعذبون أو يلقون حتفهم. وعلى الرغم من معاقبة من كان يسيء استخدام السحر، فإن السحر الأسود كان شائعاً. وذلك يدعونا إلى الاعتقاد بأن المصريين القدماء كانوا يلجأون إلى القوة الروحية في صورها المختلفة ليضروا خصومهم بها (1).

وكان السحرة المصريون يستندون في سحرهم على النظرية القائلة بأن كل جزء من جسم الإنسان يعبر عن جزء من شخصيته، فشعره وأظافره وملابسه واسمه الذي يلصق به من المهد إلى اللحد، وصورته وأى شيء من أثره إنما يحمل بعضاً منه.

ولهذا جرت العادة عند قدماء المصريين أن يطلقوا على كل طفل وطفلة عند ولادته اسمين أحدهما الاسم الكبير وهو الاسم الرسمي له ويبقى سرا مكتوما عندهم لا يعلمه إلا والداه، والاسم الصغير الذي يعرف به بين أصدقائه وأقاربته، وينادى به في كل مكان، وكانوا يحرصون تماماً على عدم إذاعة هذا الاسم الكبير خوفاً من استخدامه في السحر لذريتهم (2).

وقد ذكر "ماسبيرو" أن مدارس السحر وجدت من أقدم العصور بجانب مدارس الكهنوت في بيوت الحياة الملحقة بالمعابد. ويعود بعضها إلى ما قبل الأسرات كجامعة أون (عين شمس). وكان ملوك الفراعنة، وخاصة في الدولة القديمة يعدون من مفاخرهم وضع تلك المدارس تحت رعايتهم وشملها بعنايتهم، وبلغ من تعظيم كل من "سنفرو" و"خوفو" 2860 ق. م أنهما ضما إلى ألقابهما لقب (رئيس السحرة).

وكان الطالب الذي يكرس حياته لدراسة السحر، ويحصل على درجات

(1) حسن الساعاتي، علم الاجتماع القانوني، 178، 179.

(2) انظر محمد جعفر، المصدر السابق، ص 19.

النبوغ والتفوق التي تؤهله لحمل لقب "شرحب" أى الذى أتم الاطلاع على الكتب الإلهية وعرف أسرار الكون ومنحه الإله تحوت السيطرة على القوى المحركة للوجود وإخضاعها لصالح البشر، ودفع عناصر الشر، كان لا يحمل هذا اللقب إلا إذا اختبر أمام فرعون وأقر له بالكفاءة وسمح له رسميا بمزاولة السحر.

ومن أشهر بيوت الحياة التى كانت تدرس السحر فى مصر القديمة كل من جامعات ومعابد: أون (عين شمس)، وإبيدوس، وخنت معين (إخميم) وسائيس، وطيبة وسيوة. ثم ظهرت مدارس الإسكندرية، ودندرة فى عهد البطالسة، ومدارس الآلهة إيزيس التى اعتبرت فى ذلك الوقت حامية السحر وأطلق عليها الرومان اسم (ربة السحر، ومعبودة السحرة).

وقد كان للسحرة مركز مميز، ومكانة خاصة فى كل من الدولة القديمة وخلال الأسرات الثانية عشرة والثامنة عشرة، وتقلد بعض السحرة المعروفين أعلى مناصب الدولة، وأصبحوا مستشارين لفرعون، وأعضاء فى مجلس الحكماء، كما كان الكثير من كبار الكهنة، والعلماء والأطباء يحمل لقب ساحر بجانب مهنتهم الأصلية.

ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن السحر فى مصر القديمة لم يقتصر على السحرة من الرجال فقط، بل كان لبعض النساء دراية تامة بالسحر والاتصال بالأرواح، كما أن بعضهن حملن لقب "عرافة المعبد". وقد دخلت التاريخ أسماء الكثيرات منهن أمثال ميليت، وأنهى، وروى. وبعضهن كن أميرات وملكات.

وقد ذكر "ديودور الصقلى" أن بعض الملكات تعلمن السحر من الكهنة وتخصصن فيه، وأن الملكة كانت تجلس بجانب الملك على العرش وتلازمه فى زيارته للمعبد محافظة عليه من السحر المضاد وهو ما يظهر فى بعض الرسوم والتماثيل عندما تظهر الملكة وهى تضع ذراعها على كتف الملك، أو خلف ظهره لتحميه من أعداء الخفاء، بينما تحميه الكوبرا أو الأفعى التى تتصدر تاجه وجبهته من العين الشريرة والأعداء المواجهين له (1).

(1) انظر سيد كريم، المصدر السابق، ص 49: 51.

ولقد تخصصت كل مدرسة من مدارس السحر في مصر القديمة في نوع معين من السحر، وما يرتبط به من معجزات يحتفظ بسرّها الساحر الأعظم أو رئيس الكهنة. فاشتهر معبد زايس "صالحجر" بسحر الأفاعى وفى مقدمته تحويل العصا أو حزام الوسط إلى أفعى بعد إلقاءها على الأرض، وقراءة التعاويذ السحرية عليها، كما كانت لهم قوة السيطرة على الأفاعى بالتعزيم عليها حتى تأتمر بأمرهم فيخرجونها من جحورها، ويبطلون من فاعلية سمومها أو يوجهونها إلى أى مكان يريدون لتنتقم من أعدائهم. وكانوا يعدون الأفاعى نوعاً من الجن الذى يتشكل بشكل الأفاعى.

ومعبد زايس المذكور هو الذى تعلم فيه سيدنا موسى، ودرس اللاهوت والحكمة وفاق بمعجزته بقية السحرة أمام فرعون عندما ألقى بعصاه فتحوّلت إلى أفعى أكلت أفاعى بقية السحرة.

كما اشتهر كهنة أهناسيا بمعجزات ما أطلق عليه سر الأحلام، وقراءة الغيب والوساطة والاتصال الروحى عن طريق الأحلام. وتحوى برديات "تورين" الكثير من صفحات كتب سحر الأحلام وكتاب مفتاح الأحلام.

وفى هذا المعبد درس سيدنا يوسف الرياضيات والفلك وعينه فرعون كاتباً بالقصر، وأميناً على المخازن، بعد نبوءته المشهورة فى تفسير الأحلام⁽¹⁾.

ولقد سيطر السحر على المصريين القدماء كسيطرة العقائد الدينية نفسها، فكانوا يستعينون به فى شئونهم الدينية والدنيوية معاً، كما كانوا يستعينون به فى مختلف أحوال حياتهم، وقد مارس السحرة جميع أنواع السحر بمختلف صورته التى عرفها العالم القديم أو المتداول منها حتى الآن ابتداء من التعاويذ والطلاسم، والتعزيم، وكتابة الأحجية بأنواعها، ومزاولة الطقوس السحرية والروحانية، والسرقي وسحر التمام، كما مارسوا تحضير الأرواح بجانب ما اشتهروا به من

(1) المصدر نفسه، ص 54.

الربط بين الفلك والسحر والتنجيم وقراءة الطالع والبروج السماوية وألواح المصير وقراءة الكف وكشف الغيب عن طريق "وعاء حورس المقدس". وهو وعاء كان يملأ بالماء، ويغطى بطبقة من الزيت يتلو عليه الساحر تعاويذه الخاصة فيظهر الإله حورس على شكل ضوء على سطح الزيت، ويعكس على سطحه صور ما يسأل عنه من خبايا وأسرار. وهو ما يطلق عليه اليوم اسم (المندل).

ومن معتقدات السحر عند قدماء المصريين أن لكل آدمي قريناً من الجن، يلزمه في الحياة، ويتبعه في الموت، ويسمى باللغة المصرية القديمة (كا) وكان يرمز له بذراعين مرفوعين. فالدنيا وفقاً لعقيدتهم، مليئة بقوى الأرواح المؤثرة، ويجب على الإنسان اتقاء ما يخشاه فيها من مختلف أنواع الشر ما استطاع بنفسه أى بقوة إيمانه ومناعته، أو بمعونة الغير في مقاومة، ومطاردة ما يهدده أو يحل به.

وقد نصت برديات السحر في الدولة القديمة على وجود الجان وعلاقتها بالبشر، وملازماتها للسكان في بعض الأحيان، وما يمكن عمله لإرضائها واتقاء شرورها (1).

وقد عرف المصريون القدماء نوعين من السحر: سحر مشروع، وآخر ممنوع ومخالف للقانون. وقد اعتقدوا أنه بواسطة السحر يمكن تنظيم الحياة والآخرة، ويمكنهم بواسطته كذلك الحصول على ما يرغبون، وأن يخضعوا القوى الطبيعية لهم وكان السحر المشروع يستهدف وقاية الناس من الأخطار التي تهددهم، كالحیوانات المفترسة والأمراض ونحوها. كما تسلح المصريون القدماء بالتعاويذ والتماائم التي كانت تؤدي بصحبة طقوس دقيقة.

ويحتل السحر مكاناً كبيراً في النصوص الدينية التي خلقها قدماء المصريين ولعل من المستحيل تقريباً أن نميز عندهم بين الترانيم والصلوات من جهة، وبين التعزيمات والصيغ السحرية من جهة أخرى. هذا بالإضافة إلى أن كثيراً من المركبات الطبية كانت مشفوعة بألغاز سحرية (2).

(1) المصدر نفسه، ص 52.

(2) انظر سيد كريم، المصدر السابق، ص 65: 66.

وكان المصريون القدماء يعتقدون أن كل داء من أعمال الأرواح الشريرة التي تتسلط بقواها الخبيثة على الأجسام فتصيبها بالأمراض. وهذه القوى الخبيثة عند مقابلتها بالتأثيرات الأقوى تهزم أمامها وتخرج من الجسم، فيشفى المريض. وقد اعتمد السحر كوسيلة من الوسائل العلاج على التأثيرات الروحية التي كانت نواة الطب النفسى الحديث.

وكان السحر من العلوم المعترف بها وتدرس فى مدارس المعابد، أو ما يطلق عليها بيوت الحياة بجانب الطب والكهنوت، ويحمل الساحر الذى يصرح له بمزاولة المهنة شهادة ولقبا من المعبد، ولا يسمح له بمزاولة المهنة بدونهما.

وكان كثير من كبار الأطباء يدرسون السحر بجانب الطب، ويحملون لقب ساحر بجانب مهنتهم. وكان لكتب السحر وبردياته مكتبات خاصة ملحقة بالمعابد، وكثير منها مرتبط بكتب الطب والدين. وقد اشتهر كهنة معبد منف بالذات بالجمع بين الطب والسحر بطريقة العلاج التى تجمع بين استعمال العقاقير الطبية المعروفة ومتابعتها نفسيا بالسحر والتعاويذ التى تعطى للدواء فاعليته وتأثيره بأمر الإله "تحوت" الذى يعد إلها للمعرفة والسحر والطب فى آن واحد (1).

وقد اتجهت العقائد المصرية القديمة إلى ربط كل جزء من أجزاء الجسم بالإله الذى يؤثر على هذا العضو. فإصابة بعض أعضاء الجسم أو سلامتها فى هذه العقائد وقف على هذه الآلهة. وهكذا ترى الإنسان قد أصبح يمثل نظاما مصغرا للكون، وارتبط بالآلهة التى صارت تمثل بدورها أجراما سماوية، وكأن الإنسان بأعضائه وعلى الرغم من ضآلته، يصور نظاما مصغرا للكون.

فالوجه الثالث من برج الجوزاء. حسب بعض المخطوطات القديمة. يؤثر على آلام العضلات، والوجه الأول من برج السرطان يؤثر على أمراض الأوردة والشرابين، والوجه الثانى من برج السرطان يؤثر على الرئتين، والثالث منه يؤثر على أمراض القلب وهكذا (2).

(1) Lynn Thorndike. A Short History of Civilization. P. 46 – 51.

(2) انظر سعد الخادم، الفن الشعبى والمعتقدات السحرية، ص 66.

وقد خلف المصريون مخطوطات كثيرة عن الوسائل السحرية، والوصفات التي تشبه إلى حد بعيد التعاويذ لعلاج الأمراض.

فإذا نظر إلى المرض على أنه من فعل روح شريرة دخلت الجسم، يركز السحر عليها إما بالأمر، حين يقال لها: "أخرجي يا كاسرة العظام، يا متسللة إلى الشرايين" أو بادعاء عدم الإذعان للروح الضارة: ففي أحد المخطوطات التي كتبت على ورق البردي تحت عنوان الأقسام السحرية للأم والطفل، وقد نشرها ماسبيرو، جاء ما يأتي:

" اختفى أيتها الميته التي تعيش في الظلام .. اختفى قبل أن تشرعى في فعلك الرديء فإذا جئت لتقبلي هذا الطفل فسوف أمنعك من تقبيله. وإذا أقبلت لتسكني صراخه، فسأمنعك من إسكاته، وإذا حضرت لخطفه فسأمنعك من اختطافه، فلقد نثرت التعاويذ ضدك مستخدمة في ذلك الخص المطعم بالثوم الذي تكرهين رائحته، واعتمدت أيضًا على الشهد الذي يبعد الموت عن الإنسان، كما استعنت أيضًا بكرة خيط فاخفتي أيتها اللعينة قبل أن تحققى أغراضك " (1).

وتشبه هذه الأقسام السحرية كثيرا مما ورد بالرقى الشعبية في مصر حتى أواخر القرن الماضي، فهذا نص يكاد يطابق النص الفرعوني الذي ذكرناه آنفا:

" ... ومن عين الجارة الساحرة المكاراة التي تخش للجارة بالسحر والנקارة، وتقول لها يا جارتى أنت من الله شاكرة، أنت من الله حامدة، بيتك اللى عمر، وولدك اللى كبر، ما خرجت هذه اللعنة من دار المسكينة إلا لما صحبتها حزينة، خربت القصور، عمرت القبور، ويتمت الأطفال بعينها الردية الخائنة المؤذية، تتبج كالكلاب على حجرها ولد، وفي يدها حربتين تعوى عواء الذئاب، وتصل صهيل الخيل، في ظلام الليل. قال لها: خزيتى من الله. عميتى يا كلبه يا

(1) A. Castiglioni. Incarnation et magie. Paris. Payot. 1951.

لعينة. ما شأنك وجارتك ، ترمى نيرانك وسحرك على الخيال فى رحمته والعروسة فى جليتها، والصبية فى خبيتها ، خليتى أمه تبكى وتتوح ، من قلب مجروح ، وأبوه يبكى ويئن من كل قلب حزين . إيناس إيناس . ما فيك يا عين منافع للناس . واحطك يا عين فى قمقم نحاس واسبكه عليك يا عين بالزئبق والرصاص ، وارميك يا عين فى بحر غطاس ، ما تلتقى يا عين ملجأ ولا خلاص . عزايى للصغير الناييم والشاب المكود ، والصغير المولود " (1).

وأحيانا يتقى المصريون القدماء شر المرض، بذكر اسمه كأن يقال: إنى أعرف اسمك. ألسنت أعرف اسمك ؟ وكانت معرفة الأسماء تمنح لمن يعزفها قوة التحكم فى أصحابها.

وفى بعض الأحيان كان المصرى القديم يعمد إلى تهديد الروح المؤذنة بالشر أو الأذى " أيتها الروح. أذكر كنت أم أنثى. اختفى يا ساكنة لحمى هذا. اخرجى من لحمى هذا .. أخرجى من أعضائى هذه، لقد أحضرت لك هذه الفضلات لتأكلها.. فاحترسى يا خفية واهربى ..".

أو يهدد المرض قائلًا : " انصرف يا ابن الزكام الذى يكسر العظام، ويهشم الجمجمة، ويصب المرض فى فتحات الرأس السبع " (دموع العينين، مخاط فتحتى الأنف، ألما فى الأذنين، التهابا فى الفم). وكان دواؤه لبن امرأة وضعت ذكراً، وصمغ، إلخ، وماتزال نساؤنا فى مصر تصفن لعلاجهن اللبن واللبن والعسل والملطفات (2).

كما كان المصرى القديم فى أحيان أخرى يتقى شر المرض بإدعاء الصحة والمناعة من المرض كأن يقول: " إنى سليم .. كيف أصاب وأنا سليم البدن ؟ لقد شاهدت الكارثة الفادحة ولكنها لم تصبنى بأذى. أنا الذى خرجت من هذه الكارثة سليماً معافى ."

(1) سعد الخادم، المصدر السابق، ص 68.

(2) بول غليونجى، طب وسحر، ص 60.

وقد يتجه المصرى القديم إلى الآلهة لطلب تدخلها فى الأمر، إما بأن يطالب صراحة بطرد الأرواح الشريرة .. " السلام عليك يا حورس يا أيها الموجود فى بلد المئات، يا حاد القرنين، يا بالغ الهدف، إنى قصدتك لأمدح جمالك .. ألا فلتقض على الشيطان الذى يملك جسدى "، أو بأن ينتحل ذات الإله كما ورد فى التعويذة الآتية: (أغربوا يا شياطين المرض، لن يصبنى الهواء .. اننى (حورس) الذى يمضى فى طريقه أمام (سخت) ولن أموت بسببك). أو أن يمنح كل عضو من أعضاء المريض صفة إله من الآلهة (إن قمة رأسك هى رع، وفقاراك هو أوزيريس، أذنك حيتان، ذراعك حورس، سرتك نجم الصباح، وإنما كل عضو فيه إله، وكل إله يحمى اسمك، وكل ما فىك ..). ونرى أهمية معرفة الاسم فى الفقرة: (وكل إله يحمى اسمك) ولا غرابة فى منح كل عضو صفة إله. فقد كانت هنالك نظرية تشريحية سادت الفكر الطبى حتى القرون الوسطى، تقول بأن لكل عضو علاقة بفلك، وعنصر، ومعدن معين، ومن العجيب أن أثر هذه الرمزية لازال باقيا حتى اليوم فى أسماء أجزاء الجسم، مثال ذلك جبل الزهرة، وفقرة أطلس.

أما طرق استخدام التعاويذ فكانت متباينة، فمنها ما كان يستخدم بمصاحبة علاج، ومنها التى كانت تتلى فى أثناء تحضير الدواء، فتضيف إلى تأثيره، أو تضيف على محتوياته صفة الدواء، ومنها التى كانت تتلى على الشخص المعوذ، أو على (حجاب) مكون من قماش أو خيط معقود، أو ريش طير، أو شعر حيوان .. إلخ، هذا الحجاب هو الذى كان يحمل قوة التعويذة فينقلها من الساحر إلى المريض، دون استخدام دواء ما (1).

وتعد التمايم والأحجية العنصر المادى فى فاعلية قوى السحر لدى قدماء المصريين، وكانت فى نظرهم الوساطة التى تنقل التأثيرية الفعالة لحماية الإنسان فى حياته الدنيوية، وفى رحلته فى العالم الآخر أو الحياة الأبدية.

(1) انظر سيد، كريم، المصدر السابق، ص 33: 34.

وانظر ما قبل، ص 16.

وقد كانوا يحملوها وهم أحياء، ويضعونها على أجسام الموتى اعتقاداً منهم بأن لها من القوى السحرية ما يدفع عنهم الأرواح الشريرة، بل وتجلب لحاملها الحظ السعيد والحياة الهائلة، وتحمى مختلف أعضاء الجسم.

وكان للتمائم المقام الأول في نفوس المصريين القدماء، فوضعوها على أعتاب المنازل، وتحت أعتاب الأبواب، أو داخل حجرات البيت، وكانوا يضعونها فى أماكن نومهم، وتحت وسائد رؤوسهم أو فى أماكن ممارسة أعمالهم اليومية، كما صنعوا منها وسائل زينتهم، فكانت المعلقة التى تتوسد الصدور، أو تتدلى حول الأعناق، أو تتوج لباس الرأس.

والتمائم إشارات رمزية اصطلاحية، لكل منها تعبير خاص، وتقوم كل منها بأداء دور معين. فبعضها يمثل رموزاً هيروغليفية تدل على صفات معنوية كالحياة، والقوة، والسعادة، والبقاء، والثبات، والاتزان، والحكمة، والجمال، وهى الصفات التى كان يستحب التمتع بها، وبعضها الآخر يمثل تماثيل الآلهة، وما تملكه الآلهة من قوة سحرية تخصيصية يستجيب كل منها لدعاء معين، ويلبى طلباً خاصاً.

وللمادة التى تتألف منها التمايم علاقة بقوة فاعليتها، فالذهب معدن يرمز إلى البقاء، وهو سلطان المعادن، ومنه تصنع عادة التمايم التى تمثل الآلهة ويلبى الذهب فى المعادن البرونز الذى يرمز إلى الصلابة والقوة الدائمة. وكانت التمايم تصنع أيضاً من الأخشاب المقدسة كالبلسم والأبنوس، كذلك العاج، والعظم، والفخار، والقشاني، إلى جانب مختلف الأحجار الكريمة، ونصف الكريمة.

وكان للألوان دورها التأثيرى السحرى بالنسبة للتمايم، فاللون الأخضر لتمايم الصحة والشباب، والأزرق لمنع الحسد وطرد الأرواح الشريرة، لذا كان الكف الحارس (الخمسة والخمسة الآن) وأوزات (العين المقدسة). تصنع من القيشاني الأزرق اللامع، أو حجر الفيروز، واللون الأبيض للطهارة والإخلاص، واللون الأسود لجلب الحظ والخير، واللون الأحمر لتمايم الشر.

أما الأحجية فكانت فى الغالب، من لوحتين صغيرتين من الخشب يكتب فى داخلها صيغ وتعاويذ خاصة، أو تحفظ بينها أوراق من البردى والنسيج تحمل مجموعة من الرموز والطلاسم السحرية. كما كانت بعض الأحجية تصنع من جلود الحيوان. وكانت تكتب بالحرير الأسود، أما الحبر الأحمر فيستخدم لرموز الشر.

وكانت الأحجية تلف برباط سبع لفات، أو تعلق بخيط به سبع عقد. كما كان بعضها يثبت حول الجسم أو العضو بنسيج من شباك الصيد لطرد الأرواح الشريرة ومنعها من الوصول إلى الجسم⁽¹⁾. ومازال الكثير من تلك المعتقدات وطقوسها فى مصر القديمة، متداولاً حتى الآن، عند عامة الشعب المصرى⁽²⁾.

ولقد ذكر ابن خلدون فى مقدمته " وكان للسر فى بابل ومصر أزمان بعثه موسى أسواق رائجة ولهذا كانت معجزة موسى من جنس ما يدعون ويتنازعون فيه وبقي من آثار ذلك فى البرارى بصعيد مصر شواهد دالة على ذلك⁽³⁾."

والحقيقة أن الديانة المصرية القديمة كانت على خلاف الديانة البابلية كلفة بإحراز السعادة فى الحياة الأخرى، بينما كانت الثانية تسعى أكثر ما تسعى إليه إلى الرخاء فى هذه الدنيا. وعلى الرغم من أن السحر وكشف الغيب لم يكونا وقفا على بابل، فقد ترعرعا هناك أكثر من أى مكان آخر⁽⁴⁾.

ونقل يهود مصر السحر عن قببطها، ومازالوا يعملون به ويتقنون فى أساليبه، وقد نقلوه إلى بلاد العرب، وعند ظهور الإسلام كان بعض العرب ومعظم اليهود يعملون بالسحر حتى أن اليهودى (لوسيداس) عمل سحراً للرسول ﷺ فى

(1) انظر سيد كريم، المصدر السابق، ص 61:65.

(2) انظر البحث الميدانى.

(3) ابن خلدون، المقدمة، ص 499.

(4) انظر ثورتيك، المصدر السابق، ص 58.

شكل خيط من الدوبارة، كان يعقد بها عقدا على أبعاد متساوية ثم ينفث في هذه العقد، وهو يتلو كلماته السحرية، كما صنع تمثالا من الخشب يمثل الرسول ﷺ ورشقه بالإبر ثم رماه في أحد الآبار. ونزلت بهذه المناسبة (سورة الفلق) وتمكن الرسول عليه الصلاة والسلام، من استخراج السحر من مكانه وإعدامه، فبطل وفسد عمله (1).

ومن سوريا ومصر، وبابل، وفارس ظهرت فئة من رجال الدين في تميز وانفصال عن باقي أفراد الشعب، وصار لأفرادها قدرات سحرية على نحو أو آخر. وقد صارت هذه الفئة قادرة على التأثير في مجرى السياسة. ولقد كان لأفراد هذه الفئة في مصر وبابل بصفة خاصة نفوذ يفوق نفوذ الملك نفسه أحيانا عندما كان يصطدم بهم. فقد هزموا أختاتون عندما اعتبروه (ملحدا)، كما أنهم تأمروا في بابل لإيقاع الهزيمة بها، وذلك باتفاقهم ومساعدتهم لسيرس "Cyrus"، عندما أبدى ملكهم ميلا معارضا لرجال الدين (2).

(هـ) السحر في الهند القديمة

أما في الهند فإن السحر كان وما يزال. يتخلل الاحتفالات المحفوفة بالمهابة وهي احتفالات دينية. والأعمال السحرية الأساسية هناك تتشكل من صيغ تقال همسا وتسمى mantra، وتمارس ليلا. أما أدوات السحر فهي متباينة ومتعددة منها بعض النباتات، وبعض المراهم، وبعض الأشياء المتعلقة بالموتى.

ويستهدف السحر في الهند أهدافا كثيرة متباينة كضمان الحب، والشفاء من الأمراض، وإخراج الأرواح من الممسوسين إلى غير ذلك، وتلنقى الأعمال النسكية

(1) انظر محمد جعفر، المصدر السابق، ص 20. وانظر أيضا ما بعد الفصل الرابع من كتابنا.

(2) B. Rusell. History of Western Philosophy. P. 23.

الخاصة باليوجا فى نقط كثيرة بالأعمال السحرية بالهند (1).

وتتضمن لغة (الأثار فافيدا) (Atharvaveda) كثيرا من عادات الشعب الهندى القديم، وكثيراً من التعاويذ والرقى التى تستخدم ضد الأمراض، وضد الأعداء، والوحوش، والجن، كما أنها تحتوى على تعاويذ ورقى تضمن السلام، والعمر المديد، والحظ السعيد.

ومن الطقوس السحرية التى كان ينبغى مراعاتها، فى الهند القديمة أن الزوج الذى يرغب فى إنسال طفل ذكر، فيجب عليه أن يدلك أنف زوجته بمسحوق من فروع شجرة الأثاب (2).

أما الطقوس السحرية المتعلقة بالزراعة فى الهند القديمة فيما بين 300 و 400 ق. م فإنها أكثر من أن تعد أو تحصى وقد احتل العرافون مكانة سامية بين الموظفين الرسميين بالقصر الملكى. وقد تأثرت منطقة غرب أوربا بالثقافة الهندية المتعلقة بالسحر ويتضح ذلك فى انتشار كتاب (سر الأسرار) (Secret of Secrets) الذى قيل أنه أكثر الكتب ذيوعا بالعصور الوسطى، وقد زعم الأوروبيون خطأ أن أرسطو هو الذى كتبه للإسكندر الأكبر (3).

(و) السحر عند اليونان القدماء

كان لظهور الإسكندر الأكبر باليونان، والفترة القصيرة التى استمر خلالها، أكبر الأثر فى تحول العالم اليونانى. فخلال السنوات العشر من 334 على

(1) انظر يوسف ميخائيل أسعد، السحر والتنجيم، ص 87.

(2) انظر ثورنديك، المصدر السابق، 222، 223.

(3) المصدر نفسه، ص 731.

324 ق.م، هزم الإسكندر كلا من آسيا الصغرى، وسوريا، ومصر، وبابل، وفارس وسمرقند، والبنجاب.

وقد حطم الإسكندر الأكبر الإمبراطورية الفارسية، وقد كانت أعظم إمبراطورية عرفها العالم، وذلك خلال ثلاث معارك، ولكن على الرغم من أن اليونان قد هزمت فارس، فإن فارس بدورها استطاعت أن تنتشر ثقافتها وغيبياتها القديمة باليونان، فانتقلت إليهم ثنائية زرادشت التي تتصور العالم كميدان معركة بين قوتين كبيرتين: أحدهما قوة الخير بقيادة أهورا مازدا، والثانية قوة الشر بقيادة اهريمان. كذلك انتقلت إليهم بعض المعتقدات الهندية، حيث كانت البوذية في طريقها إلى السيطرة على قلوب الهند (1).

ويرى "برتراند رسل" أن اليونان تعلموا التجيم لأول مرة في عهد الإسكندر الأكبر، على يد رجل كلداني اسمه بيروسوس (Berosus) (2).

(ز) السحر عند الرومان القدماء

عاش أباطرة اليونان الوثنيون في رعب من السحر، واتخذوا إجراءات تحميهم منه. وفي القرن الثاني الميلادي اتهم لوكياس أبو لياس (Lucius Apulus) مؤلف الرواية الشهيرة حول السحر المسماة الحمار الذهبي (The Golden Ass) بممارسة السحر الشرير اللا أخلاقي. وكان المتمرسون بالسحر يعدون مشعوذين ويحاكمون ويعاقبون (3).

والواقع أن انتصارات روما قديما جعلت العالم الغربي على ألفة بالسحر وتعاليمه وأيضاً بالتجيم. في روما كان المجال متسعاً أمام كل ساحر ومنجم

(1) انظر رسل، المصدر السابق، 241.

(2) المصدر نفسه، 250.

(3) الموسوعة البريطانية، المصدر السابق، مجلد 14، ص 575.

لنقدّم نفسه، ونشر تعاليمه، وكن بعض هؤلاء يحظى بمكانة رفيعة في الدوائر الحكومية. وفي روما كانت شهرة الكلدانيين ذائعة في مضمار السحر، وكان من المعروف أن أسرار السحر والتنجيم في حوزتهم وإن كانت ترجع في الواقع إلى المجوس⁽¹⁾.



(1) انظر رسل، المصدر السابق، ص 302.

الفصل الثانى

المفاهيم الأساسية والرتبطة بالسحر

تمهيد

نتناول في هذا الفصل مفهومات السحر الأساسية، فنشرح مفهوم السحر في اللغة العربية أولاً، ثم نوضحه من وجهة نظر القرآن الكريم، والشرع الإسلامى، ثم نفصل معنى مفهوم السحر من المنظور السوسيولوجى، والأنثروبولوجى، والسيكولوجى. كما نتناول في هذا الفصل أيضاً مفهومات السحر المرتبطة به وأهمها الخرافة، والتفكير الخرافى، والعرافة، والكهانة والشعوذة. وفى النهاية نتعرض لمفاهيم بعض الوسائل والإجراءات السحرية الهامة مثل التعويذة، وقياس الأثر، والحجاب، والعمل، والمندل والاستخارة، والتحويلة.

أولاً: المفهومات الأساسية للسحر

(أ) مفهوم السحر فى اللغة العربية

السحر فى اللغة العربية، كل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجرى مجرى التمويه والخداع، وكل ما لطف مأخذه ودق. والساحر يطلق على الذى يقوم بهذه الأعمال: وسحره بالشئ سحرًا أى خدعه، وسحر الشئ عن وجهه أى صرفه وسحره بكذا أى استماله وسلب لبه. يقال: سحرته بعينيها، وسحره بكلامه. وسحر الشئ أى أفسده (1).

" والساحر بصفة عامة هو الشخص (سواء كان رجلاً أو امرأة) الذى يقوم بأعمال السحر سواء كان محترفاً أم هاوياً بقصد ضرر غيره (سحر أسود) (Black Magic) أو فائدته (سحر أبيض White Magic)، ولما كانت الوسائل والطرق والمواد التى يستعملها الساحر فى عمله كلها غامضة مجهولة فإنه يمكن

(1) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الجزء الأول، 421.

أيضاً بواسطة هذه الوسائل والمواد الكشف عن الكنوز المخبأة أو رصدها أو إخفائها، كما يمكنه بنفس الوسائل والمواد الكشف عن حوادث الماضى والحاضر والمستقبل.

ولم نجد فى اللغة العربية أى لفظ يقوم مقام كلمة (الساحر) ويؤدى معناها تماماً بعكس اللغات الأجنبية ففيها ما يزيد عن العشر كلمات وكلها تعنى كلمة (الساحر ومنها:

Sorcer - Satanist - Magician - Wizard - Demonist -
Enchanter - Conjurer - Worlock - Sybil - Witch - Bedlam .

والثلاثة الأخيرة منها (تطلق على الساحرات الإناث فقط. ونلاحظ أن بعض هذه الكلمات مثل كلمة (Demonist) و (Satanist) تحمل معنى كلمة (الشیطان) وذلك للصلة المتينة بين الأخير والساحر.

"هذا وأول كلمة أطلقت على الساحر فى اللغة الأجنبية هى كلمة (Magician) المنشقة من الأصل اللاتينى (Magus) وتعنى الرجل الشاطر الحاذق الأريب وكان أمثال هذا الرجل الأريب فى الزمان الخالى هم قادة الفكر والعلم والمعرفة يفيدون بحكمتهم وعلومهم ويستفيدون .. وكانوا موضع احترام وتقدير جميع الطبقات يقربهم إليهم الملوك والنبلاء ويغدقون عليهم الهبات والعطايا. وبمضى الزمن ثارت النفوس الخبيثة على هذه الفئة القليلة واندست فى زمرتهم وتداخلت فى علومهم وتعاليمهم وادعوا العلم عن جهل وضلالة، وانقلب (Magus) الرجل العاقل الحكيم إلى (Magician) وهو الساحر الخبيث المؤذى ومن هذا العهد صارت هذه الكلمة الأخيرة وفقاً على طائفة السحرة" (1).

ويرى بعض الباحثين ضرورة التفرقة بين مظهرين للسحر مظهر يستخدم

(1) محمد جعفر، كتاب السحر، ص 46، 47.

فيه الساحر طقوسا وممارسات سحرية ويطلق عليه مصطلح (magic) ومظهر يتمثل في قوة غامضة تعتقد بعض الجماعات البدائية أن أفرادا معينين يمتلكونها وهى قوة فطرية Innate Power متوارثة عن الأبوين أو أحدهما وهى التى نطلق عليها مصطلح Witchcraft (1).

(ب) مفهوم السحر فى القرآن الكريم، والشرع الإسلامى

ورد ذكر السحر فى القرآن الكريم كثيرا بمعنى الخداع والتخيل، ومن ذلك قول الله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِيْنَ كَفَرُوا إِنَّ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (2) أى تخيل لا حقيقة، وخداع للبصر والحواس.

ويقال سحره أى صرفه عن وجهه وخدعه، ومن ذلك قوله تعالى فى سورة الأعراف: ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (3) وقوله تعالى فى سورة المؤمنون ﴿ سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ (4).

وأصل السحر هو صرف الشئ عن وجهه أى صرفه عن حقيقته إلى غيرها وكان الساحر لما رأى الناس الباطل فى صورة الحق وخيل الشئ على غير حقيقته، فقد سحر الشئ عن وجهه أى صرفه (5).

والسحر فى عرف الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته، ويجرى مجرى التمويه والخداع، ومتى أطلق ولم يقيد أفاد ذم فاعله قال

(1) John Middleton. and E. H. Winter, Witchcraft and Sorcery in East Africa, 1963.

(2) الأنعام، الآية 7.

(3) الأعراف، آية 132.

(4) المؤمنون، آية 89.

(5) أحمد الشرباصى، حديث السحر فى القرآن، الهلال يناير 1974، ص 15.

تعالى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ (١). حكاية عن موسى وسحرة فرعون أعنى أنهم موهوا على الناس حتى ظنوا أن حبالهم وعصيهم تسعى. وقال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَاهُمْ وَعَصِيُّهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْعَى﴾ (٢). وقد يستعمل مقيداً فيما يمدح ويحمد وهو السحر الحلال قال ﷺ: «إن من البيان لسحرا» لأن صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه ولطف عبارته ويقدر على تحسين القبيح وتقبيح الحسن، يسخط تارة فيقول أسوأ ما يمكن ويرضى تارة فيقول أحسن ما يعلم.

واختلف العلماء المسلمون في معنى السحر فقال بعضهم هو خدع ومخاريق ومعان بفعلها الساحر حتى يخيّل إلى المسحور الشيء أنه بخلاف ما هو به نظير الذى يريد السراب من بعيد فيخيّل إليه أنه ماء ويرى الشيء من بعيد فيثبت به بخلاف ما هو حقيقته، وكراكب السفينة السائرة سيرا حثيثا يخيّل إليه أن ما عاين من الأشجار والجبال سائر معه، قالوا فكذلك المسحور وتلك صفته يحسب بعد الذى وصل إليه من سحر الساحر أن الذى يراه أو يفعله بخلاف الذى هو به على حقيقته.

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ، لما سحر كان يخيّل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله. وعن عائشة أيضا قالت سحر رسول الله ﷺ يهودى من يهود بنى زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله يخيّل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله.

والذى يقال إن يهود بنى زريق عقدوا سحر لرسول الله ﷺ فجعلوها فى بئر ذروان حتى كان رسول الله ينكر بصره ودله الله على ما فعلوا فكان رسول الله يقول سحرتنى يهود بنى زريق وفى ذلك نزل قول الله تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ من شرّ ما خلق ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ ومن شرّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

(١) سورة الأعراف، آية ١١٦.

(٢) سورة طه، آية ٦٦.

والظاهر أن السحر عن طريق عقد العقد وقراءة التعاويذ عليها كان أمراً فاشياً في زمن الرسول.

وأنكر البعض أن يكون الساحر يقدر بسحره على قلب شيء عن حقيقته وتسخير شيء من خلق الله إلا نظير الذي يقدر عليه سائر بني آدم، أو إنشاء شيء من الأجسام سوى المخاريق والخدع المتخيلة لأبصار الناظرين بخلاف حقائقها. وقالوا لو كان في وسع السحرة إنشاء الأجسام وقلب لحقائق الأعيان عما هي به من الهيئات لم يكن بين الحق والباطل فضل ولجاز أن تكون جميع المحسوسات مما سحرته السحرة فقلبت أعيانها وفي ذلك وصف الله عز وجل سحرة فرعون بقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَهُمْ تُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْعَى ۖ﴾.

وقد تساءلوا كيف يفرق الساحر بين المرء وزوجه قيل إن معنى السحر تخيل الشيء إلى المرء بخلاف ما هو، في عينه وحقيقته، فتفريق الساحر بين المرء وزوجه تخيله بسحره إلى كل واحد منهما شخص الآخر على خلاف ما هو به حقيقته من حسن وجمال حتى يقبحه عنده فينصرف بوجهه ويعرض عنه حتى يحدث الزوج لامرأته فراقاً فيكون الساحر مفرقاً بينهما بإحداثه السبب الذي كان منه فرقة ما بينهما (1).

ويرى بعض علماء المسلمين أن مفهوم السحر يعنى (حصول أمر خارق للعادة غير مألوف للبشر خفى سببه يتخيله الناظر يجرى مجرى التمويه والخداع لقوله تعالى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾. ﴿تُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْعَى﴾.

والسحر في مفهوم البعض الآخر من علماء المسلمين "تأثير خفى في جسم بشرى يوجد انفعالا على غير إرادة المسحور وهذا في السحر غير المنظور" (2).

(1) انظر أحمد الشنتاوى، فنون السحر، ص 65، 66.

(2) سيد عبدالله حسين، الجن: في ذكر جميع أحوال الجن، ص 113.

وقد اختلف العلماء المسلمين في تعريف مفهوم السحر باختلاف مذاهبهم فيه فعرفه صاحب إرشاد القاصد بقوله:

" إنه علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقتدر بها على أفعال غريبة بأسباب خفية ".
وعرفه ابن العربي الفقيه المالكي بقوله:

" إنه كلام مؤلف يعظم فيه غير الله عز وجل وتنسب إليه الكائنات والمقادير ".
وبعضهم عرفه بقوله:

" إنه ما يغير الطبع ويقلبه عن حقيقته ".

ومنفعة السحر عند الإسلاميين أن يعرف ليحذر عنه لا ليعمل به. ولا نزاع في تحريم العمل به (1).

(ج) مفهوم السحر من المنظور السوسيولوجي والأنثروبولوجي والسيكولوجي

أثارت أهمية السحر في الثقافات البدائية مناقشات نظرية عديدة اشترك فيها كثير من الثقافات في ميادين علم الاجتماع، وعلم النفس، والأنثروبولوجيا أمثال تايلور Tylor، وفريزر Frazer، ووستر مارك Westermarck وهوبيرت Hubert وموس Mauss وماريت Marett، وليهمان Lehmann، ولوى Lowie ومالينوفسكى Malinowski، وسيجموند فرويد Freud أبو التحليل النفسي، وكيمف Kempf.

إن السحر في المفهوم السوسيولوجي، ليس مجرد نمط من الاعتقاد أو قطعة من الجهاز العقلي للإنسان، ولكنه فن تترجم فيه النظرية والاعتقاد dogma، في كل خطوة إلى فعل، وهو أيضاً شيء عملي جداً، فلا بد للسحر أن يأتي للزرع

(1) مصطفى فهمي الحكيم، أسرار الجن، ص 122.

بالمطر، وللحبيب بمحبوبته، وأن يتغلب على سوء الحظ .. إلخ وهو فن إنسانى بمعنى أنه يمارس فقط بواسطة الإنسان. وتعود جذور السحر إلى تعدد الأنشطة الإنسانية، وهو طريقة للسيطرة على قوى الطبيعة، وإلى لوى عنقها لمصلحة الإنسان وإرادته.

ويضيف السحر على ممارسيه، والمشتغلين به قوة اجتماعية كبيرة، ففى كل المجتمعات تقريباً نجد أن الساحر هو الشخص الوحيد، الذى يمكن أن يقارن بالحاكم من ناحية النفوذ، والتقدير والسلطة، وهكذا يلعب السحر هنا دور قوة هامة من قوى الضبط الاجتماعى.

ويعد المتخصصون فى السحر طبقة متميزة فى المجتمع، ويحرص الأفراد على الانتفاع بمعلوماتهم، وعلى ضمان سريان مجرد هذه المعلومات واستمرار تدفقها، وذلك من خلال توريث المتخصصين فى السحر إياها لأبنائهم فقط وهكذا يشكل السحر مصدراً للامتياز، والتميز والتوريث من جيل لآخر.

ولمفهوم السحر - من وجهة نظر سوسيولوجيا السحر - أهمية اقتصادية لأن ممارسيه يكافأون عادة من قبل هؤلاء الذين يقصدونهم للمساعدة ويرجعون خدماتهم، كما أن من يريد تعلم السحر، فلا بد له أن يدفع بسخاء.

والسحر من الناحية التقليدية مرتبط بالميثولوجيا، وبالماضى السحيق وعهود الآلهة، والأبطال، وهو مرتبط كذلك بجذور الإنسان الأولى، وبدايات الثقافة القبلية⁽¹⁾.

والسحر فى المفهوم الأنثروبولوجى يشير إلى مركب المعتقدات والأفعال التى يحاول الأشخاص والجماعات. على أساسها وبوساطتها. السيطرة على بيئتهم بطريقة تحقق أهدافهم. ولب الفعل السحرى هو أنه يستند إلى معتقد لم تختبر صحته، وأنه مجهود تحت السيطرة under control، والمظهر الأول يميزه عن

(1) Encyclopedia Britannica, Vol. 14, p. 624.

العلم، أما الثاني فيميزه عن الدين (1).

ويطلق فريزر (Frazer) على السحر علم الإنسان البدائي لأن كلا من السحر والعلم في رأيه نوع من التكنولوجيا. والسحر في نظره نوع من العلم الزائف والفرن الزائف وهو بمثابة محاولات من جانب الإنسان البدائي للسيطرة على الطبيعة والإفادة منها.

ويؤكد الأنثروبولوجيون مسألة خصوصية السحر وسريته، فيقول في ذلك "هوبرت" (Hubert)، و"موس" (Mauss): "إن السحر كى يكون مؤثرا يجب أن يمارس بطريقة سرية خاصة، وبفاعل يكون في حالة طقوسية خاصة"، وهنا يربط الباحثان بين قوة السحرة وقوة آخرين من الأشخاص ذوي القوة الطقوسية ritual specialist، مثل القسس والملوك (2).

ويعد "مالينوفكسى" (Malinowski) أول من ميز بين سحر العامة وسحر المتخصصين في كتابه سكان جزر التروبريانند. "Argonauts of the western pacific".

ويعد السحر في نظره فنا برجماتيًا يتعلق بتحقيق مطالب عملية، بينما يتعلق الدين بمسائل عامة وبعيدة المنال، ليس لها حل مباشر بل تقدم معنى للمشكلات التي يجابهها الإنسان في حياته وما كان منها متعلقا بالقدر والموت. والسحر عند "مالينوفكسى" لا يمثل العلم البدائي كما ذهب "فريزر" إلى ذلك، بل يعد على العكس من ذلك موضحا لمعرفة البدائيين على أن الفن والمعرفة الإنسانيين لهما حدود معينة (3).

(1) Gould and Kolb. Dictionary of the Social Sciences, p. 398.

(2) E. Seligman and A. Johnson, Encyclopedia of the Social Sciences Volumes IX - X, P. 39 - H. Hubert and Mauss. "Esquisse d'une Theorie Generale de la Magie". L'Annde Sociologique. Paris: Alean. 1902 - 3 Vol. VII. Pp. 1 - 146.

(3) Abram Kardiner, and Edward Preble, They Studied Man, p. 183.

وهكذا فإن السحر والفن العملى يقعان فى استقلال تام بعضهما عن بعض ولا يمكن أن يلتقيا أو يندمجا بعضهما فى بعض. فعندما يظهر للإنسان عجزه عن التحكم فى الواقع الموضوعى المطروح أمامه، فإنه يبدأ فى اللجوء إلى السحر كبديل للفن العملى. وهذا معناه أن هناك مستويين فى نظر (مالينوفسكى) للنشاط الإنسانى: مستوى عملى فى قدرة الإنسان، ومستوى غيبى يلجأ إليه عند العجز عن السيطرة على الظواهر وتسيير دقة الحياة. والمستويان لا يلتقيان بل يلجأ الإنسان إلى كل منهما حسبما يتطلب الموقف. فعند القدرة ووضوح الرؤية يلجأ إلى المستوى الأول الواقعى الموضوعى وعند العجز فإنه يسارع باللجوء إلى المستوى الثانى الغيبى⁽¹⁾.

ويرى "مالينوفسكى" أن السحر يخدم فى علاج كثير من سوء التوافقات والصراعات الفكرية، وذلك أنه يصف الفكرة المناسبة، ويقنن النغمة الانفعالية الملائمة، ويرسئ نمطا من السلوك يحمى الإنسان من لحظات الخطر، كما أنه يمد الناس بالقوى الدافعة إلى العمل، والاتحاد والارتباط، وهو ينمى صفات لازمة لكل عمل ناجح مثل النظام، والثبات والدقة والتنبؤ⁽²⁾.

ويذكر "مالينوفسكى" أن كل عمل سحرى يتميز بأشياء تقال، وأشياء تفعل، وشخص يصنع هذه الأشياء، وعلى هذا فإن التعويذة "Spell" والطقس "rite"، وحالة الشخص القائم بعمل السحر "Performer" تعد من أساسيات العمل الفعلى للسحر⁽³⁾.

والسحر فى المفهوم النفسى، والمفهوم التحليلى النفسى، يمثل امتدادا لمفهومه الأنثروبولوجى وقد استطاع فرويد أن يطبق استنتاجاته السيكلوجية بإزاء مجال علم الأنثروبولوجيا وبخاصة لدى تعرضه للطوطم Totem والتابوه Taboo وذلك فى كتابه الذى اتخذ عنوانه من هذين اللفظين والذى نشر لأول مرة عام 1912، ولقد كان هذا الكتاب يمثل مفارقة بين الميكانيزمات العصابية كما

(1) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(2) موسوعة العلوم الاجتماعية، المصدر السابق، ص 42.

(3) الموسوعة البريطانية، المصدر السابق، ص 624.

تظهر بالتحليل النفسى، وبين بعض النظم الاجتماعية والقبلية وبخاصة ما كان متعلقا بالمحرمات والطوطمية والسحر.

وبمقتضى النظرة الفرويدية، فإن السحر مرض نفسى يصيب بعض الأشخاص أو بعض المجتمعات، وهو بمثابة ردة إلى التفكير البدائى، أو هو ردة إلى مرحلة طفيلية، وبذلك يكون عرضا نكوصيا (1).

ويرى رجال التحليل النفسى التابعين لفرويد، وبخاصة فى كتابه (الطوطم والتابو)، الاتفاق مع مالىنوفسكى فى أن السحر فعال لأنه يعد نوعا من التفريغ الانفعالى بلغة التحليل النفسى.

وبينما يرى "فريزر" أن الرمزية فى السحر تشير إلى ارتباط زائف بين الأفكار فإن المحللين النفسيين يذهبون إلى أن هذه الرموز لها دلالة، لأنها تتجاوب مع المشاعر المكبوتة للساحر، وجمهوره (2).

ويرى "كيمف" Kempf حديثا أن المعتقدات السحرية magic beliefs تعد مجهودات نفسية علاجية لتهدئة الضغوط الفسيولوجية التى تحدث فى محيط اجتماعى. وقد صنع الإنسان أساليبه الثقافية ومعتقداته فى السحر لكى يضبط تلك الوظائف الفسيولوجية، بالضبط كما أجبرته آلام الجوع على أن يخترن طعامه لوقت الحاجة (3).

ثانياً: المفاهيم المرتبطة بالسحر

بعد أن تعرضنا للمفاهيم الأساسية للسحر، نتناول المفاهيم المرتبطة به، وهى مفاهيم وثيقة الصلة بالسحر أهمها الخرافة والتفكير الخرافى والعرافة

(1) S. Freud. Totem and Taboo. Pelican Books Chapter, 3.

(2) قاموس العلوم الاجتماعية، المصدر السابق، ص 399.

(3) قاموس العلوم الاجتماعية، المصدر السابق، ص 42.

والكهانة، والزجر، والعيافة، والتعاويز، والرقى، والطلاسم، والأحجية والعمل، والمندل، والاستخارة، والتحويلة.

(أ) الخرافة

(الخرافة) و(التخريف) و(مخرف) من الكلمات المتداولة بين الناس وفي الأحاديث العادية، وهى تشير إلى الكذب، أو الخيال، والبعد عن الواقع. فيقال أحيانا عن خبر ما أنه خرافة ويكون المقصود أنه خبر كاذب وقد يوصف قول ما بأنه (تخريف) بمعنى أنه بعيد عن المعقول ومن نسج الخيال.

وقد يوصف شخص ما بأنه مخرف. ويقصد من هذا أنه يهذى ولا يصح أن يؤخذ قوله على محمل الجد.

ويبدو من هذا أن كلمة (خرافة) ومشتقاتها فى الحديث العادى. وإن تفاوتت معانيها فى المواقف المختلفة نوعا ما. تلتقى عند معنى البعد عن الواقع الموضوعى، وعلى هذا فإن استخدام كلمة خرافة فى الأحاديث اليومية العادية يتفق فى هذه الناحية مع المفهوم العلمى لهذه الكلمة حيث أن البعد عن الحقيقة الموضوعية يعد علميا من الصفات الأساسية التى تميز الخرافة ومع ذلك فإن الخرافة فى الاصطلاح العلمى لا يقتصر معناها على مجافاتها للواقع.

فالخرافة فى التفكير العلمى هى اعتقاد أو فكرة لا تتفق مع الواقع الموضوعى بل تتعارض معه، ولكن ليس كل اعتقاد أو فكرة تتعارض مع الواقع الموضوعى تعد من الناحية العلمية خرافة، فيشترط فى هذا الاعتقاد أن يكون له استمرار، فهو ليس مجرد خاطر طارئ لموقف وقتى، أو تفسير عارض لظاهرة عرضية بل إن له وظيفة فى حياة من يؤمنون به ويستخدمونه فى مواجهة بعض المواقف وفى حل بعض المشكلات الخاصة فى الحياة⁽¹⁾.

(1) الخرافة مشتقة من اسم رجل من عذره استهوته الجن فكان يحدث بما رأى فكذبوه وقالوا حديث خرافة "مختار الصحاح".

والخرافة بعبارة أخرى تفسير يزود من يؤمن به، بوسيلة ما لمواجهة مشكلة لا يعرف صاحبها طريقاً أفضل منها لمواجهة هذه المشكلة.

فالاتقاد السائد عند بعض الناس من غير المتعلمين بأن خسوف القمر مثلاً يرجع على أن "بنات الحور" يمسكن به (أى بالقمر) وبذلك يمنعن نوره عنا، هو خرافة تفسير هذه الظاهرة لهؤلاء الناس الذين لا يعرفون تفسيراً غيره أو تفسيراً أفضل منه، وعلى هذا الأساس تبعت هذه الخرافة فى نفوسهم قدراً من الطمأنينة ذلك أنها تمكنهم من ابتداع الوسائل التى تصلح فى نظرهم للتغلب على المشكلة التى تعترضهم وعلى الخوف الذى يعترهم بسبب هذه الظاهرة، وهكذا تنتج الخرافة لهؤلاء الناس قدراً من السيطرة على الموقف. حتى وإن كانت تلك السيطرة مجرد وهم. فتراهم يسىرون فى الطرقات أحياناً يدقون الطبول وينادون "يابنات الحور. سيبوا القمر للنور".

ومثل هذا الاعتقاد له استمرار طالما بقى أصحابه على جهل بالعلاقات السببية الحقيقية لظاهرة خسوف القمر، ولهذا يعد (خرافة) من وجهة نظر الأفراد الآخرين الذين يعرفون العلاقات الصحيحة (1).

فالخرافة إذن اعتقاد خاطئ له استمرار يفسر ظاهرة ما، أو مشكلة ما يتكرر ظهورها فى حياة الناس. والحقيقة أن معرفة السر فى أية مشكلة مثيرة. أى إدراك العلاقات التى تتطوى عليها المشكلة، حتى وإن كان ذلك على أساس خاطئ. يخفف كثيراً من آثارها النفسية، ومما لا شك فيه أن أشد المشكلات إقلاقاً لشعور الإنسان بالأمن والطمأنينة، وأكثرها إزعاجاً له هى تلك التى تؤثر فى حياته. سواء أكان هذا التفكير واقعياً أو وهمياً. وهى تلك المشكلات المبهمة الغامضة التى لا يعرف لها تفسيراً، ومن ثم لا يعرف سبيلاً لمواجهةها أو الخلاص منها.

فالخطر الذى يعرف الإنسان حدوده فإنه يستطيع بطريقة ما أن يعد نفسه

(1) انظر نجيب إسكندر إبراهيم، ورشدى فام منصور، التفسير الخرافى، ص 18، 19.

لمواجهته أو على الأقل أن يتهيأ للتكيف معه، أو يوطن نفسه على قبول أسوأ احتمالاته فيصيب بذلك قدر من الراحة النفسية .. ولكن الخطر الغامض الذى لا يعرف الإنسان له حدوداً، ولا يعرف له مصدراً، فإنه يعجز عن أن يجد منه مهرباً، أو أن يعثر على وسيلة لتجنبه أو دفعه أو صدّه حين يقع .. وفى مثل هذه الأحوال يكون الإنسان بصفة عامة أكثر استعداداً للايحاء، فإذا أعوزه التفكير المنطقى السليم تطلع إلى الجواب البسيط حتى وإن كان جواباً غيبياً بعيداً عن المنطق. وإذا كان الموقف عاماً، أى يضم جماعة من الناس يتعرضون للمشكلات نفسها، ويعيشون الخبرات، والمشاعر ذاتها، تنتشر الجواب البسيط بينهم بسرعة كما تنتشر الإشاعة، أى يتوقف مدى انتشاره على أهمية الموضوع ومدى غموضه ثم يصبح خرافة.

فالخرافة تعد اعتقاداً يشترك فيه أفراد مجتمع ما، أو جماعة ذات ثقافة فرعية فى نطاق المجتمع العام. وعلى الرغم من أن الجماعة قد تشترك فى الاعتقاد بخرافة ما، إلا أن موضوعها قد يتنوع من فرد إلى آخر.

فقد تؤمن جماعة بأن بعض الأفراد يجلبون الشؤم، وآخرين يجلبون الخير لمن يصبح من الناس بهم مثلاً، ولكنهم مع هذا قد يختلفون حول تحديد الأشخاص الذين يتشاءمون منهم ومن مقابلتهم أو رؤيتهم. ونرى الشخص يحدد أفراد من الناس يعتبر مقابلتهم مجلبة لسوء الحظ بالذات ويحدد غيرهم من الأفراد يعتبر مقابلتهم مجلبة لحسن الحظ.

وبناء على ما تقدم يزداد انتشار الخرافات كلما زادت ظروف الحياة صعوبة، وكلما زادت الأخطار التى تهدد كيان الجماعة دون أن يجدوا الوسائل الإيجابية الفعالة لدريئها أو تجنبها، أى أن الخرافات تكثر وتعم وتنتشر بانتشار حالات القلق والاضطراب والشعور بالضعف والعجز عن مواجهة مشكلات الحياة

ومخاطرها (1). ولعلنا نجد في هذا ما يفسر انتشار الخرافات في أوروبا في العصور الوسطى المظلمة عندما تتعرض الإمبراطورية لغارات القبائل الهمجية. ويتحدث "برتراند رسل" عن انتشار الخرافات في تلك العصور فيقول: " كانت الحياة في تلك العصور مضطربة قلقلة مشحونة بالصعاب .. وكان الناس يحسون في كل لحظة أن الأرواح الشريرة تحاصرهم، ووقعوا نتيجة لهذا فرائس في أيدي المشعوذين والسحرة" (2).

والواقع أن مثل هذه الظروف القلقة المضطربة تجعل الإنسان أكثر استعدادا لقبول الأفكار الغامضة والتفسيرات الغيبية، وذلك لقصوره عن تحرى أسباب المشكلات التي يواجهها وعن فهمها فهما عميقا، ولعجزه عن التغلب عليها ودرء شروورها. وعلى هذا فإن الخرافة في العادة، يغلب عليها المضمون الغيبي والميتافيزيقي.

وتتلخص - تأسيسا على ما تقدم - الشروط التي تحدد الخرافة فيما يلي:

- 1- البعد عن الواقع الموضوعي.
- 2- شيوعها بين عدد كبير نسبيا من أفراد المجتمع.
- 3- الافتقار إلى العلية المنطقية أو العلمية. والاستناد في كثير من الأحيان إلى المفاهيم الغيبية والميتافيزيقية مثل الحظ والأرواح والسحر. وتستخدم هذه المفاهيم في تفسير ظواهر طبيعية يمكن في حقيقة الأمر تفسيرها تفسيراً سليماً بالالتجاء إلى الملاحظة المنظمة والدراسة القائمة على الشواهد الموضوعية (3).

" الخرافة إذن هي كل عمل أو فكرة أو عقيدة فردية أو جماعية تفسر ظواهر

(1) المصدر نفسه، ص 20، 21.

(2) B. Russel. History of Western Philosophy.

(3) O. Kretch & R. Crutchfield. Theory and Problems of Social Psychology.

العالم على نحو لا يلتئم مع العقل، ولا مع ما انتهى إليه العلم من مبادئ وقوانين. وهى ظاهرة اجتماعية عرفت فى الشعوب البدائية والمتحضرة ولا تزال تحيا خرافات فى الغرب والشرق برغم تقدم العلم والثقافة. وأكثر ما تدور الخرافة حول المعتقدات الشعبية والطقوس الدينية، ويختلف الحكم عليها من بيئة إلى أخرى ومن جيل إلى جيل، فما هو صواب شرقى جبال البرانس يعد خطأ غربيها، وما كان عقيدة بالأمس أضى خرافة اليوم⁽¹⁾.

وفى الإنسان ميل قوى إلى قبول الخرافة، طمعا فى اكتشاف الحجب وتوضيح الغامض، أو محاولة للدفاع عن النفس، ودرء الأمراض والأخطار، ومالا سبيل إلى معالجته عن طريق العلم، يلجأ فيه إلى الخرافة.

والسحر والتنجيم والشعوذة من خرافات الإنسانية جمعاء، والتقاؤل والتشاؤم والطيرة قامت على خرافات لدى الإغريق والرومان والعرب.

ولا شك فى أن للثقافة وطرق التربية ونظم الحكم شأنًا فى انتشار الخرافة أو محاربتها.

ومن المألوف ألا يسلم المرء فى يسر بخرافة بعض ما يعتقد، فى حين يتنبه إلى خرافات الآخرين، وقد يكون ما هو دين فى رأى واحد من الناس، خرافة فى نظر غيره.

"وقد شغل الباحثون بالخرافة منذ زمن بعيد فكتب فيها لوكريس (51 ق.م) وتوسع فيها فلوطرخس (125) وعنى بها علماء الاجتماع المعاصرون وبخاصة فريزر (1941) الذى كشف عما فيها من جوانب الخير والشر، وأشار أنها أسهمت فى تثبيت طائفة من النظم الاجتماعية الهامة، وهى الحكومة، والملكية الفردية، والزواج، واحترام الحياة الإنسانية"⁽²⁾.

(1) إبراهيم مذكور، الخرافة، مجلة الرسالة، عدد 100، ص 102، 104، 112، 116، 120.

(2) إبراهيم مذكور وآخرون، معجم العلوم الاجتماعية، ص 249.

علينا الآن أن نبحث فى العمليات العقلية التى تؤدى بالإنسان إلى الوصول إلى الخرافات والأخذ بها فى تفسير مشكلات الحياة واتخاذ الأساليب المناسبة لمواجهتها، بعبارة أخرى علينا أن نبحث فى عملية التفكير الخرافى.

(ب) التفكير الخرافى

إن التفكير الخرافى يختلف عن التفكير العلمى فى افتقاره إلى العلية أو السببية العلمية، ولكن افتقار التفكير الخرافى أو السببية العلمية لا يعنى افتقاره إلى السببية أو العلمية على الإطلاق.

فمشكلة التفكير الخرافى أنه يستند إلى أسباب غير طبيعية لتفسير أو حل المشكلات الطبيعية فيعزوها إلى علل صحيحة أو غيبية لا يستطيع تحديدها أو التحكم فيها، ومعنى ذلك أن الأسباب أو العلل التى يستنتجها الإنسان فى هذه الحالة لا ترتبط ارتباطاً أصيلاً بالمشكلة التى يحاول تفسيرها أو إيجاد حل لها، والواقع أن هذا الموقف رغم ما يبدو فيه من تناقض أمر مألوف بل وشائع حتى بالنسبة لكثير من المواقف التى يبدو أن التفسير فيها يقوم على أساس منطقى سليم أو التى يتوهم بعض الناس أنها تقوم على أسباب صحيحة من وجهة النظر العلمية.

فالتفكير الخرافى ليس ظاهرة خاصة خارجة عن الطبيعية أو لا يستخدمه إلا البدائيون بل إن الإنسان المتمدن قد يفكر تفكيراً قريباً من التفكير الخرافى وإن استند على حقائق علمية، فالمهم هو طريقة تناول الظواهر والحقائق، وطريقة ربطها. وقد ينحرف الإنسان دون وعى عن المنطق فيفكر تفكيراً خرافياً. والتفكير الخرافى فى رأى "جون ديوى" أمر طبيعى مثل التفكير العلمى سواء بسواء. وفى هذا المعنى يقول جون ديوى: "...إنه لا يوجد فرق بين قدرة عمود من الزئبق على التنبؤ بالمطر، وقدرة أحشاء حيوان أو سرب طيور على التنبؤ بنتيجة الحرب...". وبالتأمل الدقيق فى الأمر يتضح لنا أن قدرة عمود الزئبق فى ذاته على التنبؤ بالمطر لا يختلف من ناحية المنطق فى شىء تقريباً عن قدرة الودع مثلاً فى التنبؤ بالمستقبل. فإننا بالفعل لا نستطيع أن نفاضل بين الجانبين ونفضل الواحد عن

الآخر كتفسير لأى من الظاهرتين إذا أخذنا كلا منهما فى ذاته. ومع هذا فنحن نعلم أن أحد الموقفين صحيح من الناحية العلمية بينما الآخر خاطئ، ولذلك فإنه يعتبر خرافياً.

والواقع أنه إذا استطعنا بالفعل أن نتناسى معلوماتنا السابقة عن العلاقات القائمة فى كل من الموضوعين فإننا لا نستطيع أن نفاضل بالمنطق وحده بين سلامة وصدق إحدى العلاقتين وخطأ أو فساد الأخرى. وإذا كان الأمر كذلك فعلى أن نتساءل عن السبب الذى يجعلنا نحكم على إحدى العلاقتين بأنها علمية، وعلى الأخرى بأنها خرافية ونحن نعلم أن الأرصاد الجوية كثيراً ما تخطئ ولكننا مع ذلك نعتبرها علمية فى حين أن العلاقة الثانية (التنبؤ بالغيب عن طريق الودع) قد تصادف الصدق، ونؤكد مع ذلك أنها خرافية، المسألة إذن ليست مجرد صحة أو خطأ. المسألة فى الواقع ترتبط بمبدأ العلية أو السببية فالإنسان عندما يتكلم عن أسباب ظاهرة معينة أو عندما يتكلم عن وسائل تغيير ظرف معين أو تعديل ظاهرة ما فإنه فى هذه الحالة يدخل من الناحية الفلسفية فى ميدان العلية أو السببية سواء أكان على وعى بذلك أم لمن يكن.

والعلة أو السببية هى القانون الذى يربط سببا معينا بنتيجة معينة، وهو بمفهومه التقليدى يعنى أن كل ظاهرة طبيعية يمكن أن نرجعها إلى عامل (أو أكثر) تسبب فى حدوثها. فقانون العلية بالمعنى التقليدى يوجد العلاقة بين الأشياء على أساس علة ومعلول.

ولكن هل يمكن فعلاً أن ندرك العلاقة العلمية إدراكاً مباشراً ؟ لقد تشكك "هيوم" فى القرن الثامن عشر فى هذه القضية، ورفض فكرة أن العلية من المدركات المباشرة بل إنه ذهب إلى اعتبار أن العلاقة السببية أو العلاقة العلية (بالمعنى التقليدى) تقوم على أساس خرافى. ويدلل هيوم على رأيه فيقول: " .. إن مجرد رؤية شيئين أو حدثين مهما كانت العلاقة بينهما لا يمكن أن يعطينا فكرة عن قوة ما أو عن ربط بينهما. وإن مثل هذه الفكرة إنما ينشأ من تكرار تلازمهما. ولكن التكرار لا يكشف

فى الشئ أمراً ولا يسبب له أمراً، ولكنه أى (التكرار) يؤثر فى العقل فحسب ..".

ومجمل القول إن "هيوم" يؤكد لنا أننا لا نستطيع أن ندرك علاقات سببية، ولكننا نستنتجها من تكرار تلازم الأشياء. وأن فى عملية الاستنتاج يكمن الخطر، أى خطر البعد عن الواقع المدرك والوقوع فى خطأ افتراض صفات أو قوى فى الأشياء لا يوجد ما يبرر افتراضها. والواقع أن المعنى التقليدى للعلية الذى يذهب إلى أنه إذا تكرر ظهور حدثين بالتتابع فإن الأول يعد سبباً فى الثانى، هذا المعنى لم يعد مقبولا فى العلم الحديث وبخاصة فى فروع العلم المتقدمة. وهو إن استخدم أحيانا فإنما يكون استخدامه تجاوزا وبحكم العادة دون أن يقصد به المعنى التقليدى القديم. بل إنه يشير فى حقيقة الأمر إلى تتابع الأحداث لا أكثر، وقد استعيض عن إصطلاحات السبب والنتيجة فى العلوم الحديثة بأصطلاحات جديدة تشير إلى العلاقات بين الأشياء وتتابعها مثل "المتغير المستقل" إشارة إلى الحدث السابق فى الظهور و"المتغير المعتمد" إشارة إلى الحدث اللاحق.

وهنا يتضح أن مشكلة التفكير عموما. لا مشكلة التفكير الخرافى فقط. تتركز إلى حد كبير حول مفهوم أو مبدأ السببية (1).

ويمكننا أن نعرف الكثير عن منشأ التفكير الخرافى، إذا ما درسنا المراحل التى مر بها تطور التفكير الإنسانى.

وقد قام بعض المفكرين فعلا بدراسة التفكير الإنسانى وتتبع مراحل تطوره من المجتمعات الإنسانية الأولى حتى المجتمع الحديث، وكان "أوجست كونت" من أوائل من بحثوا فى تطور التفكير الإنسانى وقد قسم مراحل التفكير إلى ثلاث هى اللاهوتية، ثم الميتافيزيقية، ثم الوضعية، وذلك فيما أطلق عليه قانون المراحل الثلاث The law of the three stages، ومؤدى هذا القانون أن العقل

(1) انظر التفكير الخرافى، المصدر السابق، ص 24: 26.

الإنسانى يمر بمراحل ثلاث: المرحلة الأولى، وهى ما أسماها بالمرحلة اللاهوتية Theological، وهى تلك التى يفسر فيها العقل الظاهرات عن طريق نسبتها إلى قوى أو كائنات غير منظورة لها خصائص تشبه خصائص الإنسان.

والمرحلة الثانية، هى ما أسماها بالمرحلة الميتافيزيقية Metaphysical، وهى تلك التى يفسر فيها العقل الظاهرات عن طريق قوة مجردة مثل الطبيعة.

والمرحلة الثالثة وهى ما أطلق عليها ما أسماها بالمرحلة الوضعية Positive وهى التى يقنع فيها الإنسان بملاحظة الظاهرات واستخلاص الروابط التى توجد بين بعضها البعض (1).

ويرى "جون ديوى" و"آرثر بنتلى" إمكانية تتبع ثلاث مراحل متميزة فى تطور التفكير الإنسانى هى:

أولاً: مرحلة الحركة الذاتية Self - Action :

وتتميز بمحاولة الإنسان تفسير كل ظاهرة من ظواهر الكون بمعزل عن غيرها من الظواهر. فلم يكن الإنسان فى تلك المرحلة قد أدرك ما بين الظواهر الكون جميعاً من علاقات. وقد أدى هذا الموقف بالإنسان إلى افتراض وجود قوى غيبية فى كل الأشياء وفى كل ظاهرة طبيعية تحركها وتفسر سلوكها. وقد أطلق علماء الأنثروبولوجيا على هذه المرحلة اسم المرحلة الأنيمية Animistic Stage.

ثانياً: مرحلة التفاعل Interaction

وفى هذه المرحلة كان قد تجمع لدى الإنسان قدر هائل من المعلومات والمعارف التى وجهت نظره إلى ما بين الأشياء فى الكون من علاقات. وبدأ

(1) Raymond Aron. Main Currents in Sociological Thought, P. 65 - 66.

الإنسان ينظر إلى الطبيعة على أنها عدد هائل من الجزئيات ذاتية الحركة، وأنها يؤثر بعضها في البعض الآخر على الدوام مما يؤدي إلى حدوث الظواهر التي تقع تحت حس الإنسان وفي محيط خبراته. وقد أدت هذه النظرة بالإنسان إلى أن يتبع المنهج التحليلي في دراسة الطبيعة وما فيها من أشياء. وقوام المنهج التحليلي هو التعرف على الجزئيات التي يتكون منها الشيء أو الظاهرة فإذا تمت دراسة تلك الجزئيات أمكنه بعد ذلك تحديد التفاعل بينها ونتائجها.

ثالثاً: مرحلة الفاعلية Transaction

وفي هذه المرحلة بدأ الإنسان يرى في الكون وحدة متكاملة. وبدأ يدرك استحالة تحديد صفات أى جزء (أو جزئ) في الكون بمعزل عن الوسط المحيط به. وفي ضوء هذه النظرية لم يعد ممكناً أن يرى الإنسان أو أن يتعامل مع شيء ما في ذاته. ولا يمكن دراسة صفات الجزئيات أولاً لتحديد ما يحدث بينهما من تفاعل بعد ذلك، فإن صفات الأشياء أو الجزئيات تتحدد بنوع التفاعل الذي تعمل فيه وليس العكس. هذه النظرة اتخذت صيغة محدودة في علم الطبيعة على يد "أينشتين" وأصبحت تعرف بنظرية النسبية.

ومن الأهمية بمكان أن نعرف أن تقسيم مراحل تطور التفكير الإنساني بهذه الصورة أو بأية صورة أخرى غيرها لا يقصد به، اعتبار هذه المراحل منفصلة بعضها عن البعض الآخر، أو أن قيام مرحلة من المراحل يعني انتهاء المرحلة السابقة لها تماماً. فالواقع أن المرحلة الأولى مثلاً مازالت قائمة حتى اليوم عند بعض المجتمعات الإنسانية، بل إنها مازالت قائمة في بعض جوانب الحياة في أكثر المجتمعات الإنسانية تقدماً.

ولا شك أن أكثر مراحل التفكير الإنساني سذاجة هي مرحلة الحركة الذاتية أو المرحلة "الأنيمية". ومن الممكن إرجاع بعض الخرافات وبعض رواسب التفكير الخرافي في المجتمع الحديث إلى تلك المرحلة. وقد كان "إدوارد تيلور" هو أول

من تكلم عن هذه المرحلة وأول من حدد معنى "الأنيمية" على أنها نمط من أنماط التفكير. ويقوم المفهوم "الأنيمي" على فكرة أن الإنسان بصفة عامة، والإنسان البدائي بصفة خاصة، يميل إلى تصور العالم الخارجى على نحو شبيه يتصوره لذاته. فالإنسان عندما يعوزه الإطار المرجعى الخارجى الذى يقيس به الأشياء تصبح ذاته هى إطاره المرجعى. وهذا هو حال الإنسان الأول الذى كانت خبراته عن البيئة المحيطة به محدودة للغاية. ولما كانت فكرته عن ذاته أن له جسمًا ماديًا محسوسًا يتحرك وروح محسوسة تكمن فى الجسم وتحركه بإرادتها⁽¹⁾، فقد توهم أن ما يحيط به من كائنات وأشياء على نفس صورته، أى تصور أن لها مظهرها المادى الذى يراه وأن لها الروح التى فى الكيان المادى والتى تسيّره بحسب إرادتها. ومن السهل علينا فى الواقع أن نتصور السر فى اتجاه الإنسان الأول نحو هذه اللون من التفكير، فقد كانت الحيوانات والنباتات والجمادات تتحرك من حوله وتأتى أنماطاً شتى من السلوك تساعد فى سعيه أحياناً، وتعطله أحياناً بل وربما تهددت حياته بالفناء. ولقد كانت خبراته محدودة. فلم يكن وراءه تراث يستند إليه ويبنى عليه، ولم يكن قد تعلم الكتابة التى تنقل التراث، ولم تكن حياته مستقرة بالشكل الذى يتيح له امتحان أفكاره ومراجعة معتقداته عن طريق الملاحظة المنظمة. ومع ذلك فقد كان لابد له من أن يجد تفسيراً للظواهر المحيطة به وبخاصة ما كان منها يمس حياه أو يؤثر فيها بشدة.

ولكن القول، بأن تفكير الإنسان وتفسيره للظواهر المحيطة به فى المراحل الأولى من حياته كان تفكيراً "أنيمياً" لا يعنى أنه لم يكن سوى تفكير "أنيمي". فالإنسان فى سياق خبراته فى الحياة كان ولازال يعمل فى سبيل السيطرة على البيئة. وقد كان كفاح الإنسان الأول موجهاً أساساً نحو تحقيق أهداف عملية مباشرة، وكانت أساليبه فى ذلك أساليب عملية إيجابية طالما كان قادراً على القيام

(1) نرجع هذه الفكرة إلى خبراته عند الأحلام، والإغماء والموت حيث يظهر التمايز بين الجسم والروح.

بالعمل الإيجابي. وقد كان عليه أن يبحث عن مواطن الغذاء ويدرس عادات الحيوانات التي يصيدها أو التي يخشى ضررها. وكذلك كان عليه أن يدرس البيئة التي يعيش فيها للتوافق معها. وتعد الرسوم التي خلفها الإنسان الأول في بعض الكهوف القديمة، أدلة ناطقة على قدراته في تلك الجوانب من الحياة. ولكن عندما كانت قدراته تتعطل وتعجز أو عندما كانت تتهددها الأخطار، فإنه كان يلجأ إلى الأفكار الخرافية وإلى التفكير القائم على (الأنيمية) وهكذا اختلطت عند الإنسان الأول بذور العلم بالتفكير الخرافي ⁽¹⁾. ولم يكن غريباً والحال هكذا أن يعبد الإنسان الأول الكثير من الآلهة وأن يقدم إليها الذبائح والقرابين، فقد تصور كثيراً من ظواهر الطبيعة كائنات حية مثله وإن كانت تفوقه في القوة، وتؤثر في حياته تأثيراً شديداً. فكان لابد له أن يسترضيها. لقد كانت الشمس والعواصف والنار، والصواعق وغيرها من الظواهر الطبيعية التي روعته وأثارت اهتمامه بشدة بأسها وتأثيرها في حياته، فتصورها كائنات هائلة القوة استسلم لها.

إنها عملية الإسقاط التي نشاهدها حتى الآن في الأطفال الصغار الذين يتعاملون في كثير من الأحيان مع الجمادات كما لو كانت حية مثلهم. وهي الظاهرة نفسها التي نشاهدها في تصرفات الكبار أحيانا في المواقف المخرجة أو المواقف القاسية والخطرة، حيث يرتدون بتفكيرهم إلى المستوى الطفلي "الأنيمي" فيسخطون على الجمادات ويلعنونها ويضربونها أو حطمونها وكما ينمو الطفل ويتصور تفكيره، كذلك نما الإنسان الأول وتطور تفكيره.

ولكن الكثير من أنماط التفكير الماضي بقيت معه تعيش جنباً إلى جنب مع الأفكار المتمدنة. فقد تلبس تلك الأفكار أروية جديدة ولكننا إذا أزعنا الرداء الجديد وجدناها هي بذاتها خرافات الماضي السحيق.

ويكشف علم الأساطير Mythology عن أن كثير من هذه الخرافات القديمة

(1) B. Malinowski. Magic Science and Religion, pp. 1 – 7.

لاتزال حية بصورة أو بأخرى في حياة الناس في أرقى المجتمعات الإنسانية. وعلى أية حال فإن بيت القصيد بالنسبة لعملية التفكير القائمة على "الأنيمية" هو أن هذا التفكير كان تفكيراً يقوم على أساس النظر إلى الأشياء مستقلاً بعضها عن البعض الآخر دون التظن إلى ما بينها من ارتباط بحيث يبدو كل حدث كأنه قائم بذاته مستقل عن غيره من الأشياء. وبعبارة أخرى كانت علة سلوك الشيء وحركته هي قوته الذاتية، وكان هذا هو مبدأ العلية عند الإنسان الأول، وكان من الطبيعي أن تكثر خرافاته وتعم وينتشر السحر، وهو أسلوب الإنسان الأول في التحكم في القوى والأرواح الخفية الكامنة في الناس وفي الأشياء.

ولم يكن هناك والحال هذه، حدود للتطرف والبعد عن المعقولة من وجهة نظرنا الآن، إذ من الممكن أن يصف الإنسان أى شيء بأية صفة وتنتشر الفكرة على أساس أنها حقيقة طالما كان مصدر الصفة قوة روحية لا ترى ولا تحس، فعند حدوث مثيرين في وقت واحد مثلاً، قد يوحى مجرد ازدواجهما أو تواجدهما معاً بأن واحداً منهما سبب الآخر أو أنه أحدثه بقوته، ثم في تعميم الخبرة الواحدة بعد ذلك وتصبح نمطاً جامداً للتفكير، فمجرد التلازم العارض أو العرضي بين الأحداث والمثيرات يؤخذ على أساس أنه سبب ونتيجة، وتفسر الخبرات التالية على هذا الأساس (1).

ويرى (سكنر) أن هذا هو الأساس في نشأة الخرافات وأنه يشبه انزعاج الطفل من الكلاب نتيجة عضه كلب واحد كما يشبه حالة النفور التي يثيرها في الكبار، شخص غريب إذا كان يشبه شخصاً آخر ييغضونه بغضاً شديداً لسبب ما (2).

فالتشاؤم من البوم "ونعيقه" مرجعه إلى الخرافة الشائعة عندنا والتي قوامها أن البوم يسبب الخراب والكوارث أينما يحل. وأغلب الظن أن هذه الخرافة ترجع

(1) التفكير الخرافي، المصدر السابق، ص 29 - 30.

(2) B. F. Skinner, Science and Human Behavior, p. 55.

فى الأصل إلى أن (البوم) يقطن الأماكن الخربة ويهرب من الأماكن الأهلة بالناس، كما أن نظره يعشى بالنهار فيلجأ إلى الخرائب ويرى جيدًا فى الليل فيصحو لبحث عن غذائه من الحيوانات الصغيرة مثل الفيران. وهكذا نجد أساس الخرافة فى اجتماع البوم ومظاهر الخراب. وبناء على ذلك وقر فى الأذهان من قديم أن البوم يجلب الخراب. ولما كان البوم من الطيور غير الأليفة، كما أنه أيضا من الطيور غير المألوفة لأنه يختبئ فى النهار ويخرج فى الليل للصيد، وأنه ينعق أثناء الليل عندما يكون بعيدًا عن الأعين فيحيط به لون من الغموض، فقد أصبح صوته - وهو رمز لوجوده - نذير سوء.

وإذا أخذنا الخرافة التى ترتبط بالرقم (13) والتى تجعل كثيرًا من الناس فى مختلف أنحاء العالم وبخاصة فى الغرب يتشاءمون منه، لوجدنا الظاهرة نفسها. ونعنى بهذا أن الترابط العارض بين حدثين أدى إلى خرافة كان أو مازال لها اثر كبير فى الكثيرين وفى نمط توافقهم فى الحياة وترجع هذه الخرافة إلى العقيدة المسيحية التى تقول بأن الاجتماع الأخير للمسيح بتلاميذه كان يضم (13) شخصًا هم المسيح وتلاميذه الأثنى عشر. وقد تنبأ المسيح فى ذلك الاجتماع بأن أحد تلاميذه الحاضرين معه سوف يشى به إلى أعدائه من اليهود وسيسلمه إليهم. وقد وقع عقب الاجتماع ما تنبأ به المسيح، وحوكم ثم قرر اليهود صلبه وهكذا فإن مجرد المصادفة فى حادث درامى أليم قد أدى إلى انتشار هذه الخرافة، مما جعل الناس يتشاءمون من هذا الرقم حينما يلتقون به لدرجة أن كثيرًا من الفنادق المرتفعة فى الغرب تتخطى هذا الرقم فى ترقيم حجراتها، بل وأيضًا بالنسبة لترقيم المبنى حيث تنتقل فى الترقيم من الطابق الثانى عشر إلى الرابع عشر مباشرة .. ثم أن التشاؤم من يوم الجمعة وهو تاريخ الصلب، وخاصة إذا جاء فى الثالث عشر من الشهر يرجع إلى نفس المنطق الذى يربط بين الحوادث لمجرد تتابعها أو تلاقيها بالصدفة المحضة ويزداد الأثر إذا كان الموقف خطيرًا أو أليما باعًا على الانفعال الشديد (1).

(1) انظر التفكير الخرافى، المصدر السابق، ص 33.

ويرى "هاند" أن الاعتقاد الخرافي كان يزدهر دائما أشد الأزدهار حين يكون الأفق العقلي للإنسان مخفضا، وقدراته على الاستدلال محدودة وإذا كانت العلاقات بين السبب والنتيجة غير مفهومة على وجهها الصحيح. فالشخص غير الموجه توجيهها سليما، فى أى زمان أو أية ظروف يمكن أن يكون ميالا للتشبث بأول تفسير للظاهرة يقدم له، ويمكن بنفس هذا المنهج المندفع أن يؤثر ويفضل حلا مدهشا أو مربكا على الحل الأسلم والمعقول السبب.

وإذا ما فتشنا فى التاريخ الماضى عن تفسير للنزوع إلى تفسير الظواهر والأحداث فى إطار ذاتى، فسنواجه حقيقة مؤداها أن الأفكار الخرافية ليست كلها نتيجة استنتاج شخصى معين. ويبدو أنه كانت توجد دائما مجموعة من الأفكار الموروثة من أزمنة ماضية، هى عنصر مترسب وكلها خرافية تطيرية وهذا الراسب كثيرا ما يحمل مفهوم عنصر مريب أو مرفوض.

ولم يتم الاتفاق قط على الاشتقاق الدقيق لكلمة الاعتقاد الخرافي بالإنجليزية، بيد أن مقابلها الألمانى يبدو أنه يدعم فكرة الإيمان الخاطئ أو الزائف التى إما أنها عاشت أو نبتت خارج حدود الإيمان أو الاعتقاد المقبول، والألفاظ المقابلة بالألمانية والهولندية والدنمركية ألفاظ تغيد الوجهين، وتتجاوز فى هذه الناحية اللفظ اللاتينى الذى معناه مجموعة أفكار أو نسيج من الأفكار المريبة غير الشرعية. وهناك لفظ هولندى آخر يؤكد أن مثل هذه المعانى المريبة أو المشكوك فيها نتج خارج نطاق المعايير المقبولة للتفكير والإيمان.

وثمة وجه آخر أيضا يرى فى أقرب لفظ إغريقى معادل للاعتقاد الخرافي وهو "مخافة الأرباب" فهذا اللفظ الإغريقى يعبر. أوضح من أى تعريف آخر. عن اهتمام الناس بالقوى التى لا تدرك، والتى تقوم وراء الكون المنظور، وتوقظ فيه لا مشاعر الروح فقط، بل مشاعر الخوف أيضا. وهذه المواجهة الأساسية مع القوى المحيطة به سواء أكانت حية أم غير حية. هى التى تجبر الإنسان على تنظيم عالمه الخاص من التفكير والعمل. ويبدو أن هذا الإكراه عالمى، يشمل الإنسان إلى

درجة كبيرة أو صغيرة فى كل مراحل الحضارة، ويدفعه إلى الاستفادة من الأوضاع المواتية حيث يدفعه هذا إلى محاولة إبطال مفعول القوى الشريرة أو المشؤمة المزعومة التى تعترضه، مهما اقتضاه هذا من ثمن، وكلما أمكنه ذلك.

وفى حين يشيع الظن بأن هذه المعتقدات القديمة والممارسات الخرافية ميراث قوم مازالوا فى حالة بدائية، أو جاهلية، وأن هذه الأفكار الخاطئة الطريفة ظلت حية فى المجتمع المتمدن لدى العامة غير المتعلمين، نجد أن التجربة قد علمتنا غير هذا. فالتفكير الخرافى موجود لدى كل طبقات المجتمع، ونلقاه لدى أناس على كل مستويات التعليم ودرجاته.

ونترك جانباً الإنسان البدائى، مادام الكثير من حياته العقلية والروحية قائماً على أدنى المعرفة بالعالم المادى الذى يحيط به، ولننظر. من باب أولى. إلى من يمثلون زماننا هذا، وحالتنا الراهنة، ملتسمين لديهم أمثلة توحى إلينا بمدى المعتقدات والممارسات غير العقلانية التى تكون المجموع العام للعتاد العقلى الحديث المعروف باسم التفكير الخرافى.

فنجد. على سبيل المثال - رجلاً من رجال المال بنيويورك يرى نفسه مجبراً على ارتداء ربطة عنق - مجلبة للحظ - وهو ذاهب إلى سوق الأوراق المالية، ونجد تاجراً فى هامبورج يبرم أول بيع فى يومه باى ثمن كان، كى يضمن - بتعبير مجازى - صفقات بيع طيبة طيلة هذا النهار، ونجد سكان الجبل فى كاورلينا الشمالية يمررون الصغار من خلال جذوع الأشجار المشقوقة ليخلصوهم من ضيق التنفس أو غيره من الأوجاع. ونجد صيادى السمك الإنجليز يطوحون إلى البحر جزءاً من أول صيد لهم، لكى يكون ما يأخذونه من البحر محصولاً سخياً جزيلاً. ونجد مديعاً لمباريات الرياضة لا يشير إلى أن هدافاً يتقدم نحو الهدف، حتى لا "تتحس" هذه الحقيقة اللاعب وتحيط جهده. وهناك الاعتقاد الذى يكاد أن يكون عالمياً بأن الدم البرئ الذى أهدر لا يمكن أن يمحق. وكذلك التحريم العالمى للذئوع لإشعال السجائر لثلاثة أشخاص بعود تقاب واحد، والإيمان المنتشر

بالأثر السحري للأرقام 3 و7 و9، والنفور العالمى من الرقم 13 فى معظم أرجاء العالم الغربى (1).

ويمكن للقائمة أن تمتد إلى مئات الألوف من العناصر التى تكون رصيد المعتقدات الشعبية والأفكار الخرافية فى العالم المتحضر. وما من أحد يعرف. ولو بالتقريب. كم من هذه المعتقدات التى انقضى زمنها يمكن أن توجد فى أى قطر، لأن تنويعات منها تبتكر بسهولة، وعناصر جديدة تصاغ على غرار النماذج القديمة بتداعى الفكر وترابطه. وهذه الصفة الإبداعية للعقل هى التى تفسر بالضبط التشعب الواسع للأفكار البسيطة، وتجعل المعتقدات والخرافات الشعبية أكثر أنواع الفلكلور المتبقى من العصور السابقة تكاثرًا.

ويكفى مثال واحد للتفكير الاقترانى لتصوير سهولة تنقل المادة الفولكلورية من قطر إلى قطر، وسهولة تكيف العناصر المفردة من موقف إلى موقف. وهذا المثال يتعلق بتحريم الصغير. ويبدو أن هذا التحريم كان مرتبطًا ارتباطًا بارزًا بالمراكب - على الخصوص فى زمن استخدام الأشرعة - حينما كان المعتقد أنه يحسب الملاح أن يصفر كى يجلب على سفينته إعصارًا دون أن يفطن. ومن الناحية الأخرى، عندما تقف سفينة فى مكانها لقلة الريح، ففى وسع النوى الحفيف أن (يصفر ليوظ الريح) كما يقولون. ولكى هذا الصغير كان يعد (استحضارًا سحريًا)، لا يلجأون إليه باستخفاف ونزق. وسرعان ما اكتشف أن تحريم الصغير موجود أيضًا فى المناجم، ولكن علاقة ذلك بالرياح غير قائمة. ثم عرف بعد هذا أن عواقب الصغير السيئة تنطبق أيضًا على المسارح، لاسيما فى غرف ملابس الممثلين. ولم يعرف بعد كيف وصل هذا التحريم إلى حجرات الصحف فى المدينة وإلى غيرها من المؤسسات، ولكن الخوف من أنه قد يسبب النحس أو سوء الطالع كان سببًا كافيًا كى يتقبل الشخص سريع التصديق هذا

(1) انظر ويلاند د. هاند، "مخافة الأرباب" الاعتقاد الخرافى والمعتقد الشعبى فى الفولكلور الأمريكى، تأليف 25 باحثًا من المتخصصين، ترجمة نظمى لوقا، ص 339: 343.

التحريم بدون تساؤل، على أساس إحساس ظاهري بالترابط المنطقي. وسواء أكان أصل هذا التحريم قائماً على الظن بأن المرء إذ يصفر (يستدعى الشيطان). كما يظن كثير من العلماء. أو كان مرجعه إلى الزمن الذي قيل أن النساء كن يقفن فيه جانباً ويصفرن بلا اكتراث بينما كان الحدادون الفجر يصنعون المسامير لصلب المسيح، فإن يتاح لنا الجزم بأى من هذه التعليلات. ويقال أن النفور الحالى. فى العقلية الشعبية. من الفتاة التى تصفر، على نحو ما هو وارد فى شعر قديم:

الفتاة التى تصفر والدجاجة التى تنق

لا بد حتماً أن تكون نهايتهما سيئة

إنما يرجع تاريخه إلى الظروف المزعومة التى اكتتفت صلب المسيح، وفى يومنا هذا يعتقد فى ألمانيا أن الفتاة التى تصفر فتاة واهية العفة والفضيلة، ويذهب البعض إلى أنها لابد أن تنتهى إلى الانخراط فى أقدم مهنة عرفها التاريخ أى الدعارة. والاعتقادات الخرافية، تختلف عادة عن المعتقدات الشعبية، فى أنها فى آن واحد أكثر التصاقاً وإلحاحاً إنها - بوجه عام - من الأهمية بحيث لا ينظر إليها كمجرد أوهام عابرة، بل على العكس ينبغى اعتناقها وإتباعها. وفضلاً عن هذا، يؤدى الامتثال لما تقضى به المعتقدات الخرافية حتماً إلى الخطأ والضرر فى النهاية، فالامتناع مثلاً عن مساعدة من أصابتهم الصواعق - كما كان عليه الحال فى العصر الكلاسيكى القديم - أو رفض إنقاذ غريق كما فى زمن أقرب إلى العصر الحديث، إنما يقوم هذان الموقفان على أساس أن الآلهة أو غيرها من القوى فى سبيلها إلى اقتضاء حقها من المصعوق والغريق، وكلا هذين الموقفين اعتقاد خرافى فى أسوأ صورته.

وأما الأفكار غير الضارة التى تقوم على حكم خاطئ، فكثير من الكتاب يستخدمون حالياً مصطلح "الاعتقاد الشعبى"، و"الاعتقاد الفولكى" للدلالة عليها. وتلك هى الأفكار العتيقة التى تثير الروح والعجب من جهة، أو تثير البهجة

والسرور، من جهة أخرى، فالاعتقاد الشعبي أو "الفولكي" كثيرا ما يكون مسألة موقف ومسألة إيمان، أضف إلى هذا إرادة ناشطة هي إرادة التوهم أو التخيل (1).

وهناك من أنماط التفكير الخرافي ما يقوم على أساس جعل الرغبة أساسا للواقع، وتخيل الواقع فيما ينسجه الخيال من أوهام. والحقيقة أننا جميعا في بعض الأحيان نبنى لأنفسنا قصورا في الهواء، في أحلام اليقظة ونحقق من الآمال في خيالنا ما تحول حقائق الحياة بيننا وبين تحقيقه في الواقع. ولكننا نقف في هذا الاتجاه عند حد لا نخطئه، فإذا جاوزناه كان ذلك انتقالا من صفوف الأسوياء، إلى صفوف المرضى. فاللعب بالأفكار والخيال الذي يبعد الإنسان فترة ما عن رقابة الواقع من الأمور التي تفيد الصحة النفسية ويبعث في الإنسان النشاط للعمل الجدي والابتكار. ولكن المشكلة تصبح خطيرة حقا عندما نبالغ في البعد عن الواقع الملموس وعندما نتعلق بأهداب الخيال أو الصدفة البعيدة التحقق (مثل الاعتماد على أوراق اليانصيب كوسيلة للإثراء) ونركز في ذلك كل جهودنا، ونبنى عليه آمالنا في الحياة. وقد نتلمس أسباب النجاح والسعادة والتوفيق في رؤية وجه معين في الصباح مثلا، وسماع كلمة عابرة في الطريق (ما يقوله الفأل). ونستمد العون مما نحمل من تعاويذ وأحجبة، ونندرع ونتسلح بذلك في وجه الأخطار والمصاعب والعدوى من الأمراض، وتصريف شؤون الحياة.

ولكن إذا كانت الخرافات التي تتطوى على التفاؤل ضارة من حيث أنها تصرف الإنسان عن الواقع، وتوجه نشاطه وتفكيره فيما لا يفيد، فهي مع ذلك أقل ضررا من ذلك التي تتطوى على التشاؤم.

فالأولى قد تطمئن الفرد على غير أساس من الواقع أو المنطق، في حين أن الثانية تثير فيه الشك والقلق وعدم الطمأنينة مما يعرضه للإخفاق والفشل فعلا، وفي ذلك تدعيم لتلك الخرافات وللتفكير الخرافي. وينبغي أن

(1) المصدر السابق، ص 344 : 346.

نستذكر أن الخرافات التي تقوم على التفاؤل تقابلها أخرى تقوم على التشاؤم، وأن هذا التقابل يوجد في معظم الأحيان عند الفرد الواحد وفي سلوكه. فالشخص الذي يتفاعل بمقابلة شخص ما ويعتقد اعتقاداً قوياً في أثر هذا في عمله وفي حظه في ذلك اليوم لا بد وأن تنتابه الوسوس إذا لم يقابله خاصة عندما يكون مقبلاً على أمر هام من أمور حياته، ثم إن من يؤمن بأن مجرد لقاء وجه ما له تأثير في مصيره، وإن كان هذا التأثير خيراً فهو في أغلب الأحيان يؤمن بأن وجهاً آخر قد يكون في لقائه الغم وسوء المصير. والشخص، الذي يتفاعل خيراً بحمل التعاويذ يكون أكثر استعداداً لقبول فكرة أن أشياء معينة وأحداث خاصة - لا علاقة منطقية لها بعمله أو سلوكه - ذات تأثير سيئ في مصيره، ومن أمثلة ذلك "الشبشب" المقلوب، أو المقص المفتوح، وكذلك مثل كسر المرأة، وتناول الإبرة من يد شخص آخر - وخاصة أثناء الليل - وهكذا .. ذلك لأن التفكير في الحالتين ينطوي على مسلمات عن السحر قد لا يعيها الفرد.

فالسحر نوع من الخرافات وهو يقوم على أساس التفكير الخرافي، والواقع أن السحر من أبرز أمثلة التفكير الخرافي القائم على العلية الغيبية. وهو لون ونمط من التفكير واسع الانتشار بين كثير من فئات المجتمع، ومن الخطأ أن نظن أن الاعتقاد في السحر والتفكير القائم عليه مقصور على العامة أو على البدائيين والهمج فحسب، لأن كثيراً من المتعلمين في الواقع يؤمنون بأفكار لا يمكن تبريرها إلا على أساس غيبي هو لون من ألوان السحر. ولا يعني هنا أن يكون الإنسان واعياً أو غير واع بأن تفكيره قائم على السحر، وإنما الذي يعني هنا هو الركائز التي يقوم عليها تفكيره فعلاً (1).

(1) انظر التفكير الخرافي، المصدر السابق، ص 35 : 37.

(ج) العرافة

العرافة لغة هي حرفة العراف، والعراف هو المنجم وطبيب العرب (1). والعرافة Witchcraft هي فن التنبؤ بواسطة الاتصال بالأرواح الشريرة. وترتد في معناها الأصلي إلى معنى آخر عكس ما صار شائعا عنها. فلقد كان العراف هو الشخص صاحب الحكمة والبصيرة، وقد استمدت هذه اللفظة الإنجليزية Witch من كلمة Wit ومعناها يعرف.

ولكن منذ حوالي القرن الخامس عشر اقتصر استخدام كلمة عرافة على الاشتغال بالسحر بواسطة التنجيم أو الرجم بالغيب سواء كان الممارس لها رجلا أو امرأة. والواقع أن السحرة والمنجمين معروفون في جميع بقاع العالم وقد اعتقد الناس دائما أنهم منوطون بقوة فائقة للطبيعة. وأهم الأسلحة التي يتذرع بها العراف زعمه أنه يستطيع الرجم بالغيب.

ويمكن القول أنه إذا ما تم ذلك باسم الإله المعترف به من قبل المجتمع اعتبر نبوءة، وينال التقدير، ويناظ صاحبه بمسحة من التقديس، ولكن على العكس من ذلك فإذا ما تم الرجم بالغيب عن طريق الاتصال بإله أو بروح غير معترف بها من جانب المجتمع عد التنبؤ إذن عرافة وضربا من ضروب السحر. ذلك أن العرافة تعد جانبًا من جوانب السحر. ولعل هذا التمييز بين الاثنين يظهر فيما قدمه موسى من معجزات وما قدمه السحرة أمام فرعون. فكل من موسى والسحرة اتهم الجانب الآخر بأنه يستلهم قوته من الشيطان. فمن وجهة نظر المصريين آنذاك كانت الأعمال الخارقة تتم بمساعدة الله الواحد الذي يعبد. وما يقال عن السحر باعتباره ممارسة ينسحب أيضا على العرافة كرجم بالغيب، والتنبؤ بما سيكشف عنه المستقبل من أحداث (2).

(1) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص 601، الجزء الثاني.

(2) انظر الموسوعة البريطانية، المصدر السابق، مجلد 23، ص 687.

(د) الكهانة

الكهانة لغة هي حرفة الكاهن. والكاهن كل من تعاطى علما دقيقا. ومن العرب من كان يسمى المنجم والطبيب كاهنا.

وكهن له كهانة أخبره بالغيب فهو كاهن.

وكهن كهانة أى صار كاهنا، أو صارت له الكهانة طبيعة وغيرة⁽¹⁾.

وقد كان المتداول على ألسنة العرب فى الجاهلية أن فى بلاد العرب نفر من الذين وصلتهم أسرار سليمان الحكيم السحرية، يعيشون فى الواحات البعيدة عن الطرق المسلوكة وهؤلاء هم سحرة العرب. وكان هؤلاء السحرة يعرفون عادة فيما قبل الإسلام باسم الكهان. وكانوا يدعون المعرفة بالغيب.

وتذهب الروايات الإسلامية إلى أن الكهانة كانت أصنافا، منها ما يتلقاه الكهنة من الجن إذ كانت الجن تصعد إلى السماء فيركب بعضها بعضا إلى أن يدنو الأعلى بحيث يسمع الكلام فيلقيه إلى الذى يليه إلى أن يتلقاه من يلقيه فى أذن الكاهن فيزيد فيه. فلما جاء الإسلام ونزل القرآن، حرس السماء من الشياطين، وأرسلت عليهم الشهب فبقى من استراقهم ما يتخطفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب. وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾.

والنوع الثانى ما يخبر به الجنى من يواليه بما غاب عن غيره مما لا يطلع عليه الإنسان غالبا أو يطلع عليه من قرب منه لا من بعد.

والثالث ما يستند إلى ظن وتخمين وحس، وهذا قد يجعل الله تعالى فيه بعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه.

والنوع الرابع ما يستند إلى التجربة فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك،

(1) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص 809، الجزء الثانى.

وكانت إصابة الكهان قبل الإسلام كثيرة جدًا، وظهر من بين العرب نفر اشتهر منهم شق بن أنمار بن نزار وسطيح ابن مازن بن غسان وطريفة الكاهنة، ولهؤلاء وغيرهم قصص عجيبة طويلة تبين الخوارق والأعاجيب التي قاموا بها (1).

وقال الشمس بن عابدين: " والحاصل أن الكاهن هو من يدعى معرفة الغيب، وينقسم إلى أنواع متعددة كالعراف، والرمال، والمنجم، والكل مذموم شرعا، محكوم عليهم وعلى مصدقهم بالكفر إذ أن ما يدعون به هؤلاء السحرة والدجاجة وهو معرفة الغيب شرك بالله الواحد الصمد " (2).

بين العرافة والكهانة

اختص بعض الدارسين العرافة بأنها التكهّن بما خفى من أحداث الماضي، واختصوا الكهانة بأنها التكهّن بما عسى أن يحدث في المستقبل. ولكن هذا التخصيص ليس له ما يبرره، ويعزّزه، لأن العرافة والكهانة بمعنى واحد، إلا أن العراف كان أقل شأنًا من الكاهن، وكان الناس يقصدونه لمعالجة بعض أمراضهم، أما الكاهن فكانوا ينزعون إليه لتعرف الحوادث، ويعتمدون عليه في الفصل بينهم إذا ما تفاخروا وتنافروا (3).

هـ) الشعوذة : Sercery

الشعوذة خفة اليد والقيام بعمليات من أجل خداع المشاهدين. وهي فن يستعمل قوة غير عادية، فيقوم المشعوذ بأعمال تظهر الشيء للمشاهدين على غير ما هو عليه في الواقع، ومرجع ذلك إلى خفة في اليد، (وهذا ما يعبر عنه حرفيا، في الإنجليزية Slight of Hand. وتكتسب "خفة اليد" بممارسة الحيل وتنمية

(1) أحمد الشنتاوى، المصدر السابق، ص 59 : 61.

(2) مصطفى فهمي الحكيم، أسرار الجن، ص 168.

(3) أحمد الحوفى، ألوان من استكناه الغيب في العصر الجاهلى، الهلال، يناير 1975، ص 22.

المهارة العضوية، وبخاصة السرعة فى حركة الأصابع (هذا هو المعنى الحرفى للأصل اللاتينى للكلمة الفرنسية Prestidigitation)⁽¹⁾.

والشعوذة أو الشعبة هى: "تأثير فى القوى المتخيلة، يعتمد صاحب هذا التأثير إلى القوى المتخيلة، فيتصرف فيها بنوع من التصرف ويلقى فيها أنواعا من الخيالات والمحاكاة وصوراً مما يقصده من ذلك، ثم ينزله إلى الحس من الرائين بقوة نفسه المؤثرة فيه فينظر الرائون كأنها فى الخارج وليس هناك شىء من ذلك"⁽²⁾. فالشعوذة إذن تختلف عن السحر، لأن السحر، قد يهدف إلى إخضاع القوى الطبيعية لإرادة الإنسان.

وتبدو الشعوذة، أحيانا، قريبة من السحر، وهذا ما يظهر جليا عند "الباقلاى" "السحر .. إنما هو تخيل وتمويه، على نحو سحر سحرة فرعون. أما من يعمل المشعوذون فهو نوع من الحيلة والخفة"⁽³⁾ ولا تخلو الشعوذة من مهارة ومحاولة للتسلية أحيانا.

ثالثاً: المفهومات المتعلقة ببعض الوسائل والإجراءات السحرية الهامة:

1- التعويذة

من أهم الوسائل المستخدمة فى السحر التعويذة، وهى عبارة عن كلمات مفهومة أو غير مفهومة يقولها الساحر أو يكتبها بطريقة معينة ويأمر الشخص الذى تعمل التعويذة لصالحه بأن يضعها فى مكان معين سواء فى جسمه أو فى مكان قريب من جسمه، أو فى مكان قريب من عدوه، إذا كان يطلب قهر ذلك العدو أو إبطال مكانده والتغلب عليه.

(1) محمد عزيز الحبابى، معجم العلوم الاجتماعية، ص 338.

(2) ابن خلدون، المقدمة، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ص 498.

(3) أبو بكر الباقلاى، البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والسحر، ينشره ريتشارد مكارثى، دار صادر، بيروت، 1958، ص 32.

ويمكن القول بوجه عام إن التعويذة هي سحر فردي، بمعنى أن المستخدم للتعويذة لا يكون جماعة من الناس بل يكون شخصا واحدا قبالة شخص واحد. فالعداء الفردي يدفع بكل من الشخصين المتخاصمين إلى الساحر يحبك لهما تعويذة، يدفع بها كل منهما كيد الآخر من جهة، ومن جهة أخرى يجلب على الطرف الآخر النوائب والمصائب بالمرض، أو الفقر، أو غير ذلك من أشياء مستكرهة (1).

2- الحجاب

"الأحجية جمع حجاب. وقد اشتهر بين العوام المصريين استعمال الأحجية، وأشهر من اشتهر بعملها المغاربة من أهالي تونس، والجزائر، ومراكش، وإليهم في ذلك السودانيون وبعض الفقهاء. والعادة أن تكتب بحبر أحمر، أو أخضر، ثم تطبق الورقة، وتوضع في جلد أحمر، ويعلقها في رقبتة من أراد، ويكون الحجاب تحت الثياب. وبعض الناس يتعمد أن يكتب الحجاب بنجاسته حفاظا من العفاريت. ويقولون إن الجان أسرع في إنجاز الأغراض من غيرهم.

وبعض الناس ينقطعون لهذا العمل، وبعضهم يغالي فيه. وبعضهم يتحجب بالمصحف الشريف، ولذلك طبع في حجم صغير جدًا ليوضع في الحيب الصغير. وبعض الأغنياء يضعه في علبة صغيرة من الذهب أو الفضة للتبرك. وقد ألف بعض العلماء كتبًا في الأحجية على اختلاف أنواعها: فحجاب لشفاء المريض، وحجاب لقضاء الحاجات، وحجاب لتحبيب الزوج في الزوجة وغير ذلك، ومن أشهر الكتب في هذا المجال كتاب "مجربات الديرى الكبير" (2).

"ويؤمن المصريون بالأحجية ومعظمها عبارة عن تعاويذ، أو آليات معينة من القرآن، وأسماء الله الحسنى وأسماء الملائكة، وأسماء الأنبياء المشهورين يتخلل هذا كله أرقام وأشكال هندسية يقال أن لها مجتمعة أثرا لا يعلمه أحد. ويعتقد

(1) انظر يوسف مخائيل أسعد، المرجع السابق، 213.

(2) أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، ص 35.

المصريون بقوة تأثير هذه الأحجية وقدرتها على حفظهم من الأمراض، والسحر، والعين وغيرها من الشرور.

ومن المناظر المألوفة في مصر أننا نرى الأطفال يلبسون حجابا داخل علبة مثلثة الشكل يعلق فوق الطاقيّة لكي يقيهم شر العين، والخوف من العين يفسر لنا كثيرا من عادات المصريين وسلوكهم، وحتى الخيول يعلقون على رؤوسها الأحجية والتعاويذ. وهم يتخذون الحيطّة دائمة من العين، ويحاولون جهدهم دفع أذاها وشرها (1).

3- التحويلة

حجاب للوقاية يحمل تحزرا من أى عمل سحرى ضار يوجه للإنسان، وتقوم فكرته على أساس أنه مادام الإنسان قادرا (من وجهة نظر المعتقد الشعبي) على استخدام السحر فى إيقاع الضرر بالآخرين فلا بد أن الآخرين لديهم فى الوقت نفسه وبالدرجة نفسها قدرة على إيقاع الضرر به ولذا وجب عليه التحوط من الأعمال السحرية الضارة الموجهة إليه (2).

4- الرقية

الرقية تعويذة يستعان بها من الشر، وقد تكون الرقية من عين حاسدة، ولهم فى ذلك طرق كثيرة، من ذلك أن تؤخذ قطعة من طرف ثوب صاحب العين وتحرق فى النار، وتتلّى عليها التعويذة.

ومن الرقى المستعملة كلمات تقال بعد وضع قليل من الملح فى كيس صغير، ويعلق فى رقبة الأطفال. وهناك رقية خاصة تقال فى أيام عاشوراء، وهى

(1) ادوارد ولیم لین، إنجليزية يتحدث عن مصر، ترجمة فاطمة المحجوب، ص 134.

(2) انظر محمد الجوهري، علم الفولكلور، ص 216.

فى العشرة الأولى من المحرم، فتعدد الأشياء التى فى البيت وتضاف إليها التعويذة، حتى لا تحسد⁽¹⁾.

5- العين

العين إذا رفت فإن المصريين يتشاءمون بهذا إذا حصلت من إحدى العينين (اليسرى)، ويستفعلون إذا حصلت من الأخرى. ويقولون إذا رفت أعينهم: اللهم اجعله خيرًا.

وتطلق العين أولاً على الحسد، فيقولون للمحسود، أصابته عين، ويعتقدون أن بعض الناس فى عينه قدرة على الحسد تؤذى من أصابته، ويدأون ذلك بالتعاويذ والبخور والأحجية. ويقولون فى أمثالهم: "عين الحسود فيها عود"⁽²⁾.

6- الحسد

يعتقد المصريون كثيرًا فى الحسد وخلاصة هذه العقيدة أن بعض الناس عنده خاصية فى عينه، إذا نظر إلى شىء أماته أو أئلفه. ومن غريب الأمر أن رجلاً عظيماً "كابن خلدون" يحكى مثل هذا ويقول أنه شاهد بعض الناس إذا نظر إلى خروف أو نعجة نظرة خاصة أماتها، ثم إذا شرحت وجد قلبها تفتت. وقال أنه رأى فى بلاد المغرب جماعة من هذا القبيل يسمون "البعاجين".

"ويعتقد المصريون أن الحسد يكون على أتمه إذا نظر الحاسد وشفع نظرتة بالشهيق. وكان من الشائع عند النساء أنه إذا نظر رجل تلك النظرة أسرع المرأة وقالت له: "وراك تعبان أو عقربة أو فأر" فيلتفت وراءه لينظر إليه، وبذلك يذهب سحر عينه.

(1) أحمد أمين، المصدر السابق، ص 212.

(2) أحمد أمين، المصدر السابق، ص 213.

ويداؤون ذلك بأن يأخذوا قطعة من طرف ثوب الحاسد ويبخروا بها الحسود، سواء أكان إنساناً، أو حيواناً، أو أى شيء آخر.

ويزيد الاعتقاد بالحسد إذا اشتهى ما عند المحسود، كأن يكون الحاسد فقيراً والمحسود غنياً، أو عند المحسود مواش أو أموال يشتهيها الحاسد، أو إذا كان الحاسد ليس له ولد والمحسود كثير الولد ويزعمون أن الحجاب يمنع العين، ولهم فى ذلك طرق منها وضع قليل من الملح المجروش فى كيس يعلق فى عنق الأطفال، وكذلك ناب الذئب أو ناب الضبع، أو رأس هدهد عليه ريش يوضع فى قطعة من الستان الأحمر، ويخاط عليها. وأحياناً يداؤون الحسد بالرقى من ذلك رقية مشهورة وهى : " بسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ومن كل عبد حاسد بسم الله أرقيك، والله يشفيك ، من كل نفس أو عين ".

ومن هذه الطرق أن يوضع قليل من الملح فوق جمر من النار، ويقف المحسود، ويجعل الجمر بين رجليه، وتتلّى الرقية المذكورة، ثم تجعل الرقية وجهها فى وجه الذى ترقيه، وتتأهب بشدة حتى يتأهب المحسود.

وأحياناً تأتى بعض العجائز فتوقد ناراً، وترمى فيها شيئاً من "الشب" وتذكر أسماء الذين يُظن أنهم الحسدة، وتأخذ دبوساً أو ابرة فتضعه فى عين الصورة التى تحول إليها الشب، وتقول: فقأ الله عينها.

وقد تأخذ قطعة من الورق، وتشك فيها الدبوس عدة مرات متعددة فى كل مرة تقول: من عين فلانة، ثم يبخر المحسود بهذه الورقة مع الملح⁽¹⁾.

(1) انظر أحمد أمين، المصدر نفسه، ص 167، 168.

7- الاستخارة

الاستخارة ضرب من قراءة الغيب، فيستخIRON بالسبحة، تؤخذ مجموعة من الحبات اعتباطاً، وآخر حبة هى القول الفصل فى أن يفعل الشيء أو لا يفعل. وأحياناً يستخIRON بالمصحف يفتحونه كيفما اتفق، ويستخIRON بورق يقطعونه، ورقة فيها نعم، وورقة فيها لا، ويستخIRON بأول قادم يطلع عليهم، إن كان مليح الوجه أو رديئه، وهى شائعة عند المصريين.

8- المندل

يقول أحمد أمين فى قاموس العادات والتقاليد والتعبير المصرية، أنه شاهد مرة مندلاً لإظهار سارق شيئاً:

" فأتى صاحب المندل بطفل فى نحو السابعة أو الثامنة واختاره بواسطة رسم كفه، فهم يعتقدون أنهم إذا كان كفهم يقرأ 71، أو 17، كان الأطفال أقرب إلى نجاح المندل. وبعد أن أحضر صاحب المندل الطفل صب فى يده اليمنى نقطاً من زيت مع إطلاق البخور. ثم سأل الطفل هل ترى مكاناً مرشوشاً وكراسى مصفوفة؟ ولا يزال بالطفل حتى يقول رأيت. ثم يسأله هل ترى فى هذا المكان أحد؟ فيقول بعد طول وقت: نعم رأيت. ويسأله عن صفة هذا الرجل وما يلبسه فيقول أرى رجلاً أو امرأة صفته كذا، ثم يطبقون هذه الأوصاف على شخص يعرفونه فيكون هو اللص. وهو نوع من الإيحاء " (1).

9- الربط

الربط هو عمل سحرى يعملهُ الشيخ ويتلو عليه عزائم، يزعم الناس أنه

(1) المصدر نفسه، ص 380.

يعوق الرجل عن الإتيان بالأعمال الجنسية، ولذلك يلجأ المربوط إلى الشيخ أو شيخ آخر، يحل هذا الربط، فإذا حُل، عاد الرجل إلى طبيعته الأولى، ويكثر ذلك في القرى (١).



(١) المصدر نفسه، ص 209.

الفصل الثالث

تصنيفات السحر

عرض تحليلي نقدي

تمهيد

يذهب العلماء والباحثون في تصنيف السحر إلى تصنيفات ومذاهب شتى. ويرجع الاختلاف في التصنيف إلى الخلفيات المتباينة لهؤلاء العلماء والباحثين، ومنطق التصنيف لدى كل منهم فبعضهم يصنفه تصنيفات وصفية، ومنهم من يصنفه تصنيفات وظيفية ومنهم من يتجه إلى التصنيفات الإجرائية. ونلاحظ أن غالبيتهم يتجهون إلى التصنيفات الثنائية للسحر. فهناك من يصنفه إلى سحر أبيض وسحر أسود. وهناك من يصنفه إلى سحر سلبي وسحر إيجابي. ويذهب البعض إلى تقسيمه إلى سحر تعاطفي وآخر تشاكلي، أو إلى سحر حقيقي وسحر غير حقيقي، أو إلى سحر رسمي وآخر شعبي. كما أن هناك نفر من الباحثين ينفرد كل بتصنيفه المتفرد للسحر. وفيما يلي عرض تحليلي لأهم تصنيفات السحر عند علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع، ثم عند علماء المسلمين.

أولاً : تصنيفات السحر لدى علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع

(أ) السحر الأسود والسحر الأبيض

من أشهر تقسيمات السحر تقسيمه إلى سحر أسود وسحر أبيض. وبعد "فريزر Frazer" من أهم العلماء الذين ذهبوا هذا المذهب في تقسيم السحر والسحر الأسود سحر ضار يمارس يقصد إلحاق الأذى بالآخرين، أو على الأقل لإيذاء شخص ما من أجل شخص آخر، أو لتحقيق نفع شخص ما على حساب شخص آخر، وهذا الشكل من السحر شائع شيوعاً كثيراً في كل المجتمعات والثقافات في كل العصور.

أما السحر الأبيض فإنه يخدم أهدافاً أخرى مختلفة عن ذلك تماماً كما أنه

أكثر أهمية من وجهة نظر المجتمع نظراً لأنه يحقق أهدافاً عملية تعود بالنفع على المجتمع ككل ولا تتعارض مع قيم ذلك المجتمع. ويتمثل السحر الأبيض في أكثر صورته انتشاراً في التعاويذ والطلاسم والرقى التى يستعين بها المرء لإنجاز أعماله اليومية وتحقيق الأهداف التى قد يعجز عن تحقيقها بقواه الخاصة. ولذا فإن السحر الأبيض له فروع كثيرة متخصصة تتنوع تبعاً لتنوع الحياة الاقتصادية على الخصوص، فهناك سحر خاص يقنص الحيوان وسحر خاص يصيد السمك أو بفلاحة البساتين أو بصناعة الفخار. وإن تكن هناك فروع أخرى تتعلق بغير ذلك من أنواع النشاط الإنسانى كما هو الحال مثلاً فى السحر الخاص بالحب. وهذا معناه فى الحقيقة أنه من الصعب جداً إحصاء الصيغ السحرية وتصنيفها. تلك الصور التى قد توجد لدى أى شعب من الشعوب بل حتى لدى أى قبيلة من القبائل الصغيرة العدد.

ويجمع العلماء على أن أهم نوعين من السحر الأبيض فى كل أنحاء العالم هما السحر الخاص بالتنبؤ بالمستقبل أو التنبؤ بالغيب، والسحر الخاص بالعلاج أو التداوى أو التطبيب. وترجع أهميتها إلى الدور الذى يلعبانه فى حياة الإنسان والمجتمع من جهة، وإلى أن ممارستها تحتاج إلى كثير من التخصص والدراية والمهارة من جهة أخرى⁽¹⁾.

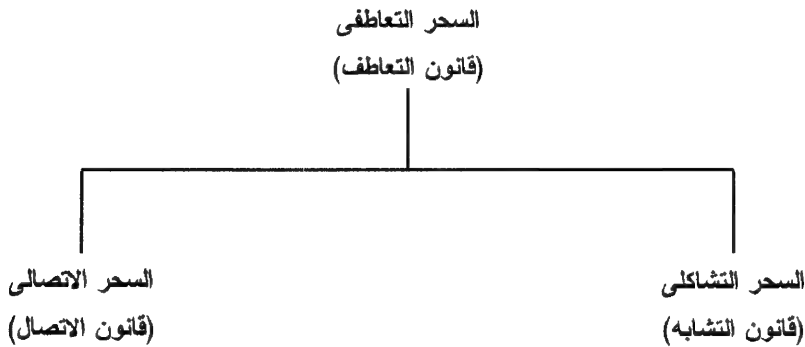
(ب) السحر التشاكلى، والسحر الاتصالى

ويمكن فهم هذين النوعين من السحر فهما أوضح إذا أطلقنا عليهما تسمية واحدة شاملة وعامة مثل السحر التعاطفى، نظراً لأن الاثنين يفترضان إمكان تأثير الأشياء بعضها فى بعض من بعيد عن طريق نوع من التعاطف الخفى، بحيث ينتقل ذلك التأثير من شىء لآخر خلال ما يمكن تصويره على أنه نوع من الأثير الشفاف. ولا يختلف الأمر هنا عما يسلم به العلم الحديث من أجل

(1) انظر سير "جيمز فريزر" الغصن الذهبى، ص 101 - 102.

غرض مماثل تماماً وهو تفسير كيفية تأثير الأشياء فيزيقياً بعضها في بعض خلال الفضاء الذى يبدو خالياً.

ويمكن أن نضع قسمى السحر المذكورين فى الشكل التالى تبعا لقوانين الفكر التى يستندان إليها:



وسوف نوضح عن طريق الأمثلة كلا من هذين القسمين الكبيرين للسحر التعاطفى بادئين بالسحر التشاكلى.

1- السحر التشاكلى: homoeopathic magic

فالسحر التشاكلى ويعرف أحيانا بسحر المحاكاة imitative magic يقوم على استخدام مبدأ التشابه "الشبيه ينتج الشبيه". ومن أبرز المحاولات استخداماً لمبدأ التشابه، وأكثرها شيوعاً وانتشاراً هى المحاولات التى يقوم بها كثير من الناس فى مختلف العصور لإلحاق الأذى أو الدمار بأعدائهم عن طريق إيذاء صورهم أو تدميرها، اعتقاداً منهم أن ما يلحق بالصورة من شر وضرر يلحق بالتالى بصاحبها، وأنه حين يتم تدمير الصورة يموت الأصل بالضرورة.

وقد قامت هذه الممارسات منذ آلاف السنين عند سحرة الهند القديمة وبابل

ومصر وكذلك فى بلاد اليونان وروما، كما أنها لاتزال شائعة عند الجماعات البدائية فى استراليا وأفريقيا.

فالهنود الحمر فى أمريكا الشمالية يعتقدون أن رسم صورة الشخص فى الرمل أو الرماد أو الطين أو الحصول على أى جزء من جسمه وبخسه بقطعة حادة من الخشب أو إلحاق أى نوع آخر من الأذى به يستتبعه إلحاق أذى مماثل بالشخص ذاته الذى تمثله هذه الصورة. وعلى ذلك فحين يريد شخص عند هنود "أجباوى Ojebway" إيذاء أحد أعدائه فإنه يصنع له تمثالاً صغيراً من الخشب ثم يغرز إبرة فى رأسه أو قلبه أو يطلق عليه سهمًا، اعتقاداً منه أن عدوه سوف يشعر بالآلام حادة نفاذة فى ذلك الجزء من جسمه الذى يقابل الموضع الذى أصابته الإبرة أو السهم من التمثال. أما إذا كان يريد قتل عدوه مباشرة وفى التو واللحظة فإنه يحرق التمثال أو يذفنه وهو يردد بعض الصيغ السحرية كذلك كان الهنود الحمر فى "بيرو" يصنعون من الدهن المخلوط بالحنطة تماثيل على هيئة الأشخاص الذين يكرهونهم أو يرهبونهم ويحرقونها فى الطريق الذى يسلكه هؤلاء الأعداء، ويعرف ذلك عندهم باسم "حرق الروح".

والحقيقة أن هذا الأسلوب من السحر شائع جداً فى كل المجتمعات المعروفة مع خلاف فى درجة الممارسة والتطبيق. ويوجد هذا الأسلوب فى مجتمعاتنا كما هو الحال مثلاً فى صنع "عروسة" من الورق وغرزها بالإبرة فى عدة مواضع ثم إحراقها لإبطال الحسد.

ويستخدم السحر التشاكلى أو سحر المحاكاة فى بعض الأحيان - وإن كان بدرجة أقل بكثير - فى تحقيق النوايا الطبية نحو الآخرين ومساعدتهم فى الحياة، فكثيراً ما يستخدم لتسهيل عملية الوضع والولادة ومنح النسل والذرية للنساء العاقرات.

ومن الأوجه المفيدة الأخرى التى يستخدم فيها السحر التشاكلى الاستعانة به فى معالجة الأمراض أو الوقاية منها. ولقد كان الهندوس القدماء يمارسون بعض الطقوس الدقيقة التى تركز على السحر التشاكلى لعلاج مرض الصفرة أو

اليرقان، وكان الهدف الأساسي من هذه الطقوس هو نقل الصفرة من جسم المريض إلى الكائنات والأشياء الصفراء الأخرى مثل الشمس التي تنتمي إلى ذلك اللون عن جدارة، ثم حقن المريض باللون الأحمر الذي يدل على الصحة والعافية وذلك من أحد المصادر التي تتمتع بالحيوية والقوة مثل النيران الحمراء. ولكي يتم ذلك كان أحد رجال الدين عندهم يتلو الرقية التالية "سوف تصعد إلى الشمس آلام قلبك ومرض الصفرة، وسوف نغمسك في لون الثور الأحمر، إننا نغمسك في الأصباغ الحمراء لتتعم بالحياة طويلاً، ألا فلتتحرر وتخلص من ذلك اللون الأصفر. إنها قوة عليك قوة وحيوية تلك الأبقار التي تنتمي إلى الإلهة "روهبنى" الحمراء. إننا ننقل صفرتك إلى الببغاوات وطيور الدج وغيرها من الطيور الصفراء". ولكي يسرى رحيق الصحة الوردى في جسم المريض الشاحب فإنه يرشف. أثناء ترديد رجل الدين لهذه الكلمات. بعض رشقات من الماء الممزوج بشعر ثور أحمر، وذلك بعد أن يكون رجل الدين قد سكب الماء فوق ظهر الحيوان ليقدمه للمريض ويجلس المريض أثناء ذلك فوق جلد دب أحمر وقد ربط قطعة من ذلك الجلد إلى جسمه.

وزيادة على ذلك فإن السحر التشاكلى بخاصة، يلعب دوراً كبيراً في الإجراءات التي يتخذها قانصو الحيوانات وصيادو السمك عند الشعوب الهمجية لضمان الحصول على قدر وافر من الطعام. فتبعاً لمبدأ "الشبيه ينتج الشبيه" يقوم الصياد وأصدقائه بكثير من الأعمال التي تهدف عمداً إلى محاكاة النتائج التي يريدون الوصول إليها، بينما يتجنبون من الناحية الأخرى كثيراً من الأمور التي تشبه من بعض الوجوه الأشياء التي يعتقدون أنها ضارة ومؤذية.

وهذا يفسر لنا تلك العادة التي كان يلجأ إليها الإنسان المبكر في عصور ما قبل التاريخ من رسم صور حيوانات وقد انغرزت في أجسامها الحراب أو السهام كما هو الحال في كهوف العصر الحجري القديم. إذ يمثل هذه الحيلة كانصو

الحيوانات يتحكمون فيها مقدما بقصد التمكن من قتلها بالفعل أو على الأقل استئراجها إليهم (1).

وقد يلجأ الناس في بعض الأحوال إلى السحر التشاكلى أو سحر المحاكاة للتغلب على الفأل السيئ وإبطال مفعوله، وذلك عن طريق المحاكاة وتقليد النتائج المتوقعة، على أمل أن تخدع هذه العملية القدر المحتوم فيتم استبدال الكارثة الوهمية بالنكبة الحقيقية. وهذا الأسلوب فى خداع الأقدار يستخدم بطريقة منهجية منظمة فى مدغشقر، حيث يعتقد الناس أن حظ المرء فى الحياة يتأثر بيوم وساعة مولده. فإذا صادف مولده ساعة نحس مثلا كان النحس هو قدره المحتوم إلا إذا أمكن إبعاد الشر - أو نزع كما يقولون - عن طريق إيجاد بديل له. وثمة طرق كثيرة متنوعة لتحقيق ذلك. فإذا عبس القدر لشخص ما عند مولده، واختار الفقر حليفا له، فإنه يستطيع بسهولة أن يبعد عنه شبح الفاقة، وذلك بأن يشتري اثنين من اللآلى الرخيصة التافهة ويدفنها فى التراب فالأثرياء وحدهم هم الذين يستطيعون فى هذا العالم الاستغناء عن اللآلى ورميها. كذلك يعد شهر نوفمبر الذى تهطل فيه الأمطار بغزارة شهر الدموع، وعلى ذلك فإن الطفل الذى يولد فى ذلك الشهر إنما يولد للحزن والأسى، ولكى تنقش الغيوم التى تتجمع فوق مستقبل حياته يحتم عليه أن يرفع يديه الغطاء عن إناء به ماء مغلى وأن يحركه حول جسمه حتى تغير القطرات المتساقطة من الغطاء مصيره وقدره لأنها تحل محل الدموع التى كان مقدرا أن تنهمر من عينيه حين يكبر.

(ج) السحر الاتصالى Contagious Magic

رأينا أن المبدأ الرئيسى فى السحر التشاكلى أو سحر المحاكاة هو أن "الشبيه ينتج الشبيه" وهذا معناه بقول آخر أن المعلوم يشبه علته، والفرع الكبير الثانى للسحر التعاطفى، هو السحر الاتصالى، وهو يقوم على فكرة أن الأشياء المتصلة

(1) انظر فريزر، المصدر نفسه، ص 109، 110، 123.

تظل - حتى بعد أن تتفصل تماما أحدها عن الآخر - في علاقة تعاطف بحيث أن ما يطرأ على أحدها يؤثر بالضرورة تأثيراً مباشراً على الآخر. وعلى ذلك فالأساس المنطقي للسحر الاتصالي هو وجود نوع من الترابط الخاطئ بين الأفكار كما هو الحال بالنسبة للسحر التشاكلي.

وربما كان أشهر مثال للسحر الاتصالي هو التعاطف السحري الذي يفترض وجوده بين الإنسان وأجزاء جسمه كالشعر والأظافر حتى بعد أن تتفصل هذه الأجزاء عنه بحيث أن وقوع شعر شخص ما أو أظافره في يد شخص آخر يجعله خاضعاً لإرادته مهما بعدت المسافة بينهما. وتشيع هذه الخرافة في العالم كله. ويورد "فريزر" عليها كثيراً من الأمثلة (1).

ومن الأجزاء الأخرى التي يعتقد كثير من الناس باستمرار وجود الصلة التعاطفية بينها وبين الجسم بعد أن تنقطع كل الروابط الفيزيائية بينهما حبل السرة وكل ما ينزل من جوف المرأة بعد الولادة بما في ذلك المشيمة. والواقع أن الناس يرون أن هذه الصلة تتمتع بدرجة من القوة والمكانة بحيث تحدد أقدار الأفراد وحظوظهم في الحياة، ونصيبهم من الخير والشر. ومن هنا كان الاعتقاد بأن المحافظة على الحبل السري والمشيمة والعناية بهما تؤثران تأثيراً مباشراً في نجاح الشخص، بينما أن تعريضها للتلف والضياع يكون له تأثير مماثل على صاحبهما. ومن هنا كان الاعتقاد الشائع عند بعض قبائل غرب استراليا بأن إجادة الرجل للسباحة أو فشله فيها أمر يتوقف على ما إذا أمة قد ألقت بحبله السري في الماء بعد الولادة أو لم تفعل، وحتى في أوروبا نفسها (في القرن 19) نجد كثيراً من الناس يعتقدون أن مصير الشخص مرتبط إلى حد ما بحبله السري أو بمشيمته. ومن هنا كان الناس في المناطق المتاخمة من بافاريا لنهر الرين يلفون الحبل السري في قطعة قماش من التيل القديم ويحفظونه لفترة معينة من الزمن

(1) المصدر نفسه، ص 178 - 180.

يقطعونه بعدها إلى أجزاء صغيرة أو يخزونه عدة مرات تبعا لما إذا كان الطفل ذكرا أو أنثى حتى يشب صانعا ماهرا أو خياطة حاذقة (1).

وفى ريف مصر نجد أيضا هذا الاعتقاد بأن المحافظة على الحبل السرى والمشيمة والعناية بهما تؤثران فى نجاح الشخص، بينما أن تعريضهما للإهمال والضياح يكون له التأثير نفسه على صاحبهما، ومن العادات المتبعة فى التخلص من الخلاص، أن يرمى فى الصاغة اعتقادا أن هذا يجعل الطفل ثريا فى المستقبل، أو يرمى فى ماء البحر أو النهر أو الترعى اعتقادا أن هذا يجعل جروح الطفل فى المستقبل سريعة الالتئام بغسلها بالماء ويفضل البعض رمى الخلاص للكلاب أملا فى تكون الزوجة ولودا مثل أنثى الكلب المعروفة بكثرة خلفها.

هذا بالنسبة للتخلص من الخلاص. أما بالنسبة لباقى الحبل السرى الذى يترك متصلا بالسرة ومغطى بالملح والقماش، فإنه يذبل ويسقط من نفسه فى اليوم السابع عادة أو بعد ذلك بقليل.

وهنا تؤخذ هذه البقايا الجلدية الذابلة وترمى على عتبة محل بقالة أو أقمشة، أو فى وكالة الحبوب، أو وكالة قطن، أملا فى أن يكون الطفل فى المستقبل تاجرا من التجار الأثرياء، وتفضل بعض الريفيات أن ترمى هذه البقايا أمام عتبة كتاب القرية، أملا فى أن يشب الطفل مقبلا على حفظ "كلام الله" أى القرآن. ومن العادات الشائعة أيضا، أن ترمى هذه البقايا فى الحفل أملا فى أن يكون الطفل فى المستقبل زارعا ماهرا. هذا إذا كان المولود صبيا، أما البنت، فإن بقايا حبلها السرى ترمى عادة أمام عتبة المنزل رمزا لأن العمل المرغوب فيه لها فى المستقبل هو أن تكون ربة بيت ناجحة (2).

(1) المصدر نفسه، ص 180، 185، 189.

(2) فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، ص 316، 317.

3- السحر الإيجابي والسحر السلبي

(أ) السحر الإيجابي:

يقول السحر الإيجابي أو الطلس: " افعل كذا لكى يحدث كذا " ويهدف السحر الإيجابي إلى تحقيق شىء مرغوب فيه، مثال ذلك إقبال الرجل البدائى على أكل كثير من الحيوانات والنباتات لكى يكتسب منها بعض الصفات المرغوبة التى يعتقد أنها متأصلة فيها ⁽¹⁾.

(ب) السحر السلبي:

يقول السحر السلبي أو التابو "لا تفعل كذا حتى لا يحدث كذا" ويهدف إلى تجنب شىء مرغوب فيه.

ومع ذلك فإن كلا النتيجتين - أى المرغوب فيها والمرغوب عنها - تحدثان تبعاً لقانونى التشابه والاتصال. وكما أن النتيجة المرغوبة فيها لا تتأثر فى الحقيقة والواقع بمراعاة الطقوس السحرية كذلك النتيجة المكروهة أو المرغوبة لا تنتج فى الحقيقة والواقع عن خرق التابو. وإذا كان الشىء المفترض حدوثه ينتج بالضرورة من خرق التابو، فإن التابو لا يصبح مجرد تحريم وإنما يصبح أحد القواعد الأخلاقية أو قواعد الإدراك السليمة. فليس من التابو أن نقول "لا تضع يدك فى النار" وإنما هذه قاعدة من قواعد الإدراك السليم، لأن الفعل المنهى عنه يؤدى إلى أذى متخيل أو متوهم وبالجمل، فإن هذه القواعد السلبية التى نسميها تابو أشياء عديمة النفع والجدوى تماماً مثل القواعد الإيجابية التى نسميها طلس، وكل ما فى الأمر أن الاثنين يمثلان ناحيتين متقابلتين أو قطبين لأغلوطة كبيرة مفجعة، أو لتصور خاطئ لترابط المعانى. فالطلس هو القطب الموجب فى هذه الأغلوطة، بينما يؤلف التابو القطب السالب.

(1) فريزر، المصدر السابق، ص 38.

ومن الأمثلة الجيدة للسحر السلبي، تلك التحريمات التي تفرض على تناول أنواع معينة من الطعام. فالرجل البدائي مثلاً يتجنب تناول بعض الأنواع من الحيوانات والنبات لكيلا تنتقل إليه منها الخصائص غير المرغوبة التي يعتقد أنها كامنة فيها. فمن المعلوم مثلاً أنه يحرم على المحاربين في مدغشقر تناول أنواع معينة بالذات من الطعام خشية أن تنتقل إليهم - تبعاً للسحر التشاكلي - بعض الصفات الضارة أو المكروهة التي تعتقد الناس أنها متأصلة في تلك الأطعمة. فهم يحرمون عليهم مثلاً أكل ركة الثور حتى لا تضعف ركبنا المحارب وتصبحان مثل ركبتي الثور فلا يقوى على المشي الطويل كما أن الناس في مدغشقر يحرمون ذبح الذكور من الحيوانات في بيوت الجنود أثناء وجودهم في الحرب حتى لا يترتب على قتل الحيوان قتل الرجل نفسه.

ويتضح لنا مما سبق من أمثلة عن التابو، أنها تفترض أن مفعول السحر يسرى ويمتد إلى مسافات بعيدة، وإذا كان العلم يثير كثيراً من الشكوك حول إمكان التأثير من مسافة كبيرة فإن السحر لا يعرف مثل هذه الشكوك. فالإيمان بالتأثير عن بعد (telepathy) يعد أحد المبادئ الهامة في السحر (1).

4- السحر الرسمي والسحر الشعبي:

يفرق "محمد الجوهري" في مقال له بعنوان "السحر الرسمي والسحر الشعبي": بين قسمين أو نوعين من السحر، الأول هو السحر الرسمي، والثاني هو السحر الشعبي، وهو يرى أن السحر الرسمي يخاطب فئة محدودة من الناس هم السحرة المحترفون، والمشايخ المعروفون لنا جميعاً في ريف بلدنا وحضرها، أما السحر الشعبي فهو ملك لنا جميعاً، فنحن نعيشه ونمارسه كل يوم.

فالسحر الرسمي في رأى الباحث هو سحر الخاصة أما السحر الشعبي فهو

(1) المصدر نفسه، ص 139.

سحر العامة .. سحر عامة الشعب ⁽¹⁾، لذلك يحرص الساحر الرسمي بشدة على أن يبقى على خصوصيته، وعلى ألا يذاع (سر المهنة) مهددا قارئه، أو عميله في أكثر من موضع - على لسان المؤلف نفسه أو على لسان ملاك أو خادم في سياق معين - بأن يبطل مفعول هذا التأثير إن هو باح به لأحد ⁽²⁾.

ولهذا يتصدر كتاب أساسى من كتب السحر الرسمي وهو "شمس المعارف الكبرى" للبونى على الصفحة الثالثة من المجلد الأول ما يلى:

" إنه كتاب الأولياء والمالحين الطائعين والمريدين والعاملين الراغبين " ويرتبط بهذا أوثق الارتباط أن يطلب الساحر الرسمي فى تفتيح كتابه أو رسالته أن يضمن من تصل إليه هذه المعلومات، على الآخرين وألا يبوح بما تحويه من أسرار.

ويقول البونى فى الافتتاحية المشار إليها: " فحرام على من وقع كتابى هذا فى يده أن يبديه لغير أهله، أو يبوح به فى غير محله " فإنه إن فعل ذلك حرمه الله تعالى منافعه ومنعت عنه فوائده وبركته. ولا تمسه إلا وأنت طاهر " ولا تقربه إلا إذا كنت ذاكرا، لتفوز منه بما تريد، ولا تصرفه إلا فيما يرضى الله تعالى. فكن به ضئيلا، ولا تدع منه قليلا ولا كثيرا وليكن يقينك صادقا وإيمانك بحقائقه واثقا ..".

وينبه الباحث ابتداء بأن حديثه محدود بحدود السحر الإسلامى المصرى ثم يورد خمسة اختلافات أساسية بين ميدانى السحر الرسمي والسحر الشعبى تتلخص فيما يلى:

1- النظرة إلى العالم.

- (1) بعد "مالينفسكى" أول من ميز بين سحر المتخصصين، وسحر العامة، وذلك عام 1922، عندما ذكر أنه لابد من التفرقة بين سحر المتخصصين المبني على المعرفة السحرية، وسحر العامة المبني على المعرفة العادية.

- انظر: B. Malinowski Argonauts of the Western Pacific

- (2) انظر على سبيل المثال، البونى: شمس المعارف الكبرى: ج1، ص 129، وانظر أيضا منبع أصول الحكمة للبونى، ص 241 "النص السابق نفسه مختصر".

2- الموضوعات الأساسية التى يدور حولها كل ميدان منهما.

3- الشكل الذى يحفظ ويتوارث به كل نوع منهما.

4- مصادر التأثير على كل نوع، أو على الأقل ترتيب أهميتها.

5- مدى شدة الحاجة الدافعة إلى اللجوء للسحر فى كل منهما.

أما بالنسبة للنظرة إلى العالم، فإن الساحر الرسمى يعتقد أن الله خالق نظام هذا العالم والمسيطر عليه، وأن هذا النظام لا يخضع لإرادة غير إرادته. هو الذى خلق كل شىء، وأنه قد سار فى ذلك وفق بعض الأسس السحرية من هذا مثلاً: أنه خلق كل شىء بقوة اسمه هو، وخلق الأشياء الطيبة فى الوقت الطيب المناسب، وخلق الأشياء الضارة فى الوقت النحس غير المناسب، وخلق لكل شىء ملاكا أو روحا أو كل إليه الإشراف عليه.

وتمثل هذه العناصر الأركان الأساسية للعملية السحرية. فالاسم يمثل فى جميع الثقافات التقليدية قوة خاصة. وهو مرتبط بشخصية صاحبه بواسطة قوة روحية. وقد لعبت هذه الخاصية السحرية للاسم. ولا زالت تلعب دوراً هاماً للغاية فى الحياة الروحية لجميع الشعوب وفى جميع العصور.

وهنا أيضاً تلعب الأسماء. سواء كانت أسماء إلهية أو غير ذلك - الدور الأساسى - ويعد ميدان علم الأسماء تتويجا للميادين الأخرى كعلم الحروف، وعلم الخواصم والأشكال، والمربعات، والتنجيم، وغيرها. فهى تعد جميعاً ذات أهمية ثانوية بالنسبة لهذا "العلم". أما من حيث ارتباط العمل السحرى بوقت معين، فهنا تتجلى لنا العلاقة القوية المتباينة بين علم الأسماء وعلم التنجيم. فالساحر يرى أن الأسماء الإلهية لا يمكن أن يستخدم هكذا فى كل وقت من الأوقات. وإنما لكل اسم منها وقت خاص به يجب استخدامه فيه. ويتوقف تحديد هذا الوقت على عاملين:

أ - طبيعة الوقت نفسه إن كان سعيداً أو نحساً.

ب - طبيعة ومزاج الملاك الموكل بالاسم.

أما من حيث الملائكة الموكلين فيرى السحر الرسمي أن لكل مخلوق ملك موكل به. ولكل اسم من أسماء الله خادم موكل به، كما أن هناك خادما لكل آية قرآنية، وكل حرف من الحروف الأبجدية، يل وكل دعوة (رقية).

وليست الملائكة الخدام قاصرة فقط على هذه الأشياء (المقدسة) وإنما هناك أيضا خادما لكل يوم من أيام الأسبوع، ولكل ساعة من ساعات اليوم، ولكل فصل من فصول السنة، وكل نوع من الرياح، وكل اتجاه من الاتجاهات الأربع.

ويرى الساحر الرسمي، أن مهنته هي خلق كل شيء وفقا للمبادئ التي اتبعت في الخلق الإلهي بقدر الإمكان. والمقصود بكلمة "خلق" هنا صنع شيء جديد أو تغيير شيء قائم فعلا. وهو يحاول في هذا الصدد أيضا استخدام الوسائل نفسها التي استخدمها الله في خلق العالم. ولذلك لا يمكن أن ينجح له أى عمل دون إذن وتفويض من الله. ونلاحظ أن السحرة الرسميين يؤكدون هذا في كل مناسبة، وعند تقديم أى وصفة سحرية. ولا يمكن أن تتحقق فاعلية أى من الوسائل التي أشرنا إليها: أسماء الله واختيار الوقت المناسب والحروف .. إلخ إلا من خلال القوة التي يضيفها الله عليها، ومن خلال مساعدة خدامها من الأرواح الذين هم خلق الله (1).

ويورد محمد الجوهري مصداقا لذلك نصا من كتاب "شمس المعارف الكبرى للبونى - وهو كتاب أساسى فى السحر الرسمي - يقول فى بدايته عن شرح الأسماء الحسنى: لله أعلم أن اسمه تعالى الله هو اسم الله الأعظم، وهو من الأذكار المفردة العظيمة. فمن ذكره 66 مرة بعد صلاة ركعتين فى جوف الليل بعد صوم ورياضة طويلة فإنه ينزل عليه سيد الروحانيين الملك كهياك ^{الملك} وهو من الملائكة التى تجاه العرش وهو حاكم على 66

(1) انظر محمد الجوهري، السحر الرسمي والسحر الشعبى، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، العدد الثانى، مايو 1970، ص 6 - 8.

صفا من الملائكة وتحت كرامته أربع قواد تحت يد كل 66 ملكا فإذا ذكره الذاكر عدده فى خلوته فإن الخادم يحضر ويخر ساجدا لله تعالى ويقول فى سجوده أسماء عظيمة سريعة الإجابة وهى اللهم إنى أسألك بالله .. أسألك بأحديتك وصديتك ونعوت ربوبيتك أن عبداً من عبيدك قد شاركنا فى التسبيح والتقديس والأمر أملكك فإن أمرتنا بالنزول إليه فإرادتك . فيقول الله تعالى انزلوا إليه واقضوا حاجته فإنه دعا اسمى الأعظم . فينزل ومن معه إلى الذاكر ، ويقول له : أيها العبد الصالح .. .

يترتب على هذا منطقياً أن إتباع الطرق والأساليب الواردة والمفصلة فى كتب السحر المختلفة عند تقديم وصفة سحرية معينة لابد أن يقود حتماً إلى النتيجة المطلوبة. ولكن ماذا لو تأخرت النتيجة أو احتجب التأثير المنشود تماماً ؟ تفسير ذلك عند الساحر الرسمى أمر يسير: فالخطأ طبعاً راجع إلى شخص الساحر المنفذ وليس كامناً فى طبيعة التكنيك المستخدم أو راجعاً إلى قصور فى قوة الاسم الإلهى أو غيره من عناصر العملية السحرية. ولذلك يقول البونى: " .. وإن لم تحصل الإجابة فمن تقصيرك فإن هذا الدعاء لا يخيب من دعا به موقناً مخلصاً أكالا للحلال، صواماً، قواماً، صاحب صلاة ورياضة وصدق نية. وقد قال رسول الله ﷺ فمن يدعو والمطعم حرام. والمشرب حرام والملبس حرام أنى يستجاب له. فعليك بالحلال يستجاب لك لأنه دعاء الأولياء الأصفياء.

أما بالنسبة للساحر الشعبى، فالفكرة أبسط من هذا بكثير - حقيقة أنه يسلم. كمسلم - بأن كل شئ فى هذا العالم يخضع لإرادة الله. ولكنه يعتقد مع ذلك أن كل خير أو شر يمكن أن يصيب الإنسان يرجع إلى علاقة بين الإنسان الفرد والجن. ولذلك ليس (علم) السحر الشعبى سوى كيفية تسخير واستغلال للجن للحيلولة دون وقوع شئ ضار أو لعمل ما من شأنه الإضرار بأحد. وإذا ما تتبعنا تصور المستخدم للسحر الشعبى أكثر من هذا لا يصح لنا أنه يتجاوز عتبة الوثنية، ويدخل فى تناقض مع المبادئ الأساسية للدين الإسلامى.

من هذا يتضح لنا مدى الاختلاف فى النظرة إلى العالم بين نوعى السحر،

غير أن هذه الهوة أخذت في التضائل بمرور الأيام.

أما من حيث الموضوعات الأساسية التي يدور حولها كل ميدان منهما، فنجد أن السحر الرسمي يدور أساساً حول الدراسة التقليدية والبحث في الله وعرشه، وخدمه، وما يرضيه وما يغضبه .. إلخ وكذلك الملائكة والجن والخصائص السحرية للحروف والأعداد وأسماء الله، والنباتات والحيوانات .. إلخ. ثم تأتي في مرتبة تالية لهذه التعاليم الخاصة باستخدام هذه العناصر السحرية، وطرق نقل هذه الأسرار إلى الأجيال التالية والمحافظة عليها. ثم تلى ذلك الأغراض التي يمكن استخدام هذه العناصر السحرية فيها. ويخضع الانتفاع العملي هنا لدرجة تدين الساحر، وما بلغه من تقدم في مراتب التصوف والأخذ بأساليبه الصعبة، التي تسعى إلى تخليص جسده وروحه من كل شرك أو فساد أو ظلم. ومعنى هذا أنه لا يستطيع دفعة واحدة تحقيق التأثير السحري المطلوب. بل لابد له أن يتوصل إلى ذلك على مراحل، حتى يصل في النهاية إلى أن يخضع له كل المخلوقات " (1).

أما السحر الشعبي فيدور أساساً حول الممارسة العملية. ولا تحتل العناصر النظرية - التي كانت تشغل مكانة بارزة في السحر الرسمي - سوى مرتبة ثانوية فقط - ونجد بعض الموضوعات التي كانت تعالج في السحر الرسمي بمنتهى العناية والإسهاب لا تتمتع في السحر الشعبي إلا بأهمية ضئيلة، والعكس صحيح. ولذلك كان من أبرز الظواهر المصاحبة لتدهور السحر الرسمي في العصر الحاضر - بعد أن فقد موارده من السحرة الرسميين المتخصصين وأتى العصر الحديث على كثير من مكانته السابقة، وفقد بذلك طابعه (الأكاديمي) الذي ذكرنا طرفاً منه - كان من أبرز تلك الظواهر تطويع الكتب السحرية الرسمية لمتطلبات الشعب، ومفاهيم السحر عنده. فهو لا يحتاج إلا إلى وصفات لمواقف معينة. وكان

(1) انظر محمد الجوهري، المصدر نفسه، ص 8 - 9.

أن أصبحت كتب السحر اليوم لا تعدو مجموعة كبيرة من الوصفات التى يلجأ إليها الساحر المحترف لإجابة طلبات عملائه (1). وتزود هذه الكتب الجديدة، أو القديمة المعاد طبعها، بفهارس متصلة تقتصر عادة على سرد الأغراض التى يمكن أن تستخدم فيها هذه الوصفات. ولم يعد على الساحر المحترف - عندما يأتيه العميل - إلا أن يقلب صفحات فهرس الكتاب الذى يستعمله ليفتح مباشرة على الوصفة التى ينقلها للعميل (2).

وهناك فرق واضح بالنسبة للشكل الذى يحفظ به كل نوع من السحر ويستوارث، إذ أنه لما كان السحر الرسمى أساس تراثاً مكتوباً، لا يتناقل ولا يحفظ إلا مدوناً، نجده أكثر تأثراً بالتراث الحضارى المكتوب عادة. وتأتى فى مقدمة هذه الكتب، تلك المؤلفات التى نقلت إلى اللغة العربية من اللغتين العبرية والسورانية، وتحتوى هذه الكتب - بشكل واضح كل الوضوح إلى جانب العناصر العبرية والسورانية عناصر بابلية، وآشورية، وإغريقية. ومن المؤلفات ذات التأثير الهام فى هذا الصدد أيضاً، الكتب العربية فى فجر الإسلام.

أما السحر الشعبى فيقوم أساساً على المعتقد المحفوظ فى صدور الناس، وعلى الخبرات المكتسبة التى يتم تواترها وحفظها شفاهة فى المقام الأول (مثل: الجسد وما يدور حوله من معتقدات وممارسات، والتفائل والتشاؤم من الأسماء. كالتفائل بكلمة أخضر والعزوف عن ذكر أسماء الأمراض الخطيرة كالسرطان أو غيره، وذلك إيماناً بالقوة السحرية للاسم. فذكر الاسم استحضار لمضمونه واتصال بهذا المضمون ... إلخ. وكذلك عفريت الليل وما يسجله المعتقد الشعبى الشفاهى

(1) انظر على سبيل المثال:

- عبدالفتاح السيد الطوخى: سحر الكهان فى حضور الجان، القاهرة، مكتبة القاهرة.
- عبدالفتاح السيد الطوخى: المندل والخاتم السليمانى والعلم الروحانى للإمام الغزالى، القاهرة، مكتبة القاهرة.

(2) انظر محمد الجوهري، المصدر السابق، ص 7 - 9.

عنه من قصص وحكايات. ولهذا نرى ميدان السحر الشعبي أكثر تأثراً بالتراث الشفاهي المتواتر فى المجتمع المصرى. وأبرز عناصر هذا التراث: البقايا المصرية القديمة، والمسيحية القديمة، والإسلامية الأولى التى نقلت إلى مصر على يد القبائل التى هاجرت إليها بعد الفتح العربى وقد استوطنت هذه القبائل فيما بعد، بعض أقاليم مصر، فقربت إلى المصريين من خلال ذلك التراث العربى القديم والإسلامى الأول.

وهناك اختلاف بين مدى شدة الحاجة الدافعة إلى اللجوء للسحر فى كل من السحر الرسمى، والسحر الشعبى. فالسحر الشعبى يعتمد على خبرة عامة غير عميقة الأسس. ويمارس السحر الشعبى من قبل كل فرد فى المجتمع وفى كل مناسبة من المناسبات.

أما السحر الرسمى فيقوم على معارف متخصصة ذات أساس "علمى". ولا يذهب الشخص للساحر الرسمى إلا إذا كان السحر الشعبى قد أخفق فى تحقيق النجاح المطلوب، أو إذا قدر صاحب الحاجة بادئ ذى بدء أن الهدف المنشود عظيم الأهمية بحيث أن الخبرات الضعيفة المحددة للسحر الشعبى لن تيسر الوصول إليه. وكمثال للحالة الأولى نذكر السيدة التى تريد إنجاب أطفال. فهى تسعى فى أول الأمر إلى أن تعالج نفسها وزوجها بواسطة الطرق المعروفة، وهى تستعين فى ذلك بخبرات الأقارب والجارات فإذا ما أخفق كل هذا لجأت إلى الساحر الرسمى. وبذلك يبدأ السحر الرسمى. وكمثال للحالة الثانية نذكر الرجل الذى يريد القضاء على جاره لأى سبب من الأسباب، وهو غرض وارد بكثرة فى كتب السحر، فهو يرى منذ البداية أن خبراته أضعف من تحقيق هذه الرغبة، ولذلك يتجه إلى الساحر الرسمى مباشرة.

وينبغى القول بأن هناك تفاعل دائم بين هذين النوعين من السحر ولهذا ازدادت بمرور الوقت صعوبة تبين الخصائص المميزة لكل نوع منها. وأخذت

حدودها تتلاحم، بل وتتداخل في بعضها.

ويجب ألا ننسى في مجال التفرقة بين السحر الرسمي والسحر الشعبي، أن حملة السحر الرسمي هم أبناء المجتمع، ولدوا فيه وعاشوا في إطاره، فهم أنفسهم همزة وصل بين نوعي السحر، إذ يأخذون من السحر الرسمي خبرات ومعارف ينقلونها للشعب أثرت في السحر الشعبي تأثيراً قوياً. وهم من ناحية أخرى ينقلون عن السحر الشعبي الشيء الكثير الذي يثرون به مؤلفاتهم ووصفاتهم في السحر الرسمي.

ويرى محمد الجوهري أنه لم يعد هناك "نشيء جديد" في ميدان السحر الرسمي بمعناه الحقيقي، وأن السحر قد فقد كثيراً من مكانته كمهنة. فهناك إذن نوع من "التوقف" في إنتاج سحر رسمي جديد، ولم يعد أمام مخلفاته الباقية إلا أن تقدم الثوب الذي يغلف فيه الممارسون مادتهم السحرية الشعبية التي لا زالت تدب فيها الحياة.

وقد بذلت جهود كثيرة لصبغ أفكار السحر الشعبي وخبراته بطريقة التفكير المعروفة في السحر الرسمي، مما نتج عنه مؤخرًا حشد ضخم جدًا من الكتب. والمحفوظات طبعًا - التي تحتوى في جوهرها على تصورات وخبرات سحرية شعبية، ولكنها مغلفة بمناهج وخبرات سحرية رسمية، وهي في الوقت نفسه وسيلة - تجارية نفسية - لتأكيد وإبراز مدى فاعليتها (1).

وتلعب بعض دور النشر المصرية دورًا كبيرًا في هذا الصدد، فهي تحقق تجارة رابحة للغاية، إذ لا تحتاج إلى أكثر من طبع بعض فصول من كتاب أو عدة

(1) من أمثلة المخطوطات والكتب السحرية ذات المضمون الشعبي والشكل الرسمي نذكر بعض الأمثلة:

- البوني وابن الحاج، مخطوطة: "مجموعة فوائد من كتاب شمس المعارف الكبرى وكتاب ابن الحاج وغيره". وهي منسولة لهذه الأسماء فقط ولكنها إنتاج شعبي متأخر.

كتب سحرية. وقد يحدث أحياناً أن يعيد بعض الشيوخ كتابة هذه الفصول ⁽¹⁾. ولو أن هذه ليست هي القاعدة السائدة. كما يعاد اليوم طبع مؤلفات بأكملها، كشمس المعارف الكبرى للبونى مثلاً ⁽²⁾.

ويرى محمد الجوهري بناء على ما تقدم أن الواقع الذى سنتعامل معه - إزاء ما حدث من توقف فى إنتاج سحر رسمى جديد - هو سحر شعبى منتشر بغلاف السحر الرسمى ⁽³⁾.

5 - سحر التنبؤ وسحر العلاج

يذكر "وليام هاولز" أن أهم قسمين أو نوعين من أنواع السحر فى كل أنحاء العالم هما السحر الخاص بالتنبؤ بالغيب، والسحر الخاص بالتداوى والعلاج.

ويرد "هاولز" تلك الأهمية إلى أن المرض والشك هما دائماً أشد وأقسى أسباب القلق الشخصى والاجتماعى، وهذا نفسه هو السبب فى وجود المشتغلين بقراءة الكف وورق اللعب، والعرافين والمنجمين وأمثالهم بيننا. كما أنه هو السبب فى أن الناس لا يزالون يقبلون كل أنواع طب الركة أو طب العجائز على الرغم من الطب الحديث بكل معلوماته الصحيحة الشاملة.

والواقع أن الاستعانة بما يمكن تسميته بطب الركة أو الطب الشعبى فى علاج الأمراض - وبخاصة المستعصية والمزمنة - أمر شائع فى كثير من المجتمعات والثقافات على اختلاف درجات تقدمها، ويعد مكملاً للطب الحديث ووسائل العلاج العملية بحيث يستخدم المريض الاثنين معاً، ويرد شفاءه إليهما معاً أيضاً.

(1) النموذج المثالى على هذا الكتاب "منبع أصول الحكمة" المنسوب للبونى، القاهرة 1956، وقد اتضح أن الكتاب بشكله الحالى ليس من تأليف البونى. انظر محمد الجوهري، المصدر نفسه، ص 355.

(2) لا زالت طباعته تتوالى حتى عام 1969.

(3) انظر محمد الجوهري، السحر الرسمى والسحر الشعبى، المصدر السابق، ص 9 - 12.

6 - السحر النظرى والسحر العملى :

إذا حللنا مبادئ الفكر التى يقوم عليها السحر، ونظرنا إليه على أنه نسق للقانون الطبيعى، أي تقرير للقواعد التى يتحكم فيها تتابع الأحداث فى العالم كله، فإنه يمكن تسميته حينذاك بالسحر النظرى. أما إذا نظرنا إليه على أنه مجموعة من القواعد والتعاليم التى يتبعها الناس فى تحديد أهدافهم فإنه يمكن حينئذ تسميته بالسحر العملى (1).

7- سحر الإنتاج، والوقاية ، والهدم

يذهب بعض الباحثين الأنثروبولوجيين إلى تصنيف السحر إلى ثلاثة أنواع رئيسية: سحر إنتاجى، وسحر وقائى، وسحر تحطيمى أو هدمى، فالسحر الإنتاجى بما له من أهمية طقسية، يهتم فى المقام الأول بالإتيان بنتائج إيجابية وفيرة، كأن يأتى بمحصول أوفر أو حصيلة أكبر من صيد السمك .. إلخ وهذا النوع من السحر قد يساعد فى تنظيم الجانب التقنى من النشاط، كما أنه يعمل على حث العاملين لبذل جهد أغزر، كما يعطيهم ثقة أكبر فى أن جهودهم المبذولة سوف تضمن لهم جزاء عظيمًا.

أما السحر الوقائى وهو السحر الذى يستهدف إبعاد الخطر وسوء الحظ أو المرض، فإنه قد يعطى المشاركين فيهن الثقة الضرورية للنجاح أو للطمأنينة مما يعمل بلا شك على الحصول على طاقة نفسية عظيمة. وتعد بعض الجهود السحرية المبذولة جهودًا سلبية. فأولئك الذين يعتمدون على السحر الإنتاجى يرفضون استثمار حب الاستطلاع العلمى لديهم، كما أنهم يعرضون عن بذل الجهد فى سبيل تحقيق قدر أكبر من التطور التكنولوجى.

أما النوع الثالث وهو السحر التحطيمى أو الهدمى فإنه يسمى بالإنجليزية

(1) "وليام هاولز" مات وراء التاريخ، ترجمة أحمد أبو زيد، ص 335.

sorcery أى الشعوذة، فى مقابل witchcraft الذى يعتقد أنه ينبع من هبة خاصة أو استعداد معين لدى الفرد. وهو كثيرًا ما يكون مصدرًا للإشراف أو التحكم الاجتماعى، وذلك لأن أولئك الممسكين بزمام السلطة بالمجتمع يخشون من استخدام قوة هذا النوع من السحر ضدهم. كما أنه من جهة أخرى قد يصير وسيلة تنفيسية، وذلك لأنه يسمح لأى شخص بأن يحطم عدوه فى نطاق خياله، ومن ثم فإنه يتحاشى استخدام العنف بيديه. لهذا فإن السحر قد احتل مكانة هامة فى غالبية المجتمعات البدائية، وقد ظل محتفظًا بدرجة معينة من التأثير على الرغم من التحديات التى تصادفه اليوم فى ظل الحضارة الإنسانية المادية⁽¹⁾.

ثانيًا : تصنيفات السحر عند علماء المسلمين

1- تحدث أبو بكر الرازى المفسر المشهور عن تصنيفات السحر وأنواعه، فذكر منه سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية، وسحر يستعين أصحابه بالأرواح الأرضية، ويقصد بها الجن، وسحر التخيلات والأخذ بالعيون، لأن المشعذ الحاذق يظهر عمل شيء يشغل أذهان الناظرين به، ويأخذ عيونهم إليه، حتى إذا استغرقهم الشغل بذلك الشيء والتحديث نحوه، عمل شيئاً آخر بسرعة شديدة فيبقى ذلك العمل خفياً، لتفاوت الشئين: اشتغالهم بالأمر الأول، وسرعة الإتيان بهذا العمل الثانى "وحيث يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه، فيتعجبون منه جداً، ولو أنه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر إلى ضد ما يريد أن يعمل، ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجها، لفتن الناظرون لكل ما يفعله، فهذا هو المراد من قولهم أن المشعذ يأخذ بالعيون لأنه بالحقيقة يأخذ بالعيون إلى غير الجهة التى يحتال فيها، وكلما كان أخذه للعيون والخواطر، وجذبه لها إلى سوى مقصوده أقوى، كان أحذق فى عمله.

(1) Encyclopedia Britannica, Vol. 14. 1965, p. 573.

وكما كانت الأحوال التي تفيد حس البصر بها نوعاً من أنواع الخلل أشد، كان هذا العمل أحسن، مثل أن يجلس المشعبذ في موضع مضىء جداً، فإن الضوء الشديد يفيد البصر كلاً واختلاً، وكذا الظلمة الشديدة، وكذلك الألوان المشرقة القوية تفيد البصر كلاً واختلاً، والألوان المظلمة قلما تقف القوة الباصرة على أحوالها⁽¹⁾.

ويضيف الإمام الرازي إلى تصنيفات السحر ما يسميه سحر الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية الخاصة، وهناك سحر الاستعانة بخواص الأدوية، كاستعمال بعض الأدوية المزيلة للعقل، أو التي تسبب تبلد الذهن، وهناك سحر "تعليق القلب" بأن يوهم الساحر مسحوره بأنه يعرف "الاسم الأعظم" فيعتقد المسحور الضعيف العقل بذلك ويتعلق قلبه به، فيتحكم فيه الساحر، ويوجهه إلى ما يشاء، وهناك سحر السعي النيمية والوقية بوجوه لطيفة خفيفة.

2- وهناك من علماء المسلمين من يصنف السحر إلى أصناف ثلاثة، فنجد الإمام الأصفهاني يذكر أقسام ثلاثة للسحر في كتابه "مفردات القرآن" وهي:
أولاً: الخداع والتخيلات.

ثانياً: استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه.

ثالثاً: ما كان بقوة تغير الصور والطباع، ولا حقيقة لذلك عند المحققين.

3- أما المفسر الجليل ابن كثير فيجعل أصناف السحر ثمانية وهي:

(أ) سحر الكذابين الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة السيارة، ويعتقدون أنها مدبرة العالم، وأنها تأتي بالخير والشر.

(ب) سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية، لأن الوهم هو الذي يؤثر في الإنسان، فيجعله يعتقد أنه يمكنه أن يمشى على الجسر الموضوع على وجه الأرض، ولا يمكنه المشى عليه إذا كان ممدوداً على نهر أو نحوه، والنفوس خلقت

(1) انظر أحمد الشرباصي، حديث السحر في القرآن، المصدر السابق، ص 15.

مطبعة للأوهام.

(ج) سحر الاستعانة بالأرواح الأرضية، وهم الجن، ومنهم كفار ومؤمنون، واتصال النفوس الناطقة بهم أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية، لما بينها من المناسبة والقرب، وهذا النوع هو المسمى بالعزائم وعمل التسخير.

(د) سحر الشعبة والأخذ بالعيون، وإذهال الناظرين، مع الاعتماد على السرعة الشديدة، ومن هذا النوع ما ذكره القرآن في قوله: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾. وقوله: ﴿فُتِّخِلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْعَى﴾.

(هـ) سحر الأعمال العجيبة القائمة على استخدام خواص المواد واستغلال تركيب الآلات الخاصة بنسب هندسية خاصة، ومن هذا القبيل ما ذكره المفسرون في قصة سحرة فرعون، حيث عمدوا إلى حبالهم وعصيهم، فحشوها زنبقاً، وجعلوا من أسفلها حرارة خاصة فصارت تتلوى بسبب ما فيها من ذلك الزنبق، فيخيل إلى الراى أنها تسعى وتتحرك باختيارها.

(و) سحر الاستعانة بخواص الأدوية في الأطعمة والدهون الخاصة.

(ز) سحر تعليق القلب، حيث يدعى الساحر المخادع أن الجن يطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور عن طريق معرفة (الاسم الأعظم) فإذا اتفق أن السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز. تعلق قلبه بذلك وحصل في قلبه نوع من الرعب والخافة، فإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة، فيتمكن الساحر حينئذ أن يفعل ما يشاء.

(حـ) سحر السعاية والنميمة، عن طريق التحريش بين الناس، ويتوقف هذا النوع على مدى ذكاء القائم به (1).

(1) انظر أحمد الشرباصى، حديث السحر فى القرآن، المصدر السابق ص 15 ، 16.

4- وقد صنف علماء المسلمين أمثال ابن العربي الفقيه المالكي، والبنوني صاحب "شمس العارف الكبرى، السحر إلى صنفين: حقيقي وغير حقيقي ويسميه بعضهم بالسيما. وأصله "شيم به". وقيل أنه اسم الله تعالى بالعبرانية فعرّبوه بالسيما، ويسمى السحر غير الحقيقي أيضاً، بالأخذ بالعيون.

وقد أتى سحرة فرعون بمجموع القسمين، وقدموا أولاً السحر غير الحقيقي. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾.

ثم أردفوه بالحقيقي وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَأَسَرَّهُبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾.

فلما اشتد أمر السحر، وخفيت أسبابه، وتزاحمت به الظنون، اختلفت طرقه إلى مذاهب شتى فأحد هذه المذاهب ما يقال له طريقة تصفية النفس وتعليق الوهم، وهى طريقة أهل الهند، لأنهم يعتقدون أن تلك الآثار السحرية إنما تصدر عن النفس الناطقة. ويلتزمون الرياضات الشاقة حتى تصفو نفوسهم وتتجرد من جميع الشواغل البدنية بحسب الطاقة البشرية.

وقد بنى هذا المذهب على ثبوت التأثير لتوجيه النفس وتعليق الوهم ويدل على ذلك عشرة أوجه (1).

الوجه الأول

الرامى بالسهم أو بغيره. إذا أراد أن يرمى إلى غرض معين، فإنه لا يمكنه ذلك إلا إذا جمع المهم وتحرى الإصابة. وأيضاً من أراد أن يستقصى النظر إلى شىء معين، بموضوع معين، فلا بد له من صرف جميع الشعاع وتوجيهه بالكلية نحو ذلك الموضوع بدليل أنه لو بقى مشتغلاً بالنظر إلى شىء آخر تعذر عليه الإصابة فى الأول، والنظر المستقصى إلى ذلك الوضع فى الثانية.

(1) مصطفى فهمى الحكيم، أسرار الجن، المصدر السابق، ص 124.

الوجه الثانى

الاعتقاد الراسخ فى النفس، وقوة الإرادة والعزيمة.

الوجه الثالث

إن العقل والنقل متطابقان على أن العين حق وما ذاك إلا تأثير نفسانى.

الوجه الرابع

إن الإنسان يسير بكل سهولة على الأرض لتخيله السلامة، فإذا كانت هذه الأرض جسراً على هاوية، تخيل السقوط، لأن الوهم إذا اشتد جعل الشيء الموهوم موجوداً.

الوجه الخامس

القوى العقلية.

الوجه السادس

التجربة والقياس. وهما يشاهدان بأن التصورات قد تكون مبدأ لحدوث بعض الكيفيات فى الأبدان، فإن الغضب الشديد مثلاً قد يفيد سخونة جذاً.

الوجه السابع

إجماع الحكماء على نهى المرغوب عن النظر إلى الأشياء ذات اللون الأحمر، والمصروع عن النظر إلى القوى اللامعة. وما ذاك إلا لأن النفوس مطيعة للأوهام.

الوجه الثامن

ما حكاه ابن سينا عن أرسطو من أن الدجاجة إذا تشبهت بالديك فى

الصياح، والخصام، وتوهمت الذكورية، نبتت على ساقها شوكة مثل الديك وهذا يدل على أن الأحوال الجسمانية تابعة للأحوال النفسانية.

الوجه التاسع

ذكر ابن سينا كذلك عن أن التفاوت بين الأشخاص الإنسانية في الخلق والصورة أكثر منها بين سائر الحيوان. فقال إن تخيلات الإنسان وأفكاره أكثر مما لسائر الحيوان، والأشكال تتغير بحسب التصورات.

الوجه العاشر

اختلاف شكل الإنسان بحسب اختلاف تصوراته النفسانية، فإن شكله وصورته في حالة غضبه مثلاً يخالفان شكله عند الفرح والسرور والخوف، وغير ذلك.

ومن هذه الوجوه العشرة يثبت التأثير الوهمي.

أما القوة النفسية التي يقتدر بها على الإتيان بالخوارق فتنقسم إلى قسمين:

1- فطرية :

وهي التي تحصل للإنسان من غير اكتساب ولا نظر إلى طالع، بل لهيئة أصيلة في النفس فقد يجوز أن يودع الله تعالى في نفس مخصوصة قدرة وقوة وهمة غير موجودة في غيرها من النفوس كما أودع الإحراق في ماهية النار، والتبريد في ماهية الماء، وغير ذلك وهذا إذا قلنا أن النفوس مختلفة بالماهية كما هو الحق.

أما إن قلنا إن النفوس متحدة بالماهية فلا شك أنها مع ذلك الاتحاد مختلفة

بسبب الآلات البدنية، وبسبب الأعراض النفسانية. فلا يبعد أيضاً أن يخص الله تعالى بعض النفوس بمزاج خاص يكون آلة لنفسه في القدرة على الإتيان بالأفعال الخارقة للعادة أو يخصصها بعرض مخصوص يكون أكثر لنفسه ومعداً لها على التمكن من الإتيان بتلك الخوارق.

وقد تكون أيضاً للنفس قوة المزاج، لأن الأمزجة مختلفة جداً من جهة القرب إلى الاعتدال الحقيقي والبعد عنه، فيجوز أن يخص الله بعض الناس بمزاج غريب على نهج عجيب قل أن يتفق لأحد من الناس فيقوى بسبب ذلك المزاج على الإتيان بما يعجز عنه غيره.

ومن هذه الاحتمالات يجوز أن تكون القوة في بعض النفوس فطرية.

2- مكتسبة :

وهي القسم الثاني من القوة النفسية، إما أن تكون مكتسبة أو قريبة من الفطرية، وهي التي يدل عليها أصل الإنسان.

ولهذا نجد أن شخصاً لا يتعب نفسه في تحصيل قوانين هذا العلم، ورعاية شروطه فيحصل له المطلوب المقصود ولا يخطئ فيه أصلاً. ومن الناس من يتعب نفسه في تحصيل تلك القوانين ومراعاة شروطها، وبعد ذلك لا يحصل له من منافعه إلا شيء قليل جداً، ومنهم من يكون وسطاً بين النوعين.

(ب) السحر غير الحقيقي

السحر غير الحقيقي يأتي بالطرق المكتسبة، والاكْتِسَاب يحصل بمراعاة ثلاثة أنواع، فمتى اختل واحد منها فلا تحصل تلك القوة أصلاً.

فالنوع الأول، هو رفض الملاذ الدنيوية، وترك الالتفات إلى طلبها بالكلية، فإنه إذا تركها الشخص زالت عن قلبه همومها وإشغالها من الفرح بوجود شيء، أو الحزن بفقدده، ويصفو قلبه، وتقوى همته، ويخلو سره من كل ما سوى

المطلوب، فحينئذ يقدر على التفكير فيما يريده ويحصل على مقصوده.

والنوع الثانى، تنقية البدن من فضول الأخلاط الرديئة، لأن تنقية القلب من الأفكار الرديئة متوقفة على تنقية الأخلاط.

النوع الثالث، مراعاة حالة الغذاء، كمية، وكيفية. فأما وجه المراعاة فى الكمية فهو التقليل منها، لأن تصرف الطبيعة فى الغذاء شغل عظيم مانع للنفس عن تمام الاشتغال بما عداه من الأفعال بدليل أن الإنسان قل ما يقوى على الحس والحركة بعد الإكثار من الغذاء فضلاً عن التفكير والتذكر. وما ذاك إلا لأن النفس لا يمكنها الجمع بين تدبير الغذاء وتدبير الحس والحركة، ولذلك تعرض النفس عن تدبير الحس والحركة لتقوى على هضم الغذاء. فإذا كان اشتغالها بهضم الغذاء يمنعها من تدبير الحس والحركة مع شدة ألف النفس بهما، فما ظننا بالفكر والتطلع إلى هذا العالم المستور وهو مما لم نألفه⁽¹⁾.

فالإنسان فى هذه الحالة ينبغى أن يجعل طعامه فى أول الأمر مثل ما جرت به عادته بأكله ثم ينقص منه فى كل ليلة بالتدريج جزءاً فجزءاً إلى أن ينتهى إلى القدر الذى لا بد منه فى حفظ الرمق.

ومن آفات كثرة الأكل، فساد الدماغ، لأن من أكل كثيراً شرب كثيراً، وإذا شرب كثيراً، صعد البخار الرديء إلى دماغه فيفسد دماغه وفكره، فكل ما يضر بالدماغ يجب الاحتراز منه، وكذلك ما يضر القلب.

أما مراعاة حال الطعام فيلاحظ عدم أكل ما فيه روح بل يكون طعامه من الحبوب بدهن الزيت إن وجد وإلا فالسبرج أو غيره من الأدهان المأكولة، وكذلك يمتنع تماماً عن أكل الدجاج والحمام ففيها فساد للدماغ.

وقال المطلعون من العلماء الروحانيين: فإذا داوم إنسان على هذا النظام مع

(1) المصدر نفسه، ص 124 - 132.

مداومته على الصوم أربعين يوماً صارت نفسه صافية، وروحه نقية، ويحيط بغوامض العلوم، ويقدر على تمرير الأجسام العلية.

أما أولئك الذين يدعون السحر الآن ويقولون بأنهم قادرين على فعله، والحصول على فوائده، فهم يخدعون بسطاء الناس لعدم إيمانهم بالحق، ويأن الله وحده هو عالم الغيب. (1)

5- ويرى سيد عبدالله حسين (2)، وهو من الباحثين الذين بحثوا في ظاهرتي الجن والسحر، واعتمد في ذلك على أدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وكتب علماء المسلمين، أن للسحر أصنافاً كثيرة أشهرها أربعة: (3)

(أ) سحر الكلدانيين، وهم عبدة الكواكب يعتقدون أنها هي المدبرة لهذا العالم ومنه يصدر الخير والشر والسعادة والنحس. وقد بعث الله فيهم إبراهيم الخليل عليه السلام مبطلاً لمقالتهم وراداً عليهم مذهبهم.

وطريقة سحرهم أنهم يرصدون الكواكب في منازلها فلها طبائع نحس وسمود، فإذا اقترن زحل بالقمر مثلاً في وقت كذا يحدث كذا ولهم عزائم يتلونها ولهم رياضات خاصة يمارسونها فيحصل ما يريدون بأمر الله.

(ب) سحر تسلط الروح، وهو من أهل النفوس القوية، وذلك لأن النفس إذا كانت مستعلية على البدن شديدة الانجذاب إلى عالم السموات كانت كأنها روح من أرواح السموات فتكون لها القوة المؤثرة في مواد هذا العالم المادية، وذلك مصداق الحديث القدسي: "يا عبدی أطعنی تكن رباناً تقول للشيء كن فيكون".

أما إذا كانت الروح ضعيفة شديدة التعلق بهذه الملذات البدنية فلا تتصرف إلا في البدن، فإذا أراد صاحبها أن تؤثر في بدن آخر اتخذ تمثال ذلك الغير

(1) المصدر نفسه، ص 134.

(2) من علماء الأزهر، وحاصل على ليسانس الحقوق.

(3) سيد عبدالله حسين، الجن: في ذكر جميع أحوال الجن، ص 87.

ووضعه عند الحس وانشغل الحس به فيتبعه الخيال إليه. وأقبلت النفس الناطقة عليه فتقوى التأثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية، وذلك كان لا بد لمزاول هذه الأعمال أن ينقطع عن المألوف والمشتهيات وأن يقلل الغذاء وينقطع عن مخالطة الخلق.

وهذا القدر من القوة النفسانية المستقل بالتأثير إذا انضم إليه النوع الأول من السحر وهو الاستعانة بالكواكب وتأثيرها، كان له أعظم التأثير.

فإذا صفت النفوس من الأبدان جاز لها أن تتضمن الأرواح المماثلة لها التي خرجت من أجسامها فتتعاضد النفوس الكثيرة على ذلك الفعل فيحدث، وأيضاً إذا صفت هذه النفوس الناطقة عن الأقدار البدنية صارت قابلة للأنوار من الأرواح المساوية والنفوس الفلكية فتقوى على أمور خارقة للعادة.

(ج) السحر باستخدام الأرواح الأرضية (الجن) والاستعانة بها وهى أرواح خيرة، وأرواح شريرة، فالخيرة مؤمنو الجن، والشريرة كفار الجن والشياطين.

وهذه الأرواح الأرضية قادرة عالمة مدركة للجزئيات، واتصال الأرواح بها أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية، لكن القوة الحاصلة بالاتصال الأرضى أضعف من القوة الحاصلة بالاتصال السماوى، ويحصل الاتصال بالأرواح الأرضية بالرقى، والدخن (البخور) والتجريد وهى العزائم وتسخير الجن.

(د) السحر بالتخيلات والأخذ بالعيون وهو مبنى على ما يأتى:

1- أغلاط البصر وهى كثيرة.

2- القوة الباصرة إنما تقف على المحسوس وقوفاً تاماً إذا أدركت المحسوس فى زمان له مقدارها.

3- إن النفس إذا كانت مشغولة بشيء فقد يحضر عن الحس شيء آخر ولا يشعر

به الحس أبداً (1).

ويرى الباحث أننا إذا عرفنا أنواع السحر أمكننا أن نفهم أثره فيتعلق السحر بالإنسان إما من جهة نظره ﴿ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرَّهُبُوهُمْ ﴾ وإما من جهة جسمه ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾، وإما من جهة تعطيل بعض أعضائه فيمنعه عن الحركة وعن أن يكون طبيعياً كما خلقه الله.

ربما أن تأثير السحر خفى يمكن أن يقع فى أى وقت وفى أى عضو فى جسم الإنسان بلا مقدمة ولا رؤيا. لهذا كان تأثير السحر على الإنسان من حيث هو جسم بلا فرق بين جسم شخص عادى أو نبي أو رسول. فالسحر يؤثر على الرسول فى جسمه لا فى تشريعه، ولا فى رسالته لأن الله عصمه فى رسالته من الإنس والجن فلا يقدر أحد أن يأتى بآية كانت قوته أن يؤثر عليه فى هذه الناحية. وقد روى البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قد سحر وأثر السحر فيه ولذلك فإن السحر فى نظرهما حقيقة واقعة لا مجال لإنكارها (2).

ففى السحر إذن - فى تصنيفات علماء المسلمين - معنى الخداع والخفاء، والاستمالة والتمويه بالكذب، وهو إما حيلة أو شعوذة، وإما صناعة علمية خفية يعرفها بعض الناس، وإما تأثير نفس إنسانية فى نفس أخرى، يقول تفسير المنار (3): "وقد اعتاد الذين اتخذوا التأثيرات النفسية صناعة ووسيلة للمعاش أن يستعينوا بكلام مبهم وأسماء غريبة اشتهر عند الناس أنها من أسماء الشياطين وملوك الجان، وأنهم يحضرون إذا دعوا بها، ويكونون مسخرين للداعى، ولمثل هذا الكلام تأثير فى إثارة الوهم عرف بالتجربة، وسببه اعتقادهم الواهم أن الشياطين يستجيبون لقارئه ويطيعون أمره، ومنهم من يعتقد أن فيه خاصية، وإنما

(1) سيد عبدالله حسين، المصدر السابق، ص 88، 89.

(2) المصدر نفسه، ص 91.

(3) تفسير المنار هو تفسير عصرى يمثل مدرسة الأستاذ الإمام محمد عبده.

تلك العقيدة الفاسدة تفعل في النفس الواهمة مما يغنى منتحل السحر عن توجيه همته وتأثير إرادته، وهذا هو السبب في اعتقاد الدهماء أن السحر عمل يستعان عليه بالشياطين وأرواح الكواكب (1).



(1) انظر أحمد الشرباصي، المصدر السابق، ص 517.

الفصل الرابع

السحر والدين

تمهيد

الواقع أن الدين والسحر يتشكلان أساساً من مقومين يشتركان فيهما على حد سواء: أما المقوم الأول فهو الاعتقاد في كائن أو كائنات علوية غيبية لها اتصالات على نحو آخر بالإنسان سواء بطريق مباشر كأن تكون متجسدة في شكل إنسانى أو فى هيئة حيوانية، أو فى بعض الجوامد كالكواكب أو العناصر أو كانت اتصالاتها بالإنسان بطريق غير مباشر، أى عن طريق بعض المقربين منها كالأنبياء أو الملائكة. وأما المقوم الثانى فى كل من الدين والسحر فهو الطقوس التى تمارس بشكل جمعى أو بشكل فردى، وسنتناول فى هذا الفصل التفارقة بين الدين والسحر عند علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا، ثم موقف الديانات السماوية اليهودية والنصرانية والإسلامية من السحر.

ويميز ابن خلدون بين الدين والسحر، من حيث طبيعة رجل الدين من ناحية، وطبيعة الساحر من ناحية أخرى، وذلك بقوله "ولنقدم هنا مقدم يتبين بها حقيقة السحر، وذلك أن النفوس البشرية وإن كانت واحدة بالنوع فهى مختلفة بالخواص وهى أصناف كل صنف مختص بخاصية واحدة بالنوع لا توجد فى الصنف الآخر. وصارت تلك الخواص فطرة وجبلة لصنفها. فنفس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لها خاصية تستعد بها للمعرفة الربانية ومخاطبة الملائكة عليهم السلام عن الله سبحانه وتعالى كما مر وما يتسع فى ذلك من التأثير فى الأكوان واستجلاب روحانية الكواكب للتصرف فيها والتأثير بقوة نفسانية أو شيطانية. فأما تأثير الأنبياء فمدد إلهى وخاصية ربانية ونفوس الكهنة لها خاصية الاطلاع على المغيبات بقوى شيطانية. وهكذا كل صنف مختص بخاصية لا توجد فى الآخر. (1)

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص 197.

وهناك من يدرجون السحر فى إطار الفكر الدينى، على أساس أن المعتقدات الدينية تتمشى وتتسجم مع كل نمط من أنماط التفكير يمكن تصويره فالسحر بمقتضى هذه النظرة يعد طيفاً من أطراف الاعتقاد الدينى. وحيث إن العقل البشرى قادر على أن يستوعب كل نوع من أنواع الاعتقاد طالما أنه يستجيب لإحدى الرغبات القوية، فإن من الممكن أن نتوقع أن بعض الناس قد يلجئون إلى الممارسات السحرية على أمل أن تتحقق رغباتهم أو مرادهم. (1)

نظرية السحر والدين عند « فريزر »

وتعد نظرية السحر والدين أهم ما أسهم به "فريزر" فى الدراسات الأنثروبولوجية التطورية. وربما كان أطرف ما فى هذه النظرية محاولة الربط والتقريب بين السحر والعلم اللذين يقفون موقف التعارض مع الدين، ولكنهما يقومان على أسس ومبادئ منطقية واحدة تعتمد على تداعى المعانى أو ترابط الأفكار، وإن كانت عملية التداعى فى السحر تتم بطريقة خاطئة. فالسحر صورة من صور تطبيق. أو على الأصح إساءة تطبيق. مبادئ تداعى وترابط المعانى، ولذا يطلق عليه فى كتابات كل من "تايلور" و"فريزر" اسم العلم الكاذب أو "شبه العلم".

ولقد أقام "فريزر" تمييزه بين السحر والدين على أساس أن الدين يشترط الاعتقاد فى الكائنات الروحية أو الإلهية والأرباب، بينما يتألف السحر من الأعمال والممارسات والشعائر التى تتصل بالكائنات الأخرى.

ويختلف رأى "فريزر" مع رأى معظم علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا فى القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن فى أن السحر أسبق فى الزمن من الدين. ولقد كان الرحالة والمبشرون والعلماء الأوائل على العموم يفترضون أن الرجل البدائى لا يعرف الدين الذى يرتبط فى نظرهم بالأشكال الأكثر تقدماً من الحضارة. وحتى

(1) نجيب يوسف بدوى، السحر والنتجيم، ص 209.

"تايلور" Tylor نفسه، على الرغم من أنه لم ينكر وجود الدين كل النكران في الأشكال البدائية للحياة الاجتماعية، فإنه كان يرى أن فكرة الله لم تظهر إلا في مرحلة متأخرة من تاريخ الإنسانية بعد تطور طويل في التفكير الحيوى أو الأنيمى animism، الذى كان يرى الحياة والروح منتشرين بصورة أو بأخرى فى كل الموجودات وجميع الكائنات (1).

وقد بلغ من شيوع هذه الفكرة وسيطرتها على الأذهان أن ضاعت الأصوات التى أرادت التدليل على أن فكرة الله كانت موجودة فى ضمير البشرية ومنذ أقدم العصور، وأن الرجل البدائى فى كل المجتمعات المتأخرة المعروفة لنا عنده فكرة الدين.

فالرأى السائد إذن بين هؤلاء العلماء هو أن السحر مهد لظهور الدين، وأن معظم الممارسات والطقوس التى يمارسها البدائيون والتى تتصل بعالم الغيبيات وبالكائنات الإعجازية أو الخارقة للطبيعة وهى ممارسات وطقوس سحرية، ولم يشذ "فريزر" عن ذلك الرأى أو يخرج عليه. (2).

ومهما اختلفت النظريات التى تدور حول التفرقة بين السحر والدين فى الكتابات الأنثروبولوجية، ومهما تعددت الآراء المتضاربة التى يحاول أصحابها الالتزام بها فى محاولتهم التمييز بين الاثنين، فإن معظم الآراء تكاد تتفق على عدد من الأسس الهامة: أولها أن السحر له القدرة على "إجبار" عالم ما فوق الطبيعة أو عالم الغيبيات على تحقيق مطالبه، وأن الممارسات السحرية لا يمكن أن تفشل فى تحقيق النتائج المرجوة إلا نتيجة ارتكاب أحد الأخطاء أثناء ممارسة تلك الطقوس أو نتيجة لتدخل سحر آخر مضاد يكون أقوى مفعولاً وذلك بعكس الدين الذى لا يحقق. فى رأى أنصار فريزر على الأقل. النتائج المطلوبة فى كل الأحوال نظراً

(1) انظر نجيب يوسف بدوى، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(2) انظر جيمس فريزر، الغصن الذهبى، دراسة فى السحر والدين، ترجمة د. أحمد أبو زيد وآخرين، ص 48، 49.

لأنه يقتصر على التضرع والابتهال والسؤال دون القيام بأى عمل إيجابى لتحقيق مطالبه.

ومن ناحية أخرى فإن الممارسات السحرية لا يمكن القيام بها على مستوى المجتمع كله، أو الجانب الأكبر منه، كما هى الحال بالنسبة للدين، بل إنها كثيراً ما تمارس فى الخفاء، وقد لا يكون لها أى مظهر اجتماعى على الإطلاق.

ومن أهم الاختلافات بين السحر والدين أن السحر يعتمد على عبارات وتعاويذ، وصيغ كثيراً ما تكون غير مفهومة حتى للأشخاص الذين يستخدمونها، وذلك بعكس الدين الذى يستخدم اللغة العادية السائدة فى المجتمع.

وأخيراً فإن السحرة يؤلفون جماعة منعزلة عن رجال الدين كما أن نظرة المجتمع إليهم تختلف اختلافاً كبيراً عن نظرته إلى رجال الدين، إذ يعتبرهم أقل منهم مكانة وأدنى فى المرتبة حتى وإن كان بعضهم يسخر سحره لصالح الجماعة كلها. ذلك كله بالإضافة إلى أن رجل الدين يحتاج فى العادة إلى فترة إعداد طويلة قبل أن يباشر وظيفته، وهى وظيفة يعترف بها المجتمع نفسه ويقرها، وذلك بعكس الحال بالنسبة للسحر، أو على الأقل بعض أنواعه وبخاصة السحر الأسود Black Magic أو السحر الضار.

ويعرف "ماريت" السحر بأنه الأخت السيئة السمعة للدين. والمشكلة بين السحر والدين لا تنبدى فى الحكم على كل منهما بأنه غيبى أم لا، بل فى الوقوف على أن كلا منهما يمثل طرف النقيض بالنسبة للآخر. ويذهب "فريزر" إلى أن السحر تكنولوجيا فى طبيعته وهو أيضاً آلى فى تطبيقاته، وهو يجبر الطبيعة على الخضوع لمرامى المرء، أما الدين فإنه سلوك روحى، وهو يستعين قبالة كون مشخص بكل أنواع السلوك الذى يستهدف خير الإنسان وتحقيق العلاقات الطيبة بين الناس بعضهم بعضاً⁽¹⁾.

ولكن على الرغم من هذه الأسس فكثيراً ما يفشل العلماء في التمييز بين ما هو سحر، وما هو دين. وكثير جداً من الأمثلة التي يوردها "فريزر" للسحر في كتابه "الغصن الذهبي" يمكن بسهولة أن تؤخذ على أنها شعائر دينية. ويبدو أن فريزر نفسه أحس بذلك إذ يسير في أكثر من موضع من كتابه إلى أن بعض العناصر الدينية قد تجد طريقها إلى الممارسات السحرية، ولكن ذلك لا يحدث في رأيه إلا في المراحل الأكثر تقدماً في تاريخ الحضارة.

ومهما يكن من أمر هذه الاختلافات فإن الرأي السائد بين علماء الأنثروبولوجيا المحدثين الذين قاموا بدراسات وأبحاث عقلية بين الشعوب المتخلفة والتقليدية هو أن كلاً من السحر والدين يقتضى نوعاً مختلفاً من السلوك الاجتماعي رغم أنهما يتعلقان بعالم الغيبيات ويستعينان بالكائنات الروحية أو بالقوى الخفية الخارقة للطبيعة لتحقيق الطمأنينة والهدوء وراحة البال والتوفيق.

ويقف العلماء المحدثون من دراسة السحر والدين والعلم موقفاً يختلف كل الاختلاف عن موقف "فريزر" ومعاصريه من علماء القرن التاسع عشر. فهم لا ينظرون إليها على أنها مراحل أو حالات مختلفة ومتمايزة يمر بها المجتمع الإنساني في تطوره، واحدة بعد أخرى عبر الزمن، وإنما يعتبرونها ثلاثة أنماط من النشاط العقلي، أو ثلاث وجهات نظر إلى الكون وأحداث الطبيعة وأنها توجد جنباً إلى جنب في المجتمع الواحد في وقت واحد، ويؤثر بعضها في بعض كما يؤثر بأشكال ودرجات مختلفة في السلوك الإنساني.

ومما لا شك فيه. سواء أكان السحر حقيقياً، أم زيفاً من الزيف، أن الرسائل السماوية وهي اليهودية والمسيحية والإسلام قد شجبت السحر والسحرة، واستحلت دماءهم، وعدُّوا خطراً على الناس سواء في الدنيا أو الآخرة (1).

(1) المصدر نفسه، ص 49 : 52.

موقف اليهودية والمسيحية من السحر

أجمع أكثر المفسرين على أن اليهود، سواء من كان منهم في زمن سليمان عليه السلام أو في زمان محمد عليه الصلاة والسلام، كانوا من السحرة الذين أتقنوا هذا الفن. وقد ذهب هؤلاء السحرة من اليهود إلى أن سليمان إنما أوجد هذا الملك العريض والجاه العظيم بسبب السحر فبه سخر الإنس والجن والريح التي تجرى بأمره (1).

وقد كانت هناك أيضاً صلة وثيقة بين السحر المصرى والسحر اليهودى، ويدل على ذلك أن النبی موسى كان من الإسرائيليين الذين شبوا في بلاط فرعون وبرزوا في فنون السحر. وقصة موسى مع سحرة فرعون شائعة إذ ألقى سحرة فرعون حبالاً وعصياً فإذا هي تتحول إلى حيات يركب بعضها فوق بعض ثم ألقى موسى عصاه فإذا هي ثعبان مبین ابتلع جميع ما ألقى السحرة من حبال وعصى، ثم إن موسى عندما خرج من مصر إلى فلسطين هو وجنده، شق البحر بعصائه، وهذا دليل مادی على أهمية السحر في حياة الجماعات القديمة. (2)

وقد شدد الكتاب المقدس ضد السحرة وتهدهم ومن يتقون فيهم بالعقاب الشديد (ملاخي 3:5) (ورؤيا 22 : 15) وأمر الله بمنعهم بتاتا (تثنية 18 : 10، 12) كما منع العرافون من الإقامة في أرض العبرانيين (خروج 22 : 18).

غير أن شعب إسرائيل تهاون في حفظ هذه الوصية الإلهية. فبدأ الشعب يلجأ إلى السحرة عند الحاجة، فلجأ الملك شاول إلى عرافة عين دور بعد مفارقة روح الرب له (صموئيل 28 : 3، 20). (3)

(1) أحمد الشنتناوى، المصدر السابق، ص 43.

(2) صموئيل باسيلوس، السحر ظاهرة اجتماعية عند الشعوب المتخلفة، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد 26، 1969، العدد الأول والثانى، ص 69.

(3) قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، ط2.

وقد أوضح الكتاب المقدس أن أعمال السحرة مرفوضة أمام الله، ويطلب الله من الناس ألا يأكلوا بالدم ولا يتفاعلوا ولا يعفوا (لا 19 : 26) ولهذا يعد القيام بهذه الأعمال خطية.

ويوضح الكتاب المقدس شدة استياء الله من السحرة ومن يتعاملون معهم، فيقول في سفر ملاخي ".. واقترّب إليكم للحكم وأكون شاهداً سريعاً على السحرة، وعلى الفاسقين، وعلى الحالفين زوراً .." (ملاخي 3 : 5) ويصل غضب الله من السحرة إلى أقصى درجة عندما يطالب بموت السحرة "لا تدع ساحرة تعيش" (خروج 22 : 18) وذكر في سفر الرؤيا أن خارجاً يكون الكلاب والسحرة والزناة والقتلة .. (رؤيا 22 : 15) وهنا نجد الكتاب المقدس يساوى بين السحرة والزناة والقتلة.

وقد جاءت نصوص الكتاب المقدس منذ العهد القديم تحرم السحر والعرافة والعيافة، فقد جاء في سفر التثنية مثلاً "لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته في النار، ولا من يعرف عرافة ولا متفائل ولا ساحر ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جانا أو تابعه ولا من يستشير الموتى لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب. وبسبب هذه الأرجاس الرب إلهك طاردهم من أمامك. تكون كاملاً لدى الرب إلهك. إن هؤلاء الأمم الذين تخلقهم يسمعون للعائفين والعرافين، وأما أنت فلم يسمح لك الرب إلهك هكذا" (تثنية 18 : 10، 14).

وقد بين الكتاب المقدس أن مثل هذه الأعمال نوع من النجاسة "لا تلتفتوا إلى الجان ولا تطلبوا التوابع فتتنجسوا بهم" (لاوى 19 : 31).

أما عن مصير السحرة فهو يتفق مع طبيعة أعمالهم:

فى الأرض: يكرههم الناس. رغم أنهم يخشونهم. ولا يلجأون إليهم إلا لاعتقادهم بأن فى يدهم سلطاناً. ويجب التنبيه إلى نقطة هامة وهى أن بعض الناس يخافون السحرة لدرجة أنهم يخشون مجرد التحدث عنهم، أو الاعتراض على

أعمالهم، لهذا يبتعدون عن أية محاولة لفحص تلك الأعمال لمعرفة ما إذا كانت من الله أم من الشيطان.

والكتاب المقدس يدعو لفحص الأرواح، وامتحان ما هو من الله وما هو ليس من الله. وذلك لأن الذئاب الخاطفة تلبس أحياناً أثواب الحملان⁽¹⁾.

ويعيش القائمون بهذه الأعمال مرفوضين من الله حتى يتوبوا ويرجعوا عنها. وقد كانت نهاية حياة الكثير منهم نهاية مؤسفة تتفق مع طبيعة البعيدين عن الله والمتعاونين مع الشياطين. فبعضهم مات مقتولاً بيد بعض الناس الذين أضربوا من أعمالهم، والبعض الآخر صرعه الشياطين أو أفقدته النطق لأنه رفض لها طلباً.

وفى السماء: أوضح الكتاب أنهم مرفوضون لأن الإنسان لا يستطيع أن يشرب كأس الرب وكأس الشيطان، ولا يقدر أن يشترك فى مائدة الرب وفى مائدة الشياطين (1 كو: 1: 21) كما ذكر يوحنا الرائي أن السحرة سيكونون خارجاً مع الزناة والقتلة وعبداء الأوثان وكل من يحب ويصنع كذباً (رؤيا 22 : 15) وسيكون نصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت، وهذا هو الموت الثانى (رؤيا 21 : 8).

السحر فى الإسلام

يقال سحره أى صرفه عن وجهه وخدعه. ومن ذلك قوله تعالى فى سورة الأعراف "وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين". وقوله فى سورة المؤمنون: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ ﴿أَيَّ كَيْفٍ تَصْرِفُونَ عَنِ الْحَقِّ وَتَخْدَعُونَ؟﴾

(1) انظر نبيل صبحى حنا، السحر، دراسة مسيحية للسحر والسحرة والمتعاملين معهم فى ضوء الكتاب المقدس، مراجعة وتقديم الأنبا غريغوريوس أسقف للدراسات العليا والثقافية القبطية والبحث العلمى، ص 19.

وأصل السحر هو صرف الشيء عن وجهه أى صرفه عن حقيقته إلى غيرها وكأن الساحر لما أرى الناس الباطل فى صورة الحق، وخيل الشيء على غير حقيقته، فقد سحر الشيء عن وجهه أى صرفه.

وقد ورد ذكر "السحر" فى القرآن الكريم كثيراً، فتكرر ذكر السحر والسحرة 60 مرة ورد منها لفظ السحر 23 مرة، وتكرر ذكر الساحر 12 مرة فى مثل قوله الكريم: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾⁽¹⁾. ومنها لفظ السحرة الذى تكرر 8 مرات فى مثل النص الشريف: ﴿فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾⁽²⁾. وتكرر لفظ مسحوراً 3 مرات فى مثل النص الكريم: ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾⁽³⁾.

ولفظ المسحرين مرتين فى مثل قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾⁽⁴⁾. ومرة واحدة بكل من ألفاظ:

سحروا - لتسحرنا - تسحرون - بسحرك - بسحره - بسحرهما - سحرهم - ساحران - الساحرون - سحار - مسحرون⁽⁵⁾.

ويقرر القرآن الكريم كثيراً أن السحر خداع وتخيل، ومن ذلك قول الله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أى تخيل لا حقيقة، وخداع للبصر والحواس.

ومن الناس من إذا رأى الآيات التى يوجه الله النظر إليها أو يرسلها للأنبياء

(1) المصدر نفسه، ص 50، سورة يونس، آية 79.

(2) سورة الشعراء، آية 38.

(3) سورة الإسراء، آية 101.

(4) سورة الشعراء، آية 153.

(5) انظر عبدالرزاق نوفل، التاروت فى سحر هاروت وماروت.

والرسل قالوا عنها أنها سحر وذلك فى النص الشريف: ﴿وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةَ يَسْتَسْخِرُونَ ۖ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (1).

بل إنه حتى إذا أتى أمر الله واقتربت الساعة وظهرت أدلتها كانشق القمر.. فإن هناك من سيعرضون عن هذه الآيات ظناً منهم أنها من عمل السحر وفى ذلك تقول آيات قرآن الخالق عز وجل: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ۖ وَإِنْ يَرَوْا ءَايَةَ يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ (2).

والمسحور إنما يخضع لما وقع عليه من سحر مهما كانت الظواهر المحيطة به، والأدلة المقنعة له، فيقول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۖ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ (3).

والسحر طبقات .. والسحر درجات .. ولذلك كان فرعون يبحث عن السحرة العلماء ويقول الله عز من قائل: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۖ يَا تُوَلِّكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٌ﴾ (4).

ولقد ذكر القرآن الكريم موقفين من مواقف السحر، أولهما يتعلق بالسحر فى عهد سليمان، ويتعلق بقصة هارون وماروت، والموقف الآخر يتعلق بسحرة فرعون فى قصة موسى عليه السلام.

الموقف الأول جاء فى شأنه قول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هُرُوتَ وَمَرُوتَ

(1) سورة الصافات، آية 14، 15.

(2) سورة القمر، آية 1، 2.

(3) سورة الحجر، آية 14، 15.

(4) سورة الشعراء، آية 36، 37.

وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا حُنُّ فِتْنَةٍ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ (١)

يخبر الله تعالى بأن سيئات اليهود أنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وأعرضوا عنه، واتبعوا السحر واتبعوا كتاباً فيه صنعة (آصف) كاتب النبي سليمان، واتبعوا سحر هاروت وماروت، - وكانا يعلمان الناس السحر اختصاراً وابتلاءً -، ووصفوا سليمان بأنه ساحر وليس نبياً، فكذبهم الله في ذلك، وأبان أن الشياطين هم الذين افتروا على سليمان وموهوا على الناس بالتلبيس والخداع فكانوا من الكافرين.

وكان هاروت وماروت يقولان للناس: ﴿إِنَّمَا حُنُّ فِتْنَةٍ فَلَا تَكْفُرْ﴾ وكانا يعلمان الناس السحر تعليم من يحذر منه لا تعليم من يدعو إليه. ويقولان للناس: لا تفعلوا كذا وكذا ولا تتحالفوا بكذا، لتفرقوا بين المرء وزوجه.

ويرى الإمام (محمد عبده) أن قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ لا مانع أن يكون المراد منه تلك الطرق الخبيثة التي تصرف الزوج عن زوجته، والزوجة عن زوجها، ولا يبعد أن يكون مثل هذه الطرق مما يفعله الناس ويطلبون له الأساتذة، ونحن نرى أن كتباً ألفت ودروساً ألفت لتعليم أساليب التفريق بين الناس، لمن يريد أن يكون من عمال السياسة في بعض الحكومات.

وقد يكون ذكر المرء وزوجه من قبيل التمثيل، وإظهار الأمر في أقيح صورة: أي بلغ من أمر ما يتعلمونه من ضروب الحيل وطرق الفساد أن يتمكنوا به من التفريق بين المرء وزوجه، وسياق الآية لا يابأه، وذكر الشياطين لا يمنعنا

من ذلك: بعد أن سمى الله خبثاء الإنس المنافقين بالشیاطین قال: "وإذا خلوا إلى شیطانیهم" وقال شیطاین الإنس والجن یوحى بعضهم إلى بعض".

وینفی القرآن الکریم أن یقع شیء فی هذا الـکون إلا بإذن الله فی الآیة السابقة: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

والموقف الثانی الذی عرضه القرآن عن السحر هو موقف سحرة فرعون مع موسى عليه السلام، وقد تحدث القرآن عن هذا الموقف فی سورة الأعراف ویونس، وطه، والشعراء، والقصاص، وغيرها، وبحسبنا أن نذكر الآیات التي وردت فی سورة الأعراف عن هذا الموقف فهي تقول:

« وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين، قال نعم وإنكم لمن المقربين، قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين، قال القوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم، وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون، فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون. »

وقوله "استرهبوهم" أي حاولوا إرهاب الناس، وإلقاء الخوف فی قلوبهم، بما فعلوه من تخييل، وبما موهوا عليهم، حتى خيل إلى الناس أن عصيهم وحبالهم تسعى، وإنما الأمر فی الحقيقة نلبیس واحتيال ..

ولعل من أدق ما یصور موقف القرآن الحکیم من السحر والسحرة، ما جاء فی سورة طه على لسان موسى وهو ینصح السحرة: « قال لهم موسى لا تفتروا على الله كذباً فيسحقكم بعذاب وقد خاب من افتري ». وقول القرآن بعد ذلك: ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ وقوله فی سورة يونس عن السحرة مع موسى: ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢٥﴾ وَنُحِيقُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (١).

(١) انظر أحمد الشرباصي، المصدر السابق، ص 15، 20، 21.

السحر وحكمه عند علماء الإسلام ومفكره

تناول علماء الإسلام موضوع السحر والسحرة من زوايا مختلفة. ويمثل "الغزالي" قمة التفكير عند علماء المسلمين في الإيمان المطلق بالسحر والاعتقاد به على الرغم من أنه علم مذموم، ويرى أن هناك في الكون أموراً غريبة من قبيل السحر وأن هناك في (الأعداد) خواص عجيبة مجربة، كذلك الخواص التي تستعمل في تجربة معالجة الحامل التي عسر عليها الطلق، ويشير إلى ذلك المربع الذي يعرف بمربع (بدوح) وهو شكل فيه تسعة بيوت - أو خانات - يرقم فيها أرقام مخصوصة بحيث يكون مجموع ما في جدول واحد خمسة عشر، سواء قرأته بالطول أو العرض أو على التأريب. وقد تناول الغزالي هذا الموضوع وهو يتحدث عن (سر النبوة) في كتابه "المنقذ من الضلال" (1).

وليس عجباً أن يتكلم الغزالي عن السحر وهو في معرض الحديث عن النبوة، فإن للنبي معجزات يبرهن بها على صدق رسالته. والمعجزات أعمال خوارق للعادة والطبيعة، فما هو الفرق بينها وبين السحر. ومن هنا كان تناول الغزالي للقضية.

على أن "ابن خلدون" قد تناول موضوع السحر بتفصيل وتدقيق أكثر حينما تكلم عن (السحر) في المقدمة "لأنه لما كانت المعجزة بإمداد من روح الله فإنه لا يعارضها شيء من السحر فإن سحر فرعون وسحرته لم يستطع أن يقف أمام العصا التي تلقف ما يأفكون وذهب سحرهم واضمحل كأن لم يكن" (2).

والسحر حقيقة واقعة، فقد قال "ابن خلدون" في مقدمته: «واعلم أن وجود السحر لا مرية فيه بين العقلاء» (3) وأن علوم السحر والطلسمات كانت في أهل بابل

(1) الغزالي، المنقذ من الضلال، ص 52.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق، ص 205.

(3) المصدر نفسه، ص 498.

من السريانيين والكلدانيين وفي أهل مصر من القبط وغيرهم وكان لهم فيها التأليف والآثار ولم يترجم لنا من كتبهم فيها إلا القليل مثل الفلاحة النبطية من أوضاع أهل بابل فأخذ الناس منها هذا العلم وتفننوا فيه ووضعت بعد ذلك الأوضاع مثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طمطم الهندي في صور الدرج والكواكب وغيرها ثم ظهر بالمشرق جابر بن حيان كبير السحرة في هذه الملة فتصفح كتب القوم واستخرج الصناعة وغاص في زبدتها واستخرجها ووضع فيها غيرها من التأليف وأكثر الكلام فيها وفي صناعة السيمياء لأنها من توابعها لأن إحالة الأجسام النوعية من صورة إلى أخرى إنما يكون بالقوة النفسية لا بالصناعة العملية فهو من قبيل السحر .. ثم جاء مسلمة بن أحمد المجريطي إمام أهل الأندلس في التعاليم والسحريات فخلص جميع تلك الكتب وهذبها وجمع طرقها في كتابه الذي سماه غاية الحكيم ولم يكتب أحد في هذا العلم بعده" (1).

ويرى "ابن خلدون"، مع اعترافه بوجود السحر، أنه كفر، وذكر سبب تكفير الساحر فقال: « ثم هذه الخاصة تكون في الساحر بالقوة شأن القوى البشرية كلها وإنما تخرج إلى الفعل بالرياضة ورياضة السحر كلها إنما تكون بالتوجه إلى الأفلاك والكواكب والعوالم العلوية والشياطين بأنواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل فهي لذلك وجهة إلى غير الله وسجود له والوجهة إلى غير الله كفر فلهذا كان السحر كفرًا ».

ويرى ابن خلدون " أن الشريعة لم تفرق بين السحر والطلسمات وجعلته كله بابًا واحدًا محظورًا لأن الأفعال إنما إباحها لنا الشارع منها ما يهمننا في ديننا الذي فيه صلاح آخرتنا أو في معاشنا الذي فيه صلاح ديننا وما لا يهمننا في شيء منهما فإن كان فيه ضررًا أو نوع ضرر كالسحر والطلسمات ... فتفسد العقيدة الإيمانية برد الأمور إلى غير الله فيكون حينئذ ذلك الفعل محظورًا على نسبه في الضرر " (2).

وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته وقائع من السحر شاهدها وأخرى سمعها،

(1) المصدر نفسه، ص 497.

(2) انظر المصدر نفسه، ص 503.

فكان يقول: «ورأينا بالعيان من يصور صورة الشخص المسحور بخواص أشياء مقابلة لما نواه وحاوله موجودة بالمسحور، وأمثال تلك المعانى من أسماء وصفات التأليف والتفريق ثم يتكلم على تلك الصورة التى أقامها الشخص المسحور عينا أو معنى .. وشاهدنا أيضًا من المنتحلين للسحر وعمله من يشير إلى كساء أو جلد ويتكلم عليه فى سره فإذا هو مقطوع متفروق ويشير إلى بطون الغنم كذلك فى مراعيها بالبعج فإذا أمعاؤها ساقطة من بطونها إلى الأرض وسمعنا أن بأرض الهند لهذا العهد من يشير إلى إنسان فيتحت قلبه ويقع ميتا.. وكذلك سمعنا أن بأرض السودان وأرض الترك من يسحر السحاب فيمطر الأرض المخصوصة. وكذلك رأينا من عمل الطلسمات عجائب فى الأعداد المتحابة وهى رك رف د أحد العددين مائتان وعشرون والآخرون مائتان وأربعة وثمانون ومعنى المتحابة أن أجزاء كل واحد التى فيه من نصف وثلث وربع وسدس وخمس وأمثالها، إذا جمع كان متساويًا للعدد الآخر صاحبه فتسمى لأجل ذلك المتحابة ونقل أصحاب الطلسمات أن لتلك الأعداد أثرًا فى الألفة بين المتحابين واجتماعهما⁽¹⁾.

وفى إيضاح الدلالة فى هموم الرسالة لشيخ الإسلام "أبى العباس ابن تيمية" المتوفى سنة 728، أن الإنسان إذا فسدت نفسه ومزاجه يشتهى ما يضره ويلتذ به، بل يعشق ذلك عشقًا يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله، كالشياطين الذين يشتهون الشر ويلتذون به ويطلبونه ويحرصون عليه، وإن كان موجبًا لعذابهم وعذاب من يغوونه من الإنس، فهؤلاء السحرة إذا تقربوا إلى الشياطين بعزائهم وأقسامهم وكتبهم المشتملة على ما يحبون من الشر والكفر والشرك، صار ذلك كالرشوة لهم، فيقبضون بعض أغراضهم كمن يعطى غيره مالاً ليقتل له من يريد قتله أو يعينه على فاحشة، ومنهم من يكتب فى روحانياته كلام الله بالنجاسة، ومنهم من يقلب كلامه تعالى عز وجل. فإذا قالوا أو كتبوا ما تحبه الشياطين وترضاه منهم أعانواهم على بعض أغراضهم، كتغوير ماء أو حمل فى هواء أو إتيان بمال إلى غير ذلك

(1) المصدر نفسه، ص 499، 55.

مما تفعله الشياطين على أيدي هؤلاء السحرة، قال: وأعرف في كل نوع من هذه الأنواع من الأمور المعينة ومن وقعت له ممن أعرفه ما يطول حكايته. وعلى كل حال فخوارق العادات إن خصت بما يظهر على يد النفوس البشرية بلا سبب أصلاً فالسحر ليس منها، وإن لم تقيد بذلك دخل فيها السحر، سواء كان معه قسم أو قرين من الجن أو روح أخرى تتسلط على تلك الروح التي ظهر على يدها ذلك الخارق، كما في التحضير والتتويم المغناطيسي (1).

ويرى فريق من السلف أن السحر لا أصل له، ويرى البعض أنه وسوسة وأمراض، ويرى بعض آخر أنه حق وله حقيقة، يخلق الله عنده ما يشاء، ومنه ما يكون خفة اليدين ومنه ما يكون كلاماً محفوظاً، ورقى من أسماء الله تعالى، وقد يكون من عهود الشياطين، ومنه ما يكون أدوية وأدخنة وغير ذلك.

ومذهب أهل السنة أن السحر ثابت وله حقيقة، ومذهب المعتزلة بخلاف ذلك، وهو أن السحر لا حقيقة له، بل هو إيهام لكون الشيء على غير ما هو به، واستدلوا بقول القرآن: "يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى" حيث لم يقل تسعى حقيقة، بل قال: "يخيل إليه" وبقوله: "سحروا أعين الناس واسترهبوهم".

ويميل "تفسير المنار" - وهو تفسير عصرى عقلى يمثل مدرسة الأستاذ "الإمام محمد عبده" - إلى تكذيب السحر، وأنه شيء منتحل، يستخدمه أصحابه ليفتنوا العامة، ويضلّوهم عن طلب الأشياء بأسبابها الظاهرة ومناهجها المشروعة، وهؤلاء الدجالون مازالوا يتلون أقساماً وعزائم، ويخطون خطوطاً وطلسمات ويسمون ذلك خاتم سليمان وعهود سليمان ويزعمون أنها تحفظ حاملها من اعتداء الجن ومس العفاريث.

وترى هذه المدرسة العقلية في تفسير القرآن الكريم أن السحر أعمال غريبة

(1) محمد حسنين مخلوف، المطالب القدسية في أحكام الروح وآثارها الكونية، ص 202، 204.

من التلبيس والحيل تخفى حقيقتها على الجماهير لجهلهم بأسبابها فمتى عرف سبب شيء منها بطل إطلاق اسم السحر عليه.

ويستوى في هذا أنواع السحر الثلاثة التالية:

(أ) ما يعمل بالأسباب الطبيعية من خواص المادة المعروفة للعالم بها، المجهولة عند المسحورين، كاستعمال الزئبق في تحريك الحبال والعصى التي روى أن سحرة فرعون قد استخدموها في سحرهم.

(ب) ما يقوم على الشعوذة القائمة على البراعة وخفة الدين في إخفاء بعض الأشياء وإظهار البعض الآخر.

(ج) ما يقوم على تأثير النفوس ذوات الإرادة القوية في النفوس الضعيفة صاحبة الأمزجة العصبية القابلة للأوهام والانفعالات⁽¹⁾.

وكلما تكلمنا عن حقيقة السحر، لابد أن نتحدث أيضاً عن حكم السحر في الدين الإسلامى.

حكم السحر فى الإسلام

يقول "الإمام القرطبى" فى تفسيره: «من السحر ما يكون كفرًا من فاعله، مثل ما يدعون من تغيير صور الناس وإخراجهم فى هيئة بهيمة، وقطع مسافة شهر فى ليلة، والطيران فى الهواء فكل من فعل هذا ليوهم الناس أنه محق فذلك كفر منه».

وجمهور العلماء يرى قتل الساحر لأنه كالمدعى للنبوّة، وكافر بالأنبياء.

يرى "الإمام مالك" والأئمة "ابن حنبل" و"الشافعى" و"أبو حنيفة" وغيرهم، «أن المسلم إذا سحر بنفسه، بكلام يكون كفرًا يقتل ولا يستتاب ولا تقبل توبته، لأن الله

(1) انظر أحمد الشرباصى، المصدر السابق، 17.

تعالى سُمى السحر كُفراً كما يقول عن الملكين المعلمين للسحر: «وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة».

وروى قتل الساحر عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة، وأبى موسى، وقيس بن السعد وغيرهم. واستدلوا على ذلك بحديث - ضعفه - يقول: «حد الساحر ضربه بالسيف»⁽¹⁾.

ويقول ابن المنذر: «وإذا أقر الرجل أنه سحر بكلام يكون كُفراً وجب قتله إن لم يتب، وكذلك لو ثبتت به عليه بينة، ووصف البينة كلاماً يكون كُفراً».

«وإن كان الكلام الذى ذكر أنه سحر به ليس بكفر لم يجز قتله. فإن كان أحدث فى المسحور جنابة توجب القصاص اقتص منه إن كان عمد ذلك، وإن كان مما لا قصاص فيه ففيه دية ذلك»⁽²⁾.

ويروى أنه كان عند "الوليد بن عقبة" ساحر يلعب بين يديه، فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيرد إليه رأسه، فقال الناس: سبحان الله، يحيى الموتى. ورآه رجل من صالحى المهاجرين فلما كان الغد جاء الساحر مشتملاً على سيفه، وأخذ يلعب لعبه ذلك، فرفع المهاجر سيفه، وضرب به عنق الساحر، وقال عنه: (إن كان صادقاً فليحي نفسه). وتلا قول الله تعالى: ﴿أَفَتَأْتُونَ آلِيسْحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ؟﴾.

وحين نتحدث عن السحر فى الإسلام، يرد سؤال ذو أهمية فى هذا المجال، هل صحيح ما يزعم بعض المفسرين أن لبيد بن الأعصم اليهودى سحر رسول الله ﷺ، وأن الله جلَّ جلاله شفاه من هذا السحر؟

(1) أخرجه الترمذى بسند غير قوى، وغيره أخرجه مرسلًا.

(2) أحمد الشرباصى، المصدر السابق، ص 18.

إنهم يوردون هذه القصة عند قول القرآن الكريم في سورة الفلق: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ وبعض المحققين يطعنون في ذلك الخبر، ويرون أن تمكن ذلك الشخص من سحر الرسول لا يليق بمكانة الرسول وهو المعصوم المؤيد من ربه سبحانه، وعلى رأس هؤلاء المنكرين لقصة سحر الرسول الأستاذ "محمد عبده"، وله في ذلك الموضوع بحث يفيض بالحرارة والغيرة على مكانة الرسول عليه الصلاة والسلام ومما جاء فيه:

« قد رووا ما هنا أحاديث في أن النبي ﷺ سحره لبيد بن الأعصم، وأثر سحره فيه، حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله أو يأتي شيئاً وهو لا يأتيه، وأن الله أنبأه بذلك، وأخرجت مواد السحر من بئر، وعوفى ﷺ مما كان نزل به من ذلك، ونزلت هذه السورة (سورة الفلق).

ولا يخفى أن تأثير السحر في نفسه عليه الصلاة والسلام، حتى يصل به الأمر إلى أن يظن أنه يفعل شيئاً وهو لا يفعله، ليس من قبيل تأثير الأمراض في الأبدان، ولا من قبيل عروض السهو والنسيان في بعض الأمور العادية، بل هو ماس بالعقل آخذ بالروح، وهو مما يصدق المشركين فيه « إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً ».

وليس المسحور عندهم إلا من خولط في عقله، وخيل إليه أن شيئاً يقع وهو لا يقع، فيخيل إليه أنه يوحى ولا يوحى إليه.

وقد قال كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ما هي النبوة، ولا ما يجب لها: إن الخبر بتأثير السحر في النفس الشريفة قد صح، فيلزم الاعتقاد به، وعدم التصديق به من بدع المبتدعين لأنه ضرب من إنكار السحر، وقد جاء القرآن بصحة السحر.

هنا ننظر كيف ينقلب الدين الصحيح والحق الصريح في نظر المقلد بدعة

يحتج بالقرآن على ثبوت السحر، ويعرض عن القرآن في نفيه السحر عنه عليه السلام، وعده من افتراء المشركين عليه، ويؤول في هذه ولا يؤول في تلك، مع أن ذلك الذى قصده المشركون ظاهر، لأنهم كانوا يقولون: إن الشيطان يلبسه عليه السلام وملبسة الشيطان تعرف بالسحر عندهم وضرب من ضروبه وهو بعينه أثر السحر الذى نسب إلى لبيد، فإنه قد خالط عقله وإدراكه فى زعمهم.

والذى يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به، وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم عليه السلام، فهو الذى يجب الاعتقاد بما يثبت، وعدم الاعتقاد بما ينفيه، وقد جاء بنفى السحر عنه عليه السلام، حيث القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه، ووبخهم على زعمهم هذا، فإذن هو ليس بمسحور قطعاً.

وأما الحديث - على فرض صحته فهو آحاد، والآحاد لا يؤخذ بها فى باب العقائد، وعصمة النبى من تأثير السحر فى عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ فى نفيها عنه إلا باليقين، ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن والمظنون.

على أن الحديث الذى يصل إلينا من طريق الآحاد إنما يحصل الظن عند من صح عنده، أما من له الدلالة على أنه غير صحيح، فلا تقوم به عليه حجة، وعلى أى حال فلنا أن نفوض الأمر فى الحديث ولا نحكمه فى عقيدتنا ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل فإنه إذا خولط النبى فى عقله - كما زعموا - جاز عليه أن يظن أنه بلغ شيئاً وهو لم يبلغه، أو أن شيئاً نزل عليه وهو لم ينزل عليه. والأمر هنا ظاهرة لا تحتاج إلى بيان.

ثم إن نفى السحر عن الرسول عليه الصلاة والسلام، لا يستلزم نفى السحر مطلقاً، فربما جاز أن يصيب السحر غيره بالجنون نفسه. ولكن من المحال أن يصيبه، لأن الله عصمه منه. (1)

(1) أحمد الشرباصى، المصدر نفسه، ص 19، 20.

حكم الإسلام فى علاج المسحور من السحر

إذا كان السحر حقيقة عند من يقول من الأئمة بوجوده فما الحكم فى علاج المسحور من السحر؟

أجاز بعض العلماء أن يقوم الإنسان بعلاج المسحور عن طريق ما يسمونه "النشرة"، وهى ضرب من الرقية يعالج به من كان يظن أن به مسًا من الجن. ويقرر الإمام ابن كثير فى تفسيره للقرآن العظيم أن انفع ما يستعمل لإذهاب السحر هو ما أنزل الله تبارك وتعالى على رسوله فى إذهاب ذلك، وهما المعوذتان: أى سورة الفلق: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥). وسورة الناس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِى يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْغِيَةِ (٦) وَالنَّاسِ (٧)﴾.

ويذكر الحديث النبوى الشريف: [لم يتعوذ المتعوذ بمثلهما]، وكذلك قراءة آية الكرسي فإنها طاردة للشيطان.

بين السحر والمعجزة فى الإسلام

وفى نهاية هذا الفصل عن السحر فى القرآن، نورد رأى مفسرى القرآن الكريم فى التفرقة بين السحر والمعجزة فيما يلى:

1- السحر يمكن أن يقع من الساحر ومن غيره، والمعجزة مقصورة على الرسل عليهم الصلاة والسلام.

2- المعجزة لا يمكن الله أحدًا أن يأتى بمثها أو يعارضها، بخلاف السحر.

3- السحر لا يكون معه ادعاء للنبوّة، والمعجزة تكون مقترنة بادعاء الرسول أنه رسول من عند الله.

4- المعجزة حق يجريه الله على يدى رسول، والسحر تمويه وخداع غالباً⁽¹⁾.



(1) أحمد الشرباصى، المصدر نفسه، المكان نفسه.

الفصل الخامس

السحر كظاهرة اجتماعية

تمهيد

السحر ظاهرة تتسم بالعمومية والشمول، ويمكن ملاحظتها في كل المجتمعات قديمها وحديثها. والسحر أقدم أثر خلفه الإنسان، فقد كان موجوداً في كل زمان ومكان، بل لا يزال له حتى اليوم أنصار وأشباع، برغم سيادة العلوم المادية والإيمان بكل ما هو محسوس. فالسحر إذن ظاهرة اجتماعية في المجتمعين البدائي والحديث على السواء، وإن كان السحر يلعب في المجتمعات الأولى أدواراً أخطر من مثيلاتها في المجتمعات الحديثة.

وسنتناول في هذا الفصل تفصيلاً للسحر كظاهرة اجتماعية ونحلل ظاهرة السحر من وجهة نظر علوم الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس، ثم نبين الصلة بين السحر كظاهرة اجتماعية وبين العادات الاجتماعية، وكذلك صلة ظاهرة السحر بالتنشئة الاجتماعية، ثم نفصل الوظيفة الاجتماعية لظاهرة السحر، ثم نختم هذا الفصل بدراسة تحليلية تتبعية لهذه الظاهرة في سوسيولوجيا المجتمع المصري. والسحر نموذج من نماذج التفكير والعمل والإحساس ساد المجتمعات القديمة، ووجد الأفراد ضرورة اتباعه لارتباطه بأمورهم الحياتية، وقضاء حاجاتهم، بل ولارتباطه بهم بعد الموت.

أما الإنسان الحديث والمعاصر، فإنه وإن كان قد بلغ شأنًا كبيراً في العلم والحضارة وإرجاع المعلومات إلى عللها المباشرة وتفسير الظواهر الاجتماعية تفسيراً علمياً إلا أنه لا يزال يتطلع إلى معرفة المجهول، ويسعى إلى طلب العون منه كلما اشتد به الأمر، وضافت في وجهه سبل الحياة وأعيتة الحيل المادية في حل مشاكله.

ويختلف الأفراد في المجتمع الحديث من حيث نظرتهم إلى القوى الخفية غير

المنظورة، فمنهم من كانت القوة الدينية متأصلة في نفوسهم قوية على سواها من العواطف فيلجأون إلى القوة الخفية غير المنظورة، فمنهم من كانت القوة الدينية متأصلة في نفوسهم قوية على سواها من العواطف فيلجأون إلى القوة الإلهية يضرعون إليها ويسترضونها بالصلوات والطقوس الدينية، وبالصوم، والابتهالات وغير ذلك من الشعائر الدينية ابتغاء مرضاة الله، وتحقيقاً لما يتطلعون إليه من أمور.

وهناك فئة أخرى، وإن اعتقدت في القوة الإلهية إلا أنها تتطلع أيضاً إلى معونة تلك القوى الخفية يسترضونها بمختلف الطقوس والأعمال السحرية، عليهم يجدون فيها تحقيقاً لحاجاتهم، وحلاً لمشكلاتهم، فقد وجدوا بين الناس من يدعى القدرة على الاتصال بهذه القوى الخفية والاستعانة بها لتحقيق رغباتهم وقضاء حاجاتهم.

والسحر ولید العجز والخوف اللذين كان يشعر بهما الإنسان، والصعوبات التي كانت تواجهه، وعدم وجود نظام اجتماعي منتج يستطيع تخفيف حدتها. وهو من اختراع أفراد كانوا ينزعون إلى التحرر من ربة الجماعة لأنه يهيئ حلاً لمشكلات الحياة عن طريق تزويد الفرد بقوة شخصية تغنيه عن التعاون مع الجماعة في حل تلك المشكلات.

وقد كان الناس في العصور الأولى، قليلي العدد، وكان نظامهم الاجتماعي بدائياً، ونتج عن ذلك أنهم كانوا فرديين، وكانوا يبحثون عن حلول فردية لمشكلاتهم. ولم يدرك الإنسان أن تحسين حاله لا يأتي من الزيادة السحرية في قوة الفرد، قدر ما يأتي بكثرة المخترعات، إلا بعد أن وضع الدليل المستمد من تاريخ المجتمع خلال عصور طويلة.

وإنها لفكرة اجتماعية تلك التي تقول أن الإنسان بمساعدته للغير يساعد نفسه كثيراً. وهي تنشأ بعد أن ينتظم الناس في مجتمع مدة طويلة، وتقوم على مشاهدة أن المساهمة في العمل والإنتاج والاختراع أمور مريحة للفرد، لأنه في مقابل جهود الفردية يفيد من عمل الآلاف من الغير واختراعاتهم.

والإنسان البدائي الذى كان يعيش منعزلاً عن الغير لم يدرك هذه الفكرة، إذ كانت تنقصه الخبرة الاجتماعية، والنظرة التاريخية التى يستطيع بها الوصول إليها.

ولم يكن الإنسان - آنذاك - فى مركز يسمح له بمعرفة بديل للسحر، وبذلك أصبحت ظاهرة السحر - وهى وليدة التباين بين شدة خوف الإنسان البدائي وتفاهة أساليبه الفنية - موطدة الأركان فى أقدم التقاليد.

وظلت ظاهرة السحر مصرّة، ولا تزال تصر، على إثبات وجودها، حتى بعد أن ظهر لها بديل مبنى على العقل.

ويمكن القول بوجه عام - أن سلطان السحر يضعف كلما زادت ثمار الأساليب الفنية وضوحاً، إلا أن ممارسته تزداد فى أى عصر إذا ما كانت الصعوبات التى تواجه الإنسان فى سبيل الحياة وتنظيمها تسير بخطى أسرع من اكتشاف الحلول المناسبة لها، كما هو الحال فى وقتنا الحاضر (1).

والسبب فى استمرار ظاهرة السحر كظاهرة اجتماعية، على الرغم من ازدهار حضارتنا المبنية على نزعة تجريبية عقلية دقيقة، إنما يرجع إلى عدة عوامل مهمة تستمد غذاءها من جذور متغلغلة فى صميم قلوبنا، منعزلة تماماً عن تلك التى يتحكم فيها العقل والمنطق، وهذا العزل هو السبب فى وجود تناقض ظاهر بين نوعين مختلفين من التفكير يسيران جنباً إلى جنب فى العصر نفسه، بل فى الذهن نفسه. ذلك أن الإنسان واجه على مر التاريخ نوعين مختلفين من الظروف، أحدهما قابل للتكهن والاستقراء، كالأجواء ومواسم الزراعة والفيضان، وتأثير أنواع الطعام والشراب، وكل العوامل الخارجة كجروح السيوف والرماح والفؤوس. وثانيهما لم ير له سبباً بادئ ذى بدء، كالرعد والقحط، والأوبئة والسكتة

(1) انظر ج.ج. كراون، صلة العلم بالمجتمع، ترجمة حسن خطاب، مراجعة محمد مرسى أحمد، ص 32، 33.

القلبية، ونوبات الصرع، والزلازل - فلم يسعه إخضاعها لقانون، وافترض لها أسبابًا خفية. فواجه النوع الأول بالوسائل التي أملت عليها خبرته واستنتجها عقله المنطقي، ثم أخضع تلك الوسائل إلى التصحيح بالملاحظة والتجربة، وأضاف إليها الملاحظات على مر الزمن، وزادها دقة في الوصف وتعمقًا في التحليل.

أما الثانية فظلت عالمًا مغلقًا مبنياً على الخبرة التصوفية لا على البرهان التجريبي أو المنطقي، وعالجها بما كانت توحيه إليه عقائده وأحاسيسه، فنقدت أولى الوسيلتين، وكونت العلم، بينما تجمدت الثانية وأصبحت ما نسميه بالسحر. (1)

وقد ساعد على رسوخ ظاهرة السحر كظاهرة اجتماعية، أسباب أخرى لا تقل أهمية عن الأولى، وهي تتصل بشخصية الساحر، وطبيعة الإنسان، وبالفوائد والثمار التي كان يجنيها المجتمع منها.

أما الساحر فكان يمتاز دائماً بقسط كبير من الحذق الاجتماعي، والدهاء السياسي، والمهارة في انتهاز الفرص للقيام بأعماله، كأن يسند فترة القحط إلى غضب الآلهة، ويفرض ما يفرضه على الشعب لإرضائها، ثم لا يقوم بالطقوس التي يزعم إسقاط المطر بها عندما يجد أن حالة الجو تنبئ به.

وفيما يخص طبيعة الإنسان فإنها تتوق دائماً إلى الشيء الغريب، وتحب التوغل فيما وراء الطبيعة، وتؤثر عند النظر في قضية ما أن تأخذ بعوامل روحانية مغلفة الأسباب المادية، وتتمسك بحالات فردية أتى السحر فيها بنتائج مردها إلى الصدفة، وتتسى آلاف الحالات التي منى فيها بالإخفاق. هذا بالإضافة إلى حاجة الإنسان الدائمة إلى عون من فوق، والإيمان بتوفر هذا العون هو أساس الأديان، كما أن الشك فيه أدى إلى فلسفة اليأس والنشأوم التي تجمعت أخيراً في المدرسة الوجودية.

(1) انظر بول غليونجي، طب وسحر، المصدر السابق، ص 18، 19.

وهذا الإيمان بالسحر أكسب ظاهرة السحر قوة اجتماعية قصوى، إذ إن المؤمن به يعتقد أنه يمكنه، إما بنفسه أو بالالتجاء إلى وسيط، هو الساحر، فرض إرادته على تلك القوى المخيفة التي تحوم حوله، الأمر الذي من شأنه إزالة قلقه، وتحقيق اتزان في حياته العاطفية ... إلخ.

وكما تقاس ظاهرة السحر بدوافعها، فهي أيضاً تقاس بثمارها. وقد مثل السحر في العالم القديم قوانيننا ولوائحنا الحالية، مع فارق هام هو أن السحر قد اعتمد في سن قوانينه للطعام، والشراب والنشاط الزراعي، ومواسم القنص، وتربية الأولاد، على الخوف من الأرواح، بينما ترتكن في قوانيننا اليوم إلى الوعي الاجتماعي.

ولا شك في أن بعض الفروض والتحريمات كانت مبنية - في الماضي - على الخبرة والتجربة في كثير من الأحيان، ولكنها في حالات أخرى كان ضررها أكبر بكثير من نفعها. وربما رجع هذا إلى فارق هام بين السحر وهو جامد لا يقبل التعبير، وبين العلم الذي تتغير أسسه كلما قام البرهان على خطئها⁽¹⁾.

ظاهرة السحر والعلوم الاجتماعية

ظاهرة السحر ميدان مشترك بين ثلاثة علوم وثيقة الصلة بعضها ببعض الآخر، هي الأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع، وعلم النفس. وفي هذا الجزء سنعرض لأهم أفكار ومفاهيم العلماء في هذه المحاولات الثلاث عن السحر، ودوافع الاعتقاد فيه، وممارسته. كما نتناول العلاقة بين تطور التفكير لدى الطفل، وبين تطور التفكير الإنساني، وعلاقة هذين النوعين من التطور الفكري بالسحر والاعتقاد فيه وممارسته.

ويذهب "فريزر" وهو من أوائل من درس السحر من علماء الأنثروبولوجيا،

(1) المصدر نفسه، ص 20، 21.

وكتب فيه مؤلفه الشهير "العصن الذهبي: دراسة فى السحر والدين"، إلى أن الإنسانية قد مرت خلال ثلاث مراحل تطورية: المرحلة الأولى هى المرحلة السحرية، والمرحلة الثانية هى المرحلة الدينية، وأخيرًا المرحلة الثالثة، وهى المرحلة العلمية.

ففى المرحلة الأولى نجد أن الإنسان كان على جانب كبير من الحدس، وكان يظن أن بالإمكان أن يتحكم فى قوى الطبيعة من حوله بتسخير قوى خفية لتحقيق مآربه. وبعد أن مرت الإنسانية فى خبرات معاكسة كثيرة، وبعد أن استبان لها عجز الوسائل السحرية عن تحقيق رغباتها، فإنها أخذت تعترف بالعجز، وبأن هناك مشيئة أخرى خارجية لها الأولوية على المشيئة البشرية، وأن من الواجب أن يحنى الإنسان رأسه لصاحب تلك المشيئة، أو لأصحاب تلك المشيئة، أى للإله أو الآلهة. فإذا ما رغب الإله أو الآلهة فى تحقيق الرغبة أو الأمنية الإنسانية، تحققت سعادة الإنسان. أما إذا لم تتوافر الرغبة الإلهية، فما على الإنسان إلا أن يتقبل قدره، وألا يسخط أو يتبرم. وفى هذه المرحلة نجد ازدواجًا فى المشيئة، فهناك أولاً الرغبات أو المشيئات الإنسانية. ثم هناك الرغبات أو المشيئات الإلهية. وطالما أن الإنسان فى هذه المرحلة قد أقر بعجزه، وأقر فى الوقت نفسه بعظمة المشيئة الإلهية، فلا بد له أن يعطى الأولوية لتلك المشيئة الأخيرة، وأن يقدم فروض الطاعة للإله، أو الآلهة، وأن يتقرب إليه بالقرايين، التى قد تصل فى بعض الأحيان إلى أن تكون من أبنائه.

ويذهب "فريزر" إلى أن المسيطرين على فنون السحر، فى المرحلة السحرية، أناس تمكنوا من فنونه وأصول ممارسته. أما فى المرحلة الدينية فكان الكهنة هم المسئولون عن الطقوس والشعائر الدينية. ولم يكن السحر أو الدين يمارسان تلقائيًا، أو حسب أهواء الناس أو اجتهداتهم، وإنما من غير السحرة، ومن غير رجال الدين إلا أن يسلم القياذ فى الشئون السحرية والشئون الدينية، للسحرة ورجال الدين على التوالى.

أما المرحلة الأخيرة في تصنيف فريزر الثلاثي، فهي المرحلة العلمية وهي المرحلة التي تمثل تحقيق أحلام البشرية التي ساورت خيالها في المرحلة الأولى، أى المرحلة السحرية. ولكن "فريزر" يبدى تساؤله إزاء ما يمكن توقعه خلال هذه المرحلة، ذلك أنه يرى أن القدرة البشرية محدودة مهما تعاظمت، وأن الإنسان لا يستطيع فعل الكثير إزاء الكون وظواهره، وأن كل ما يستطيع عمله هو القضاء على نفسه وإفساد الكون من حوله والواقع أن هذا الكلام ليس غريباً على الأسماع فى الوقت الحاضر، فالكثير من علماء الفيزياء يبدون مخاوفهم من الطموح الإنسانى فى مجال العلم، ويرون أن التقدم العلمى فى جملته مؤد إلى دمار الإنسانية وليس إلى ازدهارها (1).

ويذكرنا تصنيف "فريزر" لمراحل تطور البشرية بالموقف الذى اتخذه "هربرت سبنسر" فى تفسيره لتطور الحضارة. فقد جعل مبدأ التكيف **adaptation** المحور الرئيسى الذى تدور حوله الأنشطة البشرية منذ ظهور الذكاء الإنسانى على وجه الأرض، إلى آخر مرحلة تطورية وصلت إليها البشرية. ومما لا شك فيه أن "سبنسر" كان متأثراً بنظرية التطور، شأنه فى ذلك شأن "فريزر" وغيره ممن تأثروا بنظرية التطور.

والمجتمع البدائى فى نظر "سبنسر" كتلة غير متميزة، وبتعبير "فرويدى" فإن الفرد فى ذلك المجتمع البدائى لا يستطيع أن يميز نفسه (كأنا) مستقلة عن (النحن)، فثمة (نحن) بغير أن يكون هناك (أنوات) قائمة بذاتها، شاعرة بتمايزها.

ويعتقد "سبنسر" أن المرحلة الأولى من مراحل التطور البشرى نشأت عندما اختلط البشر بعضهم ببعض، وكونوا تكتلاً لمجابهة البنية الطبيعية، فلم يكن من الممكن أن يعيش إنسان بمفرده، ذلك أن الضغط البيئى، أو بعبارة أدق، التهديد البيئى من جانب الطبيعة، كان الكفيل الوحيد والقوى لاستمرار هذا الخليط البشرى

فى انسجام. فالمبدأ الناجع بالفعل هو ذلك المبدأ الذى أكده "سبنسر" وهو مبدأ التكيف.

ويعقد "سبنسر" مقارنة متوازنة بين تطور البشرية، وبين تطور الطفل الفرد. فالطفل بمثابة تلخيص للحضارة البشرية. فهو يندفع فى تصرفاته عن نوازع لا يستطيع التحكم فيها. وهو يعيش فى خيال جامح، ويعتقد فى خياله بإمكان التغلب على الكون من حوله. وقد يذهب فى ذلك مذاهب أقرب ما تكون إلى السحر الذى يمارس لدى القبائل البدائية (1).

والواقع أن "ليفى بريل" يعد من أكثر علماء الاجتماع اجتهادًا فى الكشف عن التفكير السحري، وبخاصة عند البدائيين، ويذهب إلى أن العقلية البدائية تمثل مرحلة ما قبل التفكير المنطقى، وهو نوع من التفكير مقابل للفكر المنطقى عند الإنسان الحديث، الذى يعتمد على ربط الأسباب بنتائجها بوضوح وثقة واطمئنان، حتى أنه قد صار فى مقدوره أن يتنبأ بالنتائج حتى قبل أن يبدأ فى وضع الأسباب موضع العمل والتنفيذ.

والواقع أن "بياجيه" قد أجرى تجارب مستفيضة لمعرفة المراحل التى يمر بها تفكير الطفل. وقد انتهى إلى أننا نستطيع أن نميز عدة مراحل متباينة فى تطور عقل الطفل. فعقل الطفل يتسم بالتهرب من الواقع واللجوء إلى الخيال autism، كما أنه يخضع للرغبات الحسية المباشرة. وبعد ذلك تأتى مرحلة يكون الطفل خلالها (ذاتى المركز) أى أنه يركز فكره حول نفسه، ويكون فى تلك المرحلة معتقدًا أنه قد وقف على الأفكار السليمة وأنه ليس بحاجة إلى برهان على صحة خبراته. وتكون أفكاره فى هذه المرحلة أفكار أنيمية animistic، أى أنه يعتقد بأن كل شئ حتى الجوامد لها روح وبخاصة لأنه يشاهدها تتحرك والشمس والقمر والسحب والهواء .. إلخ.

(1) انظر المصدر نفسه، ص 45، 46.

وتعارض "سوزان أيزاكس" "بياجيه" فى التقسيم سالف الذكر، فهي تعتقد أن الإنسان فى جميع مراحل حياته يمكن أن يكون خياليًا، وأن التفكير السحري ليس سمة لعقلية الطفل دون عقلية الناضج.

ومما لا شك فيه أن "فرويد" قد استطاع أن يطبق استنتاجاته السيكلوجية فى مجال الأنثروبولوجيا، وبخاصة لدى تعرضه للطوطم والتابو، وذلك فى كتابه الذى يتضمن هذين اللفظين معًا، الطوطم والتابو (Totem and Taboo) والذى نشر عام 1912 لأول مرة. وفى هذا الكتاب قارن "فرويد" بين الميكانيزمات العصبية كما تظهر بالتحليل النفسى، وبين بعض النظم الاجتماعية القبلية، وبخاصة ما تعلق منها بالمحرمات، والطوطمية، والسحر.

وبمقتضى هذه النظرة الفرويدية يكون السحر بمثابة مرض نفسى يصيب بعض الأشخاص، أو بعض المجتمعات. وأنه بمثابة ردة إلى الفكر البدائى، أو هو ردة إلى مرحلة طفلية. فيكون بذلك عرضًا نكوصيًا. (1)

أما "هوبرت ريد" فيعتقد أن الأنشطة الفنية البدائية تتمشى مع الأنشطة الفنية المبكرة جدًا لدى الطفل (2).

والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن الآن هو: هل الشخص الذى لم ينشأ فى مجتمع بدائى على الإطلاق، يمكن أن يجمع فى داخله أيضًا مقومات ذلك البدائى. الإجابة عند "فرويد" وكثير من علماء التحليل النفسى هى بالإيجاب. وهم يذهبون إلى أن القشرة الحضرارية التى تغلف حياتنا إنما هى فى الواقع قشرة رقيقة للغاية، بحيث أن المواقف الخطيرة يمكن أن نقبلها من حياتنا بحيث

(1) انظر:

S.Freud. Totem and Taboo. Chapter. III

-J.C. Flugel. A.Hundred Years of Psychology, p. 348-349.

(2) هوبرت ريد، تربية الذوق الفنى، ترجمة يوسف ميخائيل أسعد، ص 50.

نرتد في الحال إلى ما كنا عليه - أو بتعبير أصدق - إلى ما كان عليه أسلافنا البعيدون.

ففي المجاعات والحروب والكوارث الطبيعية تنتزع تلك القشرة الحضارية، ويعود الإنسان إلى ما كان عليه من بدائية بحيث لا نجد فرقاً جوهرياً بين ما يظهره من سلوك، وبين ألوان السلوك التي نعرفها عن القبائل البدائية.

وإننا نجد بين طيات سلوك المتحضرين، حتى بالنسبة لأولئك الذين لم تنتزع عنهم قشرة الحضارة بشكل ظاهر، ما ينم عن تلك البدائية وبخاصة ما تعلق منها بالسحر.

فكثير من المتحضرين يضعون حدوة الحصان القديمة على مداخل بيوتهم أو ترتدى زوجاتهم "كفا" مصنوعة من الذهب، أو عينا زرقاء موشحة بالذهب أو الفضة، بحيث تكون في مواجهة من يقع بصره عليهن. والباعث على ارتداء تلك الكف، أو العين، أو وضع الحدوة على باب الشقة، أو باب الجراج، أو في مقدمة السيارة أو مؤخرتها، أو في غير ذلك من أماكن ليس باعاً جالياً، بل هو باعث سحري. فالشخص الذي يعمد إلى ذلك إنما يخشى في أعماق نفسه من أن يصاب هو أو ذويه، أو ما يعتز به بنظرة حسد، أو بلون آخر من ألوان السحر.

والواقع أن كثيراً من المثقفين يعمدون إلى إنكار وجود أي اعتقاد لديهم في السحر خوفاً من أن يتهموا بالجهل أو التخلف، ولكن إذا نحن تتبعنا سلوك الواحد منهم، وقمنا بتحليل ألوان سلوكه، لوجدنا أن قطاعاً كبيراً من سلوكه مشوب بالسحر أو بالخوف من السحر. مثل ذلك التذرع بالكتمان، واعتبار كثير من أمور الحياة العادية سرّاً من الأسرار التي يجب الحفاظ على سريتها، وعدم إذاعتها خوفاً من النحس، أو من وقوع كوارث تذهب بروعة تلك الأشياء.

وبالنسبة للزواج فإن كثيراً من الناس يفسرون الشجار الذي ينشب بين الزوجين بوجود سحر (عمل) قد حيك ضدهما، ويقول البعض - في جلساتهم الخاصة - أن السبب في عدم الإنسال لمدة طويلة كان مرجعه "عملاً" قد عمل، ولكن بعد (فك) ذلك العمل سرعان ما حملت الزوجة.

ويقول البعض أن من ألوان السحر الذائعة، بقرى الصعيد والوجه البحرى، يضع كلمات يكتبها العدو على كف يده ثم يصافح العريس ليلة الزفاف، فيجد المسكين نفسه غير قادر على ممارسة الجنس مع عروسه، ويظل الحال على ذلك النحو، إلى أن يقبض الله له من يفك السحر المعمول، أو تنتهى الحياة الزوجية بالانفصام⁽¹⁾.

ظاهرة السحر والعادات الاجتماعية أو الطرق الشعبية

العادة الاجتماعية، كما يعرفها "جلن وجلن" (Gillin and Gillin) هى كل أسلوب متكرر يكتسب اجتماعيًا، ويتعلم اجتماعيًا، ويمارس اجتماعيًا ويتوارث اجتماعيًا⁽²⁾، ويطلق البعض على العادات الاجتماعية مصطلح الطرق الشعبية.

ومن مميزات العادات الاجتماعية أو الطرق الشعبية فى جميع الثقافات بصفة عامة، وفى الثقافات المتخلفة، والقطاعات المنعزلة أو التى تنتشر فيها الأمية بصفة خاصة، إنها تتصل بعناصر سحرية وخرافية، كالاعتقاد بأن أرواح أجدادنا وأسلافنا تغضب أشد الغضب إذا نحن حاولنا أن نغير أو نقطع عاداتهم التى أورثونا إياها، وفى ذلك تقول العامة فى مصر: "قطع العوايد فال"، أى فال سيئ ونذير شؤم محقق.

وكثير من الناس فى مصر، وبخاصة العامة والسذج يخافون من المبيت فى منزل مهجور، أو مكان منعزل خشية أن تصيبهم الأرواح المحبوسة. كذلك يحرصون أشد الحرص على ألا ينام الطفل فى حجرة وحده أو فى مكان مظلم، وإلا أضر به "إخوانه" من الجان.

(1) انظر يوسف ميخائيل أسعد، المصدر السابق، 223، 226.

(2) Gillin and Gillin, Cultural Sociology, p. 153.

وتدلنا "موسوعة الخرافات" ⁽¹⁾ التي جمعها "إدون" "ومونا رادفورد" أن مثل هذه العادات تشيع في ثقافات مختلفة ومتعددة. فقد كانت موجودة عند كثير من الأقوام والشعوب، ولوحظت عند الإغريق، وفي الدانمارك، وفي اسكتلندا القديمة.

ولا يزال كثير من المصريين، ولا سيما الريفيين يمارسون إجراءات سحرية خرافية معينة عندما تتأهب المرأة عندهم لعملية الولادة، إذ يرفعون الأغصان عن الأواني، ويفكون العقد المربوطة، ويفتحون النوافذ لتسهيل عملية الولادة، كما أنهم يستعينون، لتسهيل هذه العملية، بمفتاح باب ضريح أحد الأولياء ويضعونه على ظهر المرأة لتيسير الوضع المتعسر، كما نذكر من العادات المنتشرة في مصر في مناسبة "سبوع" المولود استخدام الأحذية والتماثيل (للأم والطفل)، وإشعال الشمع، وإطلاق البخور أو العطور، ورش الملح، أو خليط من الملح وبعض الحبوب كالأرز والعدس والفول، لطرد الأرواح الشريرة أو إبطال السحر.

والاعتقاد بقداسة بعض الأماكن، أو الاعتقاد بقوتها السحرية الخفية الخارقة، اعتقاد منتشر في كثير من الثقافات، وهو معروف لنا جميعاً في ثقافتنا المصرية. فهناك بعض السيدات اللاتي يأتين من القرى القريبة من القاهرة، ومن بعض المناطق الشعبية في القاهرة نفسها، لزيارة جامع "الجيشي" بالمقطم، ثم يستلقين على ظهورهم في بهو منحدر الأرضية قريب من الضريح، ويتدحرجن إلى أسفل البهو، وهن يعتقدن أن زيارة هذا المكان بالذات وممارسة هذا "الطقس" ألا وهو التدحرج، يذهب عنهن العقم الذي يعكر صفو حياتهن. ⁽²⁾

وحقيقة الأمر أنه لا يكاد يوجد مجتمع في العصر الحالي يخلو من التفكير السحري، ومن أنماط السلوك المتصل بالتفكير الخرافي، برغم ما يبدو في هذا من تناقض مع ظروف العصر، وما وصلت إليه العلوم والحضارة من تقدم.

(1) Edwin and Mona Radford, Encyclopaedia of Superstitions. Introduction. PXIII.

(2) انظر فوزية دياب، المصدر السابق، ص 142، 125.

ويمكن تفسير الخرافات والإجراءات السحرية السائدة في المجتمع الحديث بأحد أمرين: أولهما أن تكون الخرافات مخلفات من الماضي البعيد، ومن نتائج خبرات الإنسان، في عصور كانت خبراته فيها محدودة، وإمكانياته في البحث عن المعرفة قاصرة وعاجزة، ثم انتقلت تلك المعتقدات الخرافية والسحرية من جيل إلى جيل عبر العصور عن طريق التنشئة الاجتماعية، حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من التراث الثقافي للمجتمع.

والأمر الثاني أن بعض هذه الخرافات من صنع العقلية الخرافية التي ورثها الإنسان عن الأجيال القديمة، والتي قد يطبقها على ما يصادفه من مشكلات معاصرة، إذا أعوزته الطرق التي تفضلها.

فالعادات الاجتماعية أو الطرق الشعبية المتصلة بظاهرة السحر هي إذن عادات تقليدية، قديمة متأصلة، راسخة في الثقافة، يأخذها الخلف عن السلف، والتي تبقى وتستمر برغم فناء الأفراد الذين يكونونها، فالإنسان يولد فيجد عادات قد وجدت قبله، وقد تتغير بعض الشيء في حياته، ولكنه عندما يموت تستمر هذه العادات في بقائها عن طريق الأجيال اللاحقة له.

وكل الشعوب، المتدينة منها والمتأخرة، تتصل بالماضي لتسترشد به وتهتدي بهديه عن طريق هذه العادات التقليدية التي من بينها العادات المتصلة بظاهرة السحر فهي تعد من بين "وسائل الحياة المختلفة التي توصل إليها الإنسان عبر التاريخ، إنها وسائل إرشاد توجه سلوك الناس في المجتمع⁽¹⁾. فهي تقدم حلولاً لكثير من مشاكل الإنسان اليومية، وتقدم لنا الجواب عن كثير من الأسئلة المتصلة بكثير من المناسبات والأحداث الجارية في حياتنا⁽²⁾.

(1) انظر: Kluckhohn and Kelly, "The Concept of Culture", In R. Linton (ed)

(2) انظر فوزية دياب، المصدر السابق، ص 152.

ظاهرة السحر والتنشئة الاجتماعية

رأينا مما ذكرنا آنفاً عن ظاهرة السحر والعادات الاجتماعية أو الطرق الشعبية، أن التنشئة الاجتماعية هي دعامة أساسية من دعائم بقاء ظاهرة السحر فى عالمنا المعاصر عامة، وفى مجتمعنا المصرى خاصة، فعن طريق التنشئة الاجتماعية انتقلت هذه الظاهرة من جيل إلى جيل حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من تراثنا الثقافى.

وتوارث العادات التقليدية المتعلقة بالسحر من جيل إلى جيل يضيف عليها احتراماً وقديسية يزيدان من تثبيتها ورسوخها واستقرارها. وكلما تقدم عليها الزمن واستقرت بالتوارث، أصبحت أقوى فى سيطرتها وإلزامها لأفراد الجماعة، إذ يتكون عندهم الاعتقاد بأن هذه العادات هي السلوك الصائب السليم الذى تم اختباره بمحك التجريب والخبرة العملية، وبعد أن تثبتت صلاحيته بالممارسة الفعلية للأسلاف والأجداد، ولذا يجب أن يتمسكوا بها.

ويتبين لنا ذلك عندما نسأل أفراد جماعة ما (وخاصة فى الجماعات البدائية المنعزلة عن تيار الحضارة أو الجماعات الريفية النائية والمنعزلة عن المدن): لماذا يسلكون سلوكاً تقليدياً معيناً؟ فإنهم يجيبون بأن "ذلك ما وجدنا عليه أباؤنا" أو "لأن أجدادنا كانوا به متمسكين" بل إنهم كثيراً ما يذهبون إلى أبعد من هذا فيفصحون عن أن مخالفة العادات تجلب الشؤم والنحس والضرر على المخالف من الجماعة⁽¹⁾. ويتبلور هذا الاعتقاد فى قول العامة عندنا خاصة فى الريف المنعزل وحيث تنتشر الأمية: "قطع العوايد فال" وكذلك "قطع الورايد ولا قطع العوايد"⁽²⁾.

والطفولة عند الإنسان هي زمن التنقيف (أى التنشئة الاجتماعية)، فالحضين ينبثق من تيار بنى جنسه، ويقذف به مولده فى خضم عالم من صنع يد الإنسان،

(1) انظر فوزية دياب، المصدر نفسه، ص 153.

(2) نقلاً عن أحمد تيمور، الأمثال العامية، طبعة ثانية، ص 405.

مزدحم بزاد ثقافة عصرية، وما يتعلق بها من أمور الحياة ومطالبها القسرية. إن من المشكلات المستديمة في الثقافة إحداث تكيف أمثل لهذا العالم المعقد" (1).

والتنشئة الاجتماعية هى عملية تحويل الفرد من كائن عضوى حيوانى السلوك إلى شخص آدمى بشرى التصرف فى محيط أفراد آخرين من البشر، يستفاعلون بعضهم من بعض، ويتعاملون على أسس مشتركة من القيم التى تبلور أسلوبهم وطرائفهم فى الحياة. ويقوم بهذه العملية فى بداية حياة الفرد منذ ولادته مجموعة الأسرة.

وليسست أهمية الأسرة بالنسبة للفرد تتركز حول مده بما يحفظ له الحياة فحسب، بل إنها تتعدى ذلك إلى عملية شَخْصَنَتِهِ وجعله آدمياً متوافقاً مع أفراد المجموعات والجماعات، التى يندمج فيها ويكون عضواً من أعضائها ويحدث ذلك عن طريق نقل الثقافة السائدة فى هذه المجموعات إليه، وكذلك بواسطة ضبط سلوكه بوسائل شتى.

بعبارة أخرى فإن الأسرة هى التى تزود الفرد بالرصيد الأول من أساليب السلوك الاجتماعية. وبذلك تزوده بالضوء الذى يرشده فى تصرفاته وسائر ظروف حياته. فكل فرد يسير فى حياته من مرحلة إلى مرحلة، وينتقل من دور إلى دور، ومن مركز إلى آخر حاملاً معه رصيده الأول من العادات والقيم وأساليب السلوك الاجتماعية، ليهتدى به فى مقابلة المواقف الجديدة التى تواجهه فى سياق تفاعله مع مجتمعه الذى يعيش فيه. وليس من المبالغة فى شىء أن نقول إنه من النادر أن يواجه الفرد فى مستقبل حياته بموقف جديد كل الجدة يتطلب منه تكوين أنماط سلوكية جديدة كل الجدة. أو اتجاهات ليس لها أية علاقة بماضيه فى أسرته، وبخاصة فى المرحلة الباكرة من حياته (2).

(1) نقلاً عن "آرنولد جلز" وآخرين، الحاضين والطفل فى ثقافة اليوم" ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، ص 261.

(2) انظر فوزية دياب، نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة، ص 123.

ومن الطبيعي أنه إذا كانت الأسرة تعتقد اعتقاداً قوياً في بعض الإجراءات والممارسات السحرية، وتحل مشكلات الحياة التي تعترضها بالالتجاء إلى السحر والأعمال، والتحويلات التي يقوم بها المشتغلون بالسحر، أو إذا كان أفرادها وبخاصة الأم يلجأون إلى تخويف أطفالهم وضبط سلوكهم عن طريق مؤثرات سحرية وخرافية مثل التهديد بالمارد، والعفريت، والأشباح، والأرواح الشريرة كما يرددون أمام الأطفال تعبيرات تعلن عن رعبهم الشديد وذعرهم العنيف من شر الحسد، وبأس العين التي تهدد حياتهم وحياة أطفالهم وتلاحقهم في كل مكان وكل وقت، ولذلك نسمعهم يقولون على مسمع من أطفالهم محذرين "العين تفلق الحجر نصين"، و"العين يا تتلف يا تقصف" فإن الأطفال ينشأون متشربين بهذه الأفكار والمعتقدات في السحر، وما يتعلق به من أفكار "كالعين" و"الحسد"، و"القر"، و"النفيس"، و"العكس".

والأسر التي تفعل ذلك، لا تقف عند حد التعبير اللفظي عن خوفها من العمل، و"العين"، والحسد، والقر، بل إنها تتبع ذلك بإجراءات تؤيد مخاوفها، لذلك فإن أفرادها الكبار يلجأون إلى الأحجية، والتمائم، والتعاويذ، والبخور لوقاية أنفسهم، ووقاية أطفالهم على وجه الخصوص، وتحصينهم، وحفظهم من هذا الشر. وجدير بالذكر أن استعمال الأحجية والتمائم والتعاويذ والبخور لا يقتصر في نظر تلك الأسر على مجرد وقاية الطفل وتحصينه من الحسد والأرواح الشريرة، بل يتعداه أيضاً إلى علاجه وتخليصه مما يكون قد حاق به فعلاً من شر أو فساد، أو مرض.

"وجدير بالذكر، أنه كثيراً ما يكون لهذه الإجراءات الوقائية والعلاجية بالسحر، والبخور والرقى وغيرها، من خطورة على حياة الأفراد، وبخاصة الأطفال. ففي الوقت الذي تتوهم الأمهات أنهن قد نجحن بهذه الإجراءات في وقاية أولادهن، أو في علاجهم من المرض، يكون المرض قد استفحل، وتمكن منهم، وتغلغل في أجسامهم، وتضاعفت خطورته تضاعفاً قد يودي بالحياة. ولهذا يرى البعض أن وفيات الأطفال الصغار في الريف المصري "إنما ترجع في بعض

الأحيان إلى عدم إدراك وسائل العلاج السليم في حالات المرض الطارئ" (1).

والواقع أننا نجد أن الفرد الذى نشأ في مثل الأسر سابقة الذكر، وحصل على قدر عال من التعليم، يلجأ عندما يقع تحت وطأة الظروف القاسية، مثل المعاناة من مرض عضال تعجز أساليب العلم عن علاجه، إلى الاستعانة بهذه الأساليب السحرية والخرافية، لأنه رغم تعلمه الراقى، فإنه قد تعرض في تربيته الأولى للمؤثرات السحرية والخرافية. فالتنشئة الاجتماعية هنا دورها أخطر من دور التعليم. ومن هنا أوليناها اهتماماً خاصاً في علاقتها بظاهرة السحر.

وتختلف تنشئة الأسر السالفة الذكر لأبنائها عن أسر توصل لأبنائها قيماً وأفكاراً، وعادات مختلفة، فهي تربيهم متشربين بالإيمان بقدرة الله، التى تفوق قدرات البشر، كما أنها تربيهم على التفكير العلمى والإيمان بالعلم، وبحل مشكلاتهم بالطرق والأساليب المنطقية السليمة، وربط الأسباب بالمسببات، وتطبيب المرض بالطب لا بالبخور.

ولابد أن نقول أن الأسرة لا تعيش في فراغ بل تعيش في محيط معين نطلق عليه المجتمع، ولابد أن يؤثر المجتمع بدوره في الأفراد كما يؤثرون هم أيضاً فيه.

والحقيقة أنه حين يتغير الواقع الاجتماعى للأفراد، فإن أفكارهم تتغير إلى حد كبير حتى وإن تم ذلك ببطء .. ولا شك أن انتشار التعليم ونشر الخدمات الطبية عالية الكفاءة، وانتشار تعليم الدين بشكل واضح ومبسط وبخاصة في الريف لمصرى (2)، من شأنه أن يعمل على زوال ظاهرة السحر تدريجياً.

(1) محمد طلعت عيسى، دراسات في الاجتماع الريفي، ص 16.

(2) كثيراً ما يلجأ المشتغلون بالسحر في مصر ريفياً وحضرها إلى خلط السحر بالدين ليضمنوا سهولة التأثير على الناس، ولكي ينجحوا في ترويح بضاعتهم، وبالتالي يصيبون من وراء ذلك الكسب الكثير. فالدين عند المصريين وبخاصة الريفيين من الأمور الجوهرية، والدوافع الأساسية ذات القيمة العليا في أعمالهم وحياتهم. وقد استغل المشتغلون بالسحر هذه الحقيقة فدرجوا على تلوين أعمالهم السحرية باللون الدينى، لذلك لا نجد حجاباً، أو عملاً، أو سحراً يخلو من الآيات القرآنية. المؤلفة.

الوظيفة الاجتماعية لظاهرة السحر

لظاهرة السحر وظيفة اجتماعية هامة في حياة الإنسان، نستطيع تقسيمها بصفة عامة إلى وظائف فرعية كما يلي:

1- تفسير الظواهر الغامضة، والغريبة في الكون، لبعث الطمأنينة في نفس الإنسان.

وقد يستهدف التفسير فضلاً عن ذلك، مساعدة الإنسان للتهيؤ لمواجهة أحداث أو ظواهر مقبلة.

ومن أمثلة العادات المتصلة بنواحي سحرية وخرافية، والتي تؤدي وظيفة تفسير الظواهر الغريبة تلك العادات المنتشرة في الريف المصري، وفي كثير من المناطق الحضرية المتخلفة، وهي تفسير جفاف اللبن عند الأم الوالدة حديثاً "بالكبسة" و"الكبسة" في نظر السذج، وكثير من العوام تحدث من دخول إحدى السيدات (على الأم المرضع) ومعها أشياء معروفة لمن يعتقدون في "الكبسة". مثل السبازنجان أو اللحم أو السمك، أو تكون متحلية بحلى من الذهب أو الماس. ولذلك تراعى أسرة الوالدة المرضع منتهى الدقة والحذر في تحريم دخول أي شخص يكون معه مثل هذه الأشياء المسبب "للكبسة".

ونذكر من هذا النوع أيضاً العادات المنتشرة في كثير من بقاع مصر، ريفها وحضرها، والتي تفسر الأمراض أو بعض الحوادث المؤلمة أو الإخفاق في الحياة، أو في بعض المشروعات والأمور، بأن الشخص قد أصابته عين أو حسده حاسد، ولذا يلجئون إلى عمل "عروسة" من الورق تصور لهم الشخص الحاسد، ويتقنون موضع عينها بالإبرة، ثم يحرقونها في النار مع مخلوط من الملح والشبة والفسوخ، إبطالاً لأثر العين ودرءاً للحسد. وقد يتبع هذا الإجراء بإجراء آخر، يلزم الشخص المحسود، أن يلبس حجاباً فيه رأس هدهد محنطة أو جزء من ذيل كلب، أو بعض أسنان نئب، أو عقرب مجفف، أو حرباء مجففة أو بعض قطع النقود الصغيرة مع قليل من الملح (1).

(1) فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، ص 127.

2- تحقيق حاجة يرغبها الإنسان ويتمنى تحقيقها، ولا يستطيع الوصول إليها مباشرة، باتباع ما تجمع لديه من معرفة، أو ما تعلمه في سياق خبرات حياته من مهارات. وهنا يلجأ الإنسان إلى السحر لتحقيق مآربه. فقد يعتمد الإنسان البدائي إلى السحر لجلب الخير كإسقاط المطر مثلاً، أو قد يعتمد إلى مراسيم غامضة، أو إلى الشعوذة، واستخدام الأحجبة والتعاويذ كي يأتي المولود ذكراً، أو كي تحمل المرأة العاقر مثلاً، أو لعلاج الأمراض المزمنة، أو المستعصية على اعتبار أن مرجعها الجن أو الشياطين.

والواقع أن الإنسان المتعلم ذاته قد يلجأ إلى السحر تحت وطأة الظروف القاسية التي تعطل قدراته على التفكير السليم. وقد يحدث مثلاً عندما يعاني الفرد من مرض عضال أليم، وتعجز أساليب العلم عن التغلب عليه. عندئذ قد يردد الفرد بتفكيره إلى عقلية الطفل أو الرجل البدائي، ويقبل التفكير الخرافي المتمثل في السحر، بل ويعلق عليه أمله. ويبرز هذا بوضوح في الحالات التي يكون فيها الفرد قد تعرض في مراحل تربيته الأولى للمؤثرات الخرافية التهديد بالغاريت، والأشباح، والأرواح الشريرة .

بعبارة أخرى يمكن القول أن السبب الرئيسي في استمرار ظاهرة السحر كظاهرة اجتماعية، هو عجز الإنسان وضعفه إزاء حاجاته الأساسية، أو مشكلاته المستعصية وعدم القدرة على التفكير المنطقي السليم. فالمرأة التي تشعر بالقلق لعدم الإنسال عمومًا، أو لعدم إنسال الصبية بالذات، وتخشى نتيجة لذلك على حياتها الزوجية من التصدع، فإنها قد تلجأ إلى السحر لتحقيق بغيتها، وبخاصة إذا كانت تجهل الحقائق العلمية الخاصة بالحمل والتناسل.

3- تجنب الضرر ودفع الخطر وقد كانت حياة الإنسان الأول مليئة بالأخطار الواقعية، ولكنه كان عاجزاً عن أن يفكر فيها تفكيراً موضوعياً منظماً، فقد كانت خبراته محدودة، وكانت مخاوفه كثيرة ومتنوعة، ولم تكن ظروف حياته تتيح له القدر الكافي من الاستقرار أو الهدوء اللازمين لتتبع الظواهر

التي يهيمه فهمها، وفهم العلاقات التي تحتويها.

ولهذه الأسباب كان الإنسان البدائي عاجزاً عن إدراك العلاقات بين الظواهر، فما بالناس بالوحدة الكلية للكون، ومن ثم غلبت على تفكيره النظرة الأنيمية. وأصبح تفسيره للأشياء والظواهر المحيطة به تقوم على أساس (الحركة الثقافية) التي تضمن وجود قوى خاصة بكل شيء، أو كل مظهر من مظاهر الكون، تسيره، وتفسره. فامتألت حياته العقلية وتصوراته بالقوى غير المنظورة وأصبح السحر جزءاً لا يتجزأ من حياته. وأصبحت المفاهيم والمراسيم السحرية بالتدريج جزءاً لا يتجزأ من التراث الإنساني.

وقد انتقلت تلك المفاهيم والمراسيم السحرية من جيل إلى جيل، ومن عصر إلى عصر عبر التاريخ، وهي ما زالت للآن تعيش بيننا في أفكار ووجدان وسلوك كثيرين ممن يعيشون بيننا حتى في أكثر المجتمعات رقياً.

لقد كان الإنسان البدائي يخشى الأعاصير، والسيول، والبرق، والرعد والصواعق ويخشى كثيراً من المظاهر المرضية التي يتعرض لها هو، أو يتعرض لها من يحيطون به، وفسر كل هذا تفسيراً غيبياً، أو تفسيراً تختلط فيه الحقيقة القائمة على الخبرة الواقعية المباشرة بالمعاني الغيبية والسحر. فعانى من التشاؤم ومن مخاوف وهمية كثيرة لا يملك لها دفْعاً، ولا يستطيع أن يواجهها مواجهة واقعية، فتوسم في بعض الأشياء من بينته وفي بعض الممارسات حافظاً له ومن أمثلة ذلك "الخرز الأزرق"، و"خمسة وخميسة"، و"الأحجية"، و"التعاويد"، و"البخور"، و"التعازيم".

والواقع أن الخوف الشديد، والتوجس المستمر من أهم أسباب بقاء ظاهرة السحر كظاهرة اجتماعية، وبخاصة إذا اجتمع مع الخوف الشديد، الجهل، والشعور بالضعف والعجز عن العمل الإيجابي⁽¹⁾.

(1) انظر نجيب اسكندر ورشدي فام، التفكير الخرافي، المصدر السابق، ص 45، 46.

وهكذا نرى أن ظاهرة السحر تؤدي أدواراً اجتماعية وظيفية في كل نواحي الحياة، فهي تستخدم في علاج الأمراض، والاحتفالات Ceremonial Magic⁽¹⁾، كما تستخدم أيضاً كأداة لتحقيق ما يطمح إليه الفرد وهو ما يطلق عليه اصطلاح "The magic of private ambition"، يستعين به الفلاح على زيادة إنتاجية أراضيه، والعامل والأجير للحصول على أجر أكبر، والمتقاضى لكسب قضية، والفتاة لكسب قلب الرجل، والمحب لنيل رضا محبوبته، والسارق والمجرم لإخفاء جريمته وباختصار يستخدم السحر هنا لتحقيق الرغبات الخيرة، والشريرة على السواء، تلك الرغبات التي لا يتسنى للأفراد إشباعها، أو تحقيقها بالاعتماد على جهودهم الخاصة.

ومن وظائف ظاهرة السحر، وظيفة الدفاع، وهي ما تعرف باصطلاح defensive sorcery، ضد المعتدين، ولحماية الممتلكات الخاصة، وهو استخدام وظيفي قانوني، ومن وسائل الضبط الاجتماعي.

وتؤدي ظاهرة السحر وظيفة أخرى أخلاقية وهي الانتقام من الأعداء والتكيل بهم.

وهكذا نرى أن السحر يمثل ظاهرة اجتماعية لها جميع خصائص الظاهرة الاجتماعية، كما أن لها وظائف اجتماعية في شتى نواحي الحياة، الحيوية منها، والاجتماعية، والسيكلوجية بل إنها تعد أداة وظيفية من أدوات الضبط الاجتماعي.

السحر في سوسيولوجيا المجتمع المصري الحديث

يذكر "دى شابيرول" سنة 1798 في "وصف مصر" أن المصريين المسلمين

(1) كالاحتفال بسبوع الطفل في ريف مصر، وبعض المناطق الحضرية منها، وفيه تستخدم الأحجية والتماثيل "للأم والطفل" ويطلق البخور، ويرش الملح، وخليط من الملح وبعض الحبوب كالأرز والعدس والبقول لطرد الأرواح الشريرة وإبطال السحر. "المؤلفة".

"يقدسون عديداً من الأولياء الموتى، وهم لا يعظمونهم إلا لكى ينالوا منهم الصحة لأنفسهم أو الخصوبة لزوجاتهم العقيمت، ويرون فى أوليائهم كذلك القدرة على إبطال مفعول الحسد والسحر المؤذى، ذلك الجهل والتعصب يحملانهم على أن ينسبوا لمجرد نظرة سريعة من العين الكثير من التأثير الضار على صحة المرء بل على حياتهم كلها. وجدير بالذكر أن اليهود وهم ليسوا أقل تعصباً ولا تطيراً من العرب يقدسون أحبارهم للغرض نفسه".

ويقوم المصريون بممارسة أخرى مضحكة، تعود إلى ضعف نظامهم الروحي، فيحرص المسلم منهم بعد أن يقص شعر رأسه أو لحيته على ألا يرمى بها فى الهواء، بل يطويها بعناية داخل ورقة ثم يضعها بحرص فى أحد الشقوق، ويتبع الشعب كله على وجه التقريب هذه العادة العجيبة (1).

أما "إدوارد وليم لين" فيعرف السحر تعريفاً وظيفياً فى كتابه "المجتمع العربى فى العصور الوسطى"، إذ يقول: "يستخدم البعض السحر فى اكتشاف الكنوز المدفونة، أو فى بعض الأغراض الكيميائية، أو لمعرفة أحداث المستقبل، أو لعلاج العقم، أو لشفاء بعض الأمراض، أو لمنع تأثير العين الشريرة، أو للقضاء على عدو، أو لتحقيق الرغبات".

ويذهب (لين) إلى أن هناك وصفين للسحر، فيصفه بعض المفكرين المتحررين بأنه "شئ روحى"، وأنه حقيقة واقعة، بينما يصفه بعض المؤمنين بأنه غش وخداع.

أما السحر الروحى، الذى يسميه البعض بالسحر الربانى أو الروحانى، فيعتمد على بعض أسماء الله أو آيات من القرآن. وعلى قدرة الملائكة والجن،

(1) دى شابيرون، وصف مصر، دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين، ترجمة زهير الشايب، مكتبة الخانجي، ص 44، وجدير بالذكر أن دى شابيرون لم يدرك أهمية ممارسة حفظ الشعر بعناية بعد قصه، لذلك عدها ممارسة مضحكة، والحقيقة أنها ممارسة هامة تتعلق باعتقاد المصريين فى السحر، والخوف من العمل عن طريق الأثر. "المؤلفة".

وهذا النوع من السحر نوعان: علوى وسفلى، أو بعبارة أخرى (رحمانى) و(شيطانى).

1- أما السحر العلوى الرحمانى، فينظر إليه على أنه علم سام رفيع يقوم على دراسة خير الناس ويستخدم فى الأغراض الطيبة وتقوم دراسة هذا الفرع من السحر على معرفة "اسم الله العظيم" وهذه المعرفة لا تتحقق إلا لخير عباد الله. فقد استطاع سليمان بواسطة (اسم الله العظيم) أن يسيطر على الجن والطير والريح، فقد استطاع وزيره آثاف أن ينقل عرش ملكة سبأ من فلسطين إلى يدى سليمان فى لحظة واحدة. ولكن هذا الحادث كان معجزه فقد يسبب نطق رجل لهذا الاسم موته. وهناك أسماء أخرى للرسول، والملائكة، والجن الخيرين، وتستخدم فى هذا النوع من السحر. وهكذا بواسطة هذه الأسماء، وبعض الدعاء، وبعض الكلمات، وبعض آيات القرآن، وبعض الأرقام والرسوم، تتكون الكتابات السحرية التى تستخدم لأغراض الخير.

2- أما السحر السفلى الشيطانى فهو علم يعتمد على قوة الشيطان ونفوذ أشرار الجن. ويستخدم فى هذا النوع من السحر بعض الكلمات التى تستخدم فى تسخير خيار الجن والتى نهى الرسول والمسلمون الصالحون الناس عن استخدامها فى الأغراض السيئة⁽¹⁾.

ويذهب (لين) إلى أن عامة الناس تعد السحر من العلوم الروحانية فعلاً بينما لا يرى البعض ذلك. ويرى البعض أن السحر يجب أن يقتصر استخدامه فى الأغراض الطيبة وألا يستعان إلا بأخيار الجن ويتم السحر بواسطة تحضير الجان ويستخدم فى ذلك عدة وسائل منها الماء أو التراب. ويعتقد البعض أنه يمكن للبشر بواسطة السحر أن يتخذوا صور الوحوش أو الطيور. كما يعتقد البعض أن العين

(1) إدوارد ولیم لین، المجتمع العربى فى العصور الوسطى، ترجمة على حسن الخربوطلى، ص 66، 68.

الشريرة الحسودة لها فعل السحر. وذهب البعض إلى أن هذه العين قد تسبب أحياناً المرض أو الموت (1).

وتعتبر (الكهانة) فرعاً من فروع السحر الرحمانى، وإن كان من المسلمين من لا يؤمنون بمثل هذه الكهانة. وهناك حديث للرسول جاء فيه أن بعض تنبؤات المستقبل أحياناً تكون صادقة. ويقال إن الكهان يسخرون الشياطين ويسيطرون عليهم بواسطة السحر، والأسماء العظمى، وحروق البخور ومن أهم ما يقول به السحرة اكتشاف الكنوز المخبأة، يستخدمون فى ذلك ما يسمى (ضرب المندل) ويقوم به الشياطين، ويقبل عامة المسلمين على هذا النوع من السحر.

وهناك أنواع من الكهانة التى لا يمكننا أن نعتبرها من السحر الروحى بل تتخذ مكاناً وسطاً بين هذا النوع، وبين السحر الطبيعى ومعظم أنواع الكهانة هذه يطلق عليها اسم (علم النجوم) ويفرغ كثير من المسلمين فى الوقت الحاضر لدراساتها ويعتمد عليهم كثير من الناس حينما يشرعون فى بناء بيت أو القيام برحلة. وقد اعتبر الرسول هذا العلم فرعاً من فروع السحر. وهناك فرع آخر من فروع الكهانة يسمى (ضرب الرمل)، ويعتمد على بعض علامات ترسم على الرمل أو على الورق. أما علم (الزجر) فهو فرع ثالث من فروع الكهانة، ويعتمد على مشاعر بعض الطيور أو الغزلان أو بعض الوحوش. فإذا وقف حيوان أو مرّ على يمين أحدهم اعتبر ذلك فألاً حسناً، ويطلق على ذلك اسم (السانح)، أما (الفال) فالقرآن يقره ويعترف به. أما علم (تفسير المنامات) أو تفسير الأحلام فهو أحد فروع علم الكهانة قال الرسول: إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة "كما قال ﷺ: [الرؤيا من الله والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حلمًا يكرهه فليصق عن يساره، ويستعذ بالله منه فلن يضره]. ويحترم معظم المسلمين هذا الحديث النبوى، ويعتقد الكثير أن

(1) انظر المصدر نفسه، ص 79.

الأحلام توضح بعض أجزاء التاريخ أو العلوم، ويعتقدون أن الحلم بشيء أبيض أو أخضر أو ماء يدعو إلى التفاؤل، بينما يدعو اللون الأسود أو الأحمر أو رؤية النيران إلى التشاؤم.

وهناك أيام يتفاعل منها الناس، وأيام أخرى يتشاءمون منها فهم يتفاعلون من يومى الخميس والجمعة، وخاصة اليوم الأخير، ويعتقدون أن هناك سبعة أيام مشئومة فى كل شهر، ففي اليوم الثالث قتل قابيل أخاه هابيل، وفي اليوم الخامس طرد الله آدم من الجنة، وفيه غضب الله على قوم يونس، وفيه أيضاً ألقى بيوسف فى البئر، وفي اليوم الثالث عشر انتزع الله ثروة يعقوب ومملكة سليمان، وفيه قتل اليهود بعض الأنبياء، وفي اليوم السادس عشر دفن الله قوم لوط، وحول ثلثمائة مسيحى إلى خنازير وبعض اليهود إلى قروء، وفي ذلك اليوم غدر اليهود بركريا. وفي اليوم الواحد والثلاثين ولد فرعون، كما غرق فى ذلك اليوم أيضاً، وفيه أصيب قومه بالطاعون. وفي اليوم الرابع والعشرين قتل نمرود سبعين امرأة، وألقى إبراهيم الخليل فى النيران، وفيه ذبح جمل صالح، وفي اليوم الخامس والعشرين أرسل الله تعالى ريحاً على قوم هود.

أما السحر الطبيعى أو (السيميا) فينظر إليه المسلمون المتعلمون على أنه لون من ألوان الفن والخداع والشعوذة. ولكن يمكن القول أنه نوع من أنواع السحر، إذ يقال إن له تأثيراً ظاهرياً إذ إنه يؤثر فى الشعور والخيال بطريقة تشبه تأثير الأفيون، ويعتقد البعض أن الأفيون وبعض العقاقير تؤدي إلى التأثير على النفوس وتستخدم هذه المواد كلها فى ذلك النوع الذى سميناه "ضرب المندل" والذى سبق لنا الحديث عنه وتعتبر هذه الأعمال جميعاً من السحر الطبيعى. ويعتقد أن إطلاق البخور وسيلة من وسائل تسخير الشياطين وتعتبر الكيمياء فرع من فروع السحر الطبيعى ويتوفر كثير من المسلمين فى الوقت الحاضر على دراستها. وأبرز السحرة المصريين الذين نالوا شهرة كبيرة فى مصر فى خلال المائة سنة

الأخيرة هو الشيخ أحمد الصادومي الذي ذاع صيته منذ ستين عامًا مضت⁽¹⁾.

ويضيف "وليم لين" في كتابه المصريون المحدثون "شماثلهم وعاداتهم" الذي صدر سنة 1836 أن السحر العلوى أو الرحمانى، علم يعتمد على عون الله وملائكته والجن الصالحين، وعلى أسرار شرعية أخرى، وأنه يستخدم دائماً لأغراض طيبة، وأنه لا يدركه ويمارسه غير الصادقين الذين يتعلمون من الحديث، أو القراءة، أسماء هؤلاء العاملين الذين يفوقون الطبيعة البشرية وأدعية تكفل إجابة رغباتهم. وتتصل كتابة الأحجية لغرض صالح بهذا الفرع من السحر وبالتنجيم ويعلم أسرار الأعداد. وأقصى ما يدرك فى السحر العلوى هو معرفة "الاسم الأعظم". وهذا هو أعظم أسماء الله الذى يعتقد المتعلمون أنه لا يعرفه إلا الأنبياء والرسل. ويقال إن من يعرف هذا الاسم يستطيع بمجرد النطق به، أن يحيى الميت، ويميت الحى، وينتقل على الفور حينما يشاء، ويأتى بأى معجزة أخرى. ويظن البعض أن أفاضل الأولياء يعرفون هذا الاسم. ويعتقدون أن السحر السفلى يقوم على عمل الشيطان وأشرار الجن، وأن أسرار الرجال يستعملونه لأغراض خبيثة. وإلى هذا الفرع ينسب علم "السحر" الذى يطلقه العرب على الرقية الشريرة فقط.

ويدرس الكثيرون فى مصر علم النجوم أو التنجيم. ويستخدمونه على الأخص لحساب المواليد وتعيين أوقات السحر .. إلخ. ولمعرفة أى البروج يخضع له الشخص. ويتم ذلك بحساب القيم العددية لحروف اسم الشخص واسم أمه. وكثيراً ما يكون ذلك فى حالة إقدام اثنين على الزواج للتحقق من توافقهما وقد أخبرت أن "علم الرمل" يستند غالباً على التنجيم ويزعم القائمون به أنه يكشف الماضى والحاضر والمستقبل بواسطة علامات يرسمونها عرضاً على الورق أو الرمل، ومن هنا سمي هذا العلم⁽²⁾.

(1) المصدر نفسه، ص 72، 73.

(2) إدوارد وليم لين، المصريون المحدثون، شماثلهم وعاداتهم، ص 191، 192.

ويذكر "محمد عمر" في كتابه حاضر المصريين أو سر تأخرهم الصادر في سنة 1902 في فصل بعنوان "أوهام الأغنياء" أن للأغنياء أوهام وسخافة فكر لا يقدر القلم على وصف بعضها. ومنشأ كل ذلك قلة إمامهم بالعلم وجهلهم للحقائق، فمن الأغنياء في هذا القطر قسم كبير يقضون جل العمر وراء تحويل النحاس إلى ذهب. ولهم ولع كبير في البحث في كتب الكيمياء وغيرها لأمل كاذب في نفوسهم على نيل مآربهم حتى إن بعضهم ليضيع ماله وعمره ولكن لا يضيع أمله في صحة معتقده في تحويل النحاس إلى الذهب، والسبب في ذلك غشاوة الجهل والغرور المنتشرة على أبصارهم وبصيرتهم.

أما النساء فأمورهن في الوهم مضحكة مبكية دالة دلالة صريحة على قلة فهمهن وإدراكهن. فلا تزال الكثيرات منهن يعتقدن في المرض المعروف عند الأطباء بمرض الأعصاب وعند العوام بالأرواح المتسبية من مس الشياطين وأن لا دواء غير "تتبييت" الأثر، وعمل الزار الذي عم ضرره وانتشرت مفاسده.

يضيعن حاجتهن في منازلهن لعدم الترتيب ثم يتهمن الخدم ويسألن فلا يهتدين لمعرفة ما فقدنه فيذهبن إلى دكاكين المدعين معرفة الغيب، وعواقب الأمور، فيعرضن حالتهم، وينقدنهم كمية من المال فيكشفه الخادع المنافق كذبا بخط على الرمل ويسمونه المنجم وطرق بالحصى ويسمونه الحاسب. ونظر في المياه ويسمونه المنجم وطرق بالحصى ويسمونه الحاسب. ونظر في المياه ويسمونه المندل. ويا للأسف أن هذه المنكرات فاشية أكثر ما تكون في الأمصار والقرى بمعرفة المسلمين فيا سبحان الله أين من يعلمهم ما تقرره الشريعة من ذم ذلك، وأن البشر محجوبون عن الغيب إلا من أطلعه الله على شيء من عنده .. أليس بعد ذلك نقول:

الغال والرجز والكهان كلهم

مضللون ودون الغيب أفعال

ولكن لا يدري هؤلاء ذلك وقد تكذب الواحدة على الأخرى وقد تحلف أغلظ الأيمان، وأوثق الأقسام أن كل ذلك مفيد، وقد وجدت بفضلها ما افتقدته، وعثرت على ما ضيعته أو شفى ما كان بها من المرض وكل ذلك تغرير وإفساد لغيرها حتى تقع فيما وقعت فيه. وهؤلاء مروجوا الأوهام والسخافة كثيرون منتشرون فى الطرق والدكاكين وأكثر ما يوجدون فى الدرب الأحمر وشارع الساحل بقرب الدائرة السنية وفى جهة باب الشعرية والجمالية وبولاى أى أنهم منتشرون فى كل ناحية أكثر من انتشار المدارس التى تحىى الحق وتبطل الوهم وتربى عقل الإنسان (1).

وكتبت الأنسة "بلاكمان" Blackman سنة 1929 فى بحثها الاجتماعى الوصفى عن فلاحى مصر العليا، فصلاً مستقلاً بعنوان "مشابهات مصرية قديمة" أوردت فيه زهاء تسعين مثلاً من معتقدات وعادات شائعة حالياً فى صعيد مصر النائى تشبه نظيراتها التى كانت معروفة لدى أسلافهم من المصريين القدماء وتقول فى معرض الإشارة إلى عادات الفلاحين ومعتقداتهم اليوم:

"لما كان أغلب هذه العادات والمعتقدات الشديدة الأهمية والطرافة فى حد ذاتها قديمة جداً، فإن هذه الحقيقة تجعل من الضرورى المبادرة إلى دراستها وتسجيلها بكل دقة وعناية" (2).

وقد خصصت "بلاكمان" الفصل الحادى عشر من كتابها لدراسة السحر والسحرة فى مجتمع الفلاحين فى صعيد مصر، وتقول فيه فى معرض حديثها عن مكانة السحر والسحرة فى مجتمع القرية. "يلجأ الأهالى فى مصر إلى السحرة من الجنسين لمساعدتهم فى أوقات الشدة. وبعض هؤلاء السحرة ذاع صيتهم أحياناً، أبعد من حدود القرى التى يعيشون فيها، وتصلهم دعوات مستعجلة من أفراد يعيشون فى مناطق بعيدة من البلاد، وذلك للسفر إليهم، والقيام بنجدتهم".

(1) انظر محمد عمر، حاضر المصريين أو سر تأخرهم، ص 47 : 51.

- انظر ما بعد البحث الميدانى، خريطة المشتغلين بالسحر، ص 299.

(2) انظر: S.W. Blackman, The Fellaheen of Upper Egypt

وتذكر "بلاكمان" أنه ليس من المؤلف بالنسبة للسحرة من الإناث الذهاب بعيداً عن القرى التي يعيش فيها، أو أبعد من القرى المجاورة لقراهن، ولكنها تعرف بعض السحرة من الذكور، الذين يسافرون بعيداً لمزاولة عملهم في كثير من المديریات.

ويحترم الفلاحون المصريون السحرة، كما أنهم يخشونهم بدرجة كبيرة وهذا يرجع بلا شك إلى معرفة السحرة بالتعاويذ وقدرتهم على استخدامها سواء في الأغراض الشريرة أو في الأغراض الخيرة.

ولكى يسترضى الفلاحون السحرة، فإنهم يقدمون لهم الهدايا من الحبوب والأطعمة المجهزة، وغير ذلك من السلع المرغوب فيها.

وتحدثنا "بلاكمان" في الفصل الخاص بالسحر من كتابها عن ساحرة من معارفها "عليها عفريت، يسكن "تحت الأرض" ويسمى الشيخ محمد، وهذا الشيخ يتواجد دوماً مع هذه المرأة، وعندما يلجأ أحد من الناس إلى هذه الساحرة لتزاول عملها فإنها تتأدى "الشيخ" لتجذب انتباهه، فمثلاً إذا أحضر لها الأهالي شخصاً مريضاً سواء أكان طفلاً أم يافعاً، فإنهم يظنون أنها بمساعدة هذا الشيخ تستطيع أن تذكر لهم ما إذا كان سيعيش أم سيموت. ويلجأ الأهالي كثيراً إلى هذه الساحرة طلباً لعونها ويقوم الشيخ بتقديم النصيحة لكل حالة على حدة.

وتضيف "بلاكمان" في حديثها عن السحر الخاص "بالكره"، أنه عندما يريد الرجل أن يجعل زوجته تكرمه ليسهل عليه القيام بطلاقها، فإنه يلجأ إلى أحد السحرة ليقوم باتخاذ الإجراءات اللازمة في هذا الشأن ولتحقيق هذه الغاية يحضر الساحر بيضة، ثم يقوم بكتابة بعض الحروف السحرية التي يفترض أنها تكون اسم ملك القبور The King of tombs على قشرتها ويشترط لنجاح هذه العملية أن تكون الدجاجة قد باضت هذه البيضة في يوم الأربعاء وبعد ذلك يأخذ الساحر البيضة، ويدفنها في أحد القبور، ويجب ألا يعرف هذا القبر، أى إنسان، لأى سبب كان.

وإذا كان الرجل الذى يرغب فى طلاق زوجته من المسيحيين، فإنه يلزم أن

توضع البيضة في قبر أحد المسيحيين، أما إذا كان مسلماً، فإنه يتعين على الساحر أن يضعها في قبر أحد المسلمين.

ولابد أن تبقى البيضة دائماً في المكان الذي وضعها فيه الساحر. وإذا اكتشف أحد الناس ذلك المخبأ السري للبيضة، ثم قام بنقلها من مكانها، فإن السحر يفقد مفعوله، وتحب المرأة زوجها ثانية.

أما عن السحر الخاص بالانتقام، فتقول "بلاكمان" أنه عندما يرغب أحد الرجال في أن يأخذ بثأره من شخص آخر يعتقد أنه ألحق به ضرراً بالغاً فإنه يلجأ إلى أحد السحرة، ويطلب منه أن يصنع له شكلاً من الشمع أو من الفخار يفترض أنه يمثل الرجل الذي يريد إلحاق الأذى به. وبعد أن يصنع الساحر الشكل المطلوب من الشمع، فإنه يقوم بالقائه في النار، وهو ينطق ببعض من الرقي، أما إذا كان الشكل المطلوب مصنوعاً من الفخار، فإن الساحر يقوم بالقائه في الماء بدلاً من النار. وحيث إن الأشكال تتلاشى في النار أو في الماء، فإن الرجل المطلوب الثأر منه يموت تدريجياً.

وتذكر "بلاكمان" أن الأهالي نادراً ما يلجأون إلى اتخاذ مثل هذا الإجراء المتطرف، كما أنه من العسير جداً على المرء أن يجد أحداً من السحرة يقبل القيام بتنفيذ هذه المهمة مهما أجزل له العطاء، لأن الشخص الذي يعمل له مثل هذا السحر لا علاج له، وهو محكوم عليه بالموت نظراً لأن الأشكال (سواء المصنوعة من الشمع أو من الفخار) لا يمكن إنقاذها من النار أو من الماء⁽¹⁾.

وفي سنة 1946 كتب الطبيب "محمد فخر الدين السبكي" كتاباً قيماً بعنوان "مذكرات طبيب في الأرياف" ذكر فيه كثيراً عن عادات الريفيين في مصر، وبعض الظواهر الاجتماعية المنتشرة بينهم، وهو حين يتحدث عن الدجالين الموجودين في القرية المصرية، وهم الذين يشاركون الأطباء في مهنتهم، ويصفون

(1) انظر بلاكمان، المصدر نفسه، الفصل الحادي عشر.

الأدوية لكل داء، يذكر ضمنهم طائفة تستعمل السحر فى العلاج وطائفة أخرى تعالج بالأحبة والبخور (1).

ويذكر الكاتب أن أسماء الأمراض فى الأرياف تطلق عادة على أسبابها، فمثلاً إذا حسد شخص طفلاً وأصيب هذا الطفل بنزلة معوية، فلا يقال أن عنده (إسهالاً)، بل يقولون أنه (محسود) أو عنده (نفس)، وإذا أصيبت امرأة بنزيف واعتقد أهلها أن ذلك نتيجة سحر، فإنهم لا يقولون أن عندها نزيفاً بل إنه (معمول لها عمل) وهكذا ويطلق اسم الحسد، أو النفس، أو العين على عدد كبير من الأمراض تكون لها ظروف خاصة تستوجب الاعتقاد بأن سببها هو الحسد، وتشمل أغلب أمراض الأطفال كالهزال، والضعف العام، والتهابات الجلد، والأمراض التى تظهر على الشخص فى ظروف خاصة.

وهناك مرض يطلقون عليه الأسباد أو العفاريت، وهذا يشمل الحالات التى تكون أعراضها غريبة وغير مفهومة، وأمثلة ذلك الأمراض العصبية، والحمى الروماتيزمية، وحالات الاستسقاء.

ويدخل فى باب الأسباد والعفاريت، السحر أو العمل، ومن الأمراض التى تنسب إلى السحر، النزيف عند النساء، والضعف التناسلى، عند الرجال. ولا تكاد تخلو قرية من القرى من وجود شخص يدعى العلم بالسحر ويدعى لنفسه القدرة على حل كل إشكال بقوة سحره (2).

وفى قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، الذى ألفه أحمد أمين فى سنة 1953، وردت كثيراً من العادات والتقاليد والتعابير المتصلة بالسحر والاعتقاد فيه: منها الأحبة، والاستخارة، والزائرة، وضرب الرمل، وضرب الودع، والطالع، وفتح الكتاب، وقياس الأثر والربط (3).

(1) انظر محمد فخر الدين السبكى، مذكرات طبيب فى الأرياف، ص 43.

(2) المصدر نفسه، ص 50.

(3) أحمد أمين، المصدر السابق.

وقد تناولت "فوزية دياب" فى كتابها "القيم والعادات الاجتماعية" مع بحث ميدانى لبعض العادات الاجتماعية ظاهرة السحر الذى أعيد طبعه فى مكتبة الأسرة سنة 2003، فى مواضع عديدة من كتابها الشامل، وكذلك العادات الاجتماعية المتعلقة بها وقد ذكرت على سبيل المثال أنه من الملاحظ، فى كثير من قرى الوجه القبلى والسبحرى، أن الأهالى يعتقدون اعتقاداً قوياً فى بعض إجراءات سحرية يلجأ إليها حساد العريس أو حساد العروس أيام زفافهما، لكى يفسدوا حياتهما الزوجية .. فعندما يفشل العريس فى الاتصال الجنىسى بعروسه لأى أمر من الأمور يفسر ذلك بأن أحد السحرة، بناء على طلب أحد منافسى العريس الذين يكرهونه، قد قام بربطه .. وحينئذ يسعى العريس إلى الشخص المعروف بقدرته على فك الربط، ويتوسل إليه أن يفك الربط ويحله .. ويفك الربط عادة مقابل أجر يتراوح بين عشرين قرشاً ومائتى قرش تبعاً لمقدرة الشخص المربوط ودرجة تلفه على التخلص من مشكلته.

وتضيف "المؤلفة" أنه لو تعمقنا فى مواقف الالتجاء إلى السحر والعمل والتحويلات التى يقوم بها الدجالون لوجدنا أنهم يخلطون دائماً السحر بالدين، لكى يضمنوا سهولة التأثير على الناس، ولكى ينجحوا فى ترويح بضاعتهم، وبالتالي يصيبون من وراء ذلك الكسب الكثير.

فالدين عند الريفين من الأمور الجوهرية والدوافع الأساسية ذات القيمة العليا فى أعمالهم، وفى حياتهم بصفة عامة وأى شىء يقتزن به، ويصطبغ بصبغته، يكتسب قيمة كبيرة وقدسية قوية، ويصبح ذات تأثير فعال نافذ فى النفوس، وقد استغل المشعوذون والدجالون، هذه الحقيقة فدرجوا على تلوين أعمالهم السحرية باللون الدينى، ومزجها مزجاً بالعقائد الدينية، ولذلك لا نجد حجاباً أو عملاً أو سحراً يكاد يخلو من الآيات القرآنية، ولذلك أيضاً نجد، أن هذه الأعمال السحرية، وتلك الأحجبة، والتحويلات، بما احتوت عليه "من كلام الله" تؤدى وظيفة هامة فى العمل على راحة الشخص النفسية، والتغلب على عجزه وإخفافه، بما توفره له من آمال

عاجلة أو آجلة يوههم بتحقيقها، ويوحى إلهي بأنها لا محالة واقعة.

ويمكننا أن نستخلص من كل هذا أنه على الرغم من شدة الشعور الديني عند الريفيين، وقوة إيمانهم بالعقائد الدينية، فإن كثيرًا⁽¹⁾ منهم على وعى ضعيف بحقيقة تعاليم الدين وكيفية تطبيقها عمليًا في الحياة الواقعية.

ويؤيد "محمد الجوهرى" رأى "فوزية دياب" فى كتابه "علم الفولكور" الجزء الثانى: دراسة المعتقدات الشعبية الصادرة فى سنة 1980 إذ يقول فيه "ومن الطبيعى أنه كلما ازداد حظ الإنسان من الثقافة الدينية الحقيقية، تردد فى التسليم بتلك المعتقدات (ومنها السحر)⁽²⁾."

وفى هذا الكتاب القيم، يعرض مؤلفه لدراسة المعتقدات والممارسة السحرية، ويصنف السحر إلى سحر رسمى وسحر شعبى، ويتناول أغراض الممارسة السحرية، ثم يحلل بعض تقارير الدراسات الميدانية على بعض المشتغلين بالسحر فى الريف المصرى، وينهى الجزء المخصص لدراسة المعتقدات والممارسة السحرية بدليل مختصر للدراسة الميدانية للسحر⁽³⁾.

تحليل وخلاصة:

1- يلاحظ أن أغلب المعتقدات السحرية التى تعرض لها الكتاب المختلفون، الذين تناولوا ظاهرة السحر وعلاقتها بسوسيولوجيا المجتمع المصرى، تعد إراثاً مصرياً مشتركاً تستمد جذورها من مصادر قديمة، أقدم من الدين نفسه (سواء اليهودى، أو المسيحى أو الإسلامى) وأسبق عليه فى الوجود، وأنه إذا بدا لنا أن بعض هذه المعتقدات يتفق فى بعض جزئياته العارضة - مع

(1) فوزية دياب، المصدر السابق، ص 303.

(2) محمد الجوهرى، المصدر السابق، ص 28.

(3) انظر المصدر نفسه، ص 28.

مبادئ الدين، فإن هذا الاتفاق هو ثمرة عملية تكيف أو موازنة متعمدة لجأت إليها العقلية الشعبية كي تضمن للمعتقد الشعبي (ذى الأصل السابق على الدين) البقاء وسط بيئة الدين الجديد ويضمن له إقرار رجال هذا الدين ولكنه في حقيقته وجوهره ما زال تعبيراً عن عنصر أقدم في شخصية هذا الشعب (1).

2- يتبين من دراسة ظاهرة السحر، والمعتقدات السحرية، في المجتمع المصري أن مصر تمتاز بظاهرتين هامتين هما القدم والاستمرار، فالمجتمع الريفي على سبيل المثال، تابع حياته في القرية، وعمله في الحقل والزراعة دون انقطاع خلال فترة تقارب السبعة آلاف سنة، أى منذ بداية العصر الحجري، إلى العصر الحديث، ولذلك فإن نظمه واستقرت وتبلورت على مر الزمن (2).

وبالمثل فإن دراسة تاريخنا الاجتماعى والثقافى تتيح لنا أن نميز بين العناصر الثقافية الأصيلة، والعناصر الثقافية الدخيلة. وإذا كان الأمر كذلك، وكانت ظاهرة السحر، والمعتقدات السحرية فى مجتمعنا المصرى من العناصر الثقافية الباقية من المجتمع المصدري القديم، فلا بد لنا أن نقارن بين ظروف النشأة الطبيعية الأصيلة التى أوجدت الظاهرة، موضوع دراستنا، وبين الظروف القائمة الآن لوجودها وهذا ما سنتناوله فى الجزء التالى من دراستنا النظرية، ثم فى البحث الميدانى (3).

دور ظاهرة السحر فى المجتمع المصرى

أهداف الممارسة السحرية هى محور اهتمام معظم الكتابات التى تناولت ظاهرة السحر (4)، على أساس أن معرفة هذه الأهداف، يلقي الضوء الأكبر على

(1) انظر المصدر نفسه، ص 28.

(2) انظر سيد عويس، الإبداع الثقافى على الطريقة المصرية، ص 14.

(3) انظر الجزء الخاص بأهداف الممارسة السحرية، والبحث الميدانى.

(4) على سبيل المثال نجد العالم الفرنسى "أدمون دوتيه" وقد اهتم اهتماماً شديداً بهذا الموضوع

الدور الذى تلعبه ظاهرة السحر فى المجتمع، والأهمية التى ينسبها الناس إلى المعتقد السحري فى حياتهم اليومية.

وسنتناول فى هذا الجزء المتعلق بظاهرة السحر والمجتمع المصرى أهداف الممارسة السحرية من جانب المشتغلين بالسحر من جهة، ومن جانب المترددين عليهم من أفراد المجتمع من جهة أخرى، وذلك من وجهة نظر تحليلية نقدية، ذلك أننا سنتناولها فى واقعها الاجتماعى، من خلال البحث الميدانى الذى قمنا به فى مدينة القاهرة، وذلك فى الجزء المخصص للبحث الميدانى من الكتاب.

أولاً: أهداف الممارسة السحرية بالنسبة للمشتغلين بالسحر

1- السعى وراء المال:

يقوم بعض الأفراد بالاشتغال بالسحر طلباً للمال، فهم يستغلون مواهبهم ومهارتهم فى الحصول على المال عن طريق إغراء بعض الأفراد بوجود قوى غير منظورة فى حل مشكلاتهم وعن طريق إقناعهم بمدى قدرتهم هم على حل مشكلاتهم وإجابة حاجاتهم، ويشجعهم على ذلك أن هذه الأعمال تحقق دخلاً لا بأس به سواء كان دخلاً مادياً أو عينيّاً.

ويعد الحصول على المال هدفاً لكثير من السحرة منذ القدم.

2- السعى وراء المكانة :

السعى وراء المكانة عامل من العوامل التى تدفع بعض الأفراد للاشتغال

فى مؤلفه الضخم عن السحر والدين فى شمال أفريقيا. فقد أورد فيه طائفة عريضة فى الموضوعات السحرية التى جمعها فى ملاحظاته الميدانية ومن المؤلفات السحرية المنتشرة هناك وأكثرها معروف فى الشرق العربى انظر:

- Edmund Doutté: Magie et Religion dans L'Afrique du Nord, Alger, 1909. Ch.5.

بالسحر. فبعض الناس يخشون تلك الفئة ليس عن حب واحترام بقدر ما هو خوف منهم واتقاء لأذاهم. حيث يظنون أنهم سوف يتعرضون لضرر القوى الغيبية التي يسخرها هؤلاء السحرة.

3- توريث امتهان السحر :

يقوم البعض بالاشتغال بالسحر بالوراثة، ففي الأغلب يسلم الأب ابنه هذه المهنة لأن بعض الناس لديهم اعتقاد بأن هذه المقدرة يمكن توريثها من الأب إلى الابن، كذلك فإن الابن تكون له دراية كبيرة بالأعمال السحرية عندما يكون والده ساحراً، ويساعد على ذلك أن كثيراً من المشتغلين بالسحر، يحرصون على توريث أبنائهم هذه المهنة، لما تدره عليهم من أرباح وفيرة أغلب الأحيان، وما تضيفه عليهم أيضاً من مكانة مرموقة (1).

ثانياً : أهداف الممارسة السحرية بالنسبة للمتدربين على السحرة

تتركز أهداف الممارسة السحرية بالنسبة للمتدربين على السحرة، في إشباع حاجاتهم needs سواء كانت هذه الحاجات، مادية، أو دينية روحية بعبارة أخرى تستهدف الممارسة السحرية تحقيق رغبات الناس التقليدية المعروفة وأهمها ما يلي:

1- شفاء الأمراض :

في مقدمة أهداف الممارسة السحرية يأتي موضوع شفاء الأمراض بأنواعها المختلفة. وهناك بعض الوصفات والأعمال السحرية التي تنفع علاج أى مرض وكل مرض. أما إذا أردنا التخصيص عن أسماء كل مرض على حدة، فنأتى في المقدمة أمراض العيون. ثم تأتى بعدها أمراض الحمى بأنواعها. ويأتى بعد ذلك الأمراض

(1) انظر نبيل صبحي حنا، المصدر السابق، ص 14، 15، وانظر أيضاً الجزء الخاص ببحثنا الميداني.

التالية: الصداغ، وأمراض الأسنان، والصرع، والكسور، و"شفاء الملسوع" بسبب لدغ العقارب وعضة الثعبان وغيرهما من الزواحف السامة، وكذلك تسهيل عملية الوضع، وشفاء "الكبسة" (1) وإدرار اللبن، وإيقاف النزيف بالنسبة للمرأة.

ومن أهم أسباب تردد الناس على المشتغلين بالسحر، علاج أمراض الأطفال، وعلاج مشكلات تربية الأطفال كسوء الخلق أو الانحرافات، أو البكاء الدائم، وحماية الجنين في بطن أمه، وعلاج الرضيع الذي لا يتمكن من الرضاعة بشكل سليم، وعلاج بكاء الطفل، وحماية الطفل من أم الصبيان (أو القرنية)، وعلاج تأخر الكلام عند الطفل، وعلاج الاضطرابات والمضاعفات التي تحدث بعد ختان الطفل (2).

ومن المترددين من يذهب لعلاج أمراض نفسية (بلغه العلم)، لكن لها في لغة العوام قاموساً خاصاً وأسماء شعبية خاصة فهناك "الزهقان، وضيق الصدر"، وهناك من أصابته (نفس)، أو (عين) جعلته حزينا مكتئباً على الدوام، وهناك من يحلم أحلاماً مخيفة دوماً، وهناك "الموسوس" و"الحامى" سريع الغضب، وهناك أيضاً المؤرق الذي لا يستطيع النوم.

ويطلب الأول من الصفات ما تستهدف "إدخال السرور على الحزين" أما الثانى فيطلب وصفة للتخلص من الأحلام المزعجة المخيفة، ويطلب الثالث البرء من الوسواس، ويريد الرابع وصفة لإذهاب الغضب "كالمسح على رأس الغضبان لإزالة غضبه" (3).

(1) انظر ما قبل ص

(2) هناك طائفة لا حصر لها من الأمراض لا يتسع لها المقام هنا. وهناك صفات تستهدف الإضافة بأمراض مختلفة. ونجد نماذج لذلك في مواقع متفرقة من كتب السحر "الرسمى" في مؤلفات البونى، والسيوطى، وابن الحاج وابن الملق، "جواب من استفهم من اسم الله الأعظم"، مخطوطة "دار الكتب المصرية"، القاهرة، تحت رقم 23180، ص 56، ص 57.

(3) انظر على سبيل المثال، شمس المعارف الكبرى، الجزء الثانى، ص 157، 189، 200.

وجدير بالذكر أن من المترددين من يذهب للانتقام من غريمه باستخدام
وصفة تجعله يصاب بمرض معين.

2- كشف الغيب أو الإخبار بالمستقبل:

من أهم ما يرغب المترددين على المشتغلين بالسحر في معرفته هو طلب
الإخبار بمعلومية معينة حول المستقبل، أو الحصول على توجيه إلهي أثناء النوم.
وهذا لا يوجد بالنسبة للمعتقدات السحرية عند الشعب المصرى فحسب بل لا يوجد
فى المعتقدات السحرية عند كافة الشعوب (1).

ويعد هذا الهدف وهو معرفة الغيب، مطلباً أساسياً، لدى المترددين والدوافع
إلى معرفة الغيب كثيرة عندهم، فهناك دافع الخوف .. الخوف من المجهول،
والخوف من ضياع النعم، أو فقدان الحب أو المال، أو الولد. وهناك دوافع العجز
فحين يعجز شخص عن معرفة من سرق ماله مثلاً، أو تعجز أم عن معرفة مكان
ولدها التائه فإنهما قد يلجآن إلى المشتغلين بالسحر، وبخاصة حين يفشلان فى ذلك
بالجوء إلى الشرطة.

3- مسائل الحب والزواج :

من أبرز أهداف الممارسة السحرية، التى يذهب المترددين من أجلها إلى
المشتغلين بالسحر، مسائل الحب والزواج وما يتصل بهما من هموم ومشكلات.

فتذهب البائرة التى تأخر زواجها، وتذهب من تزوجت ووجدت مشاكل فى
علاقتها بزوجها، وتذهب المرأة العاقر لتتمكن من الحمل وإنسال الأطفال، ويذهب
الرجل لتكون زوجته أكثر طاعة له، وتذهب الزوجة لكى يكون زوجها أكثر رحمة
بها وشفقة عليها. ويذكر البونى عن أحد الوصفات "من كتبه وسقاه لزوجته، لم

(1) انظر محمد الجوهري، علم الفولكلور، المصدر السابق، ص 219، 320.

تفعل ما يكرهه بعد ذلك" (1).

أما ما يتعلق بمسائل الحب، فهي كثيرة ومتنوعة، فهناك من يذهب إلى المشتغل بالسحر لإيقاع فتاة معينة في غرامه، ونجد من الفتيات أو النساء من يذهبن لإيقاع رجل معين في غرامهن، وهناك من يذهب للخلاص من حب يشقيه ويتعسه.

ولا يكاد يخلو كتاب أو مخطوط من كتب السحر أو كتب المعتقدات الشعبية من الاهتمام بمسائل الحب والزواج كمحور أساسى تدور حوله الممارسة السحرية وتطلق مثل هذه الكتب على أنواع العواطف التى تتناولها، الحب، والوجدان، والعشق، والوصال، والتهيج (2) ... إلخ. ونجد فيها وصفات مختلفة تبعاً لنوع الطلب أو المشكلة.

ومن الوصفات التى يصفونها لارتباط الزوجين بالحب حتى الممات، أن يجمع كل من الطرفين يوم الزفاف مباشرة أظافر يديه ورجليه ويخلط جميع الأظافر وعددها أربعين ببعضها، وتوضع فى لفافة يخطط عليها ومعهما قطعة فضية صغيرة وتدفن فى المنزل، فيستحيل على الاثنين فراق بعضهما مهما كانت الأسباب (3) "كما تدعى الوصفة".

أما من يلتمس خلاصاً من حب يؤرقه ويشقيه يورد البونى الوصفة "لن أضره العشق والمحبة والهيام إلى شخص وخشى الفضيحة بين الناس أو بين

(1) البونى، منبع أصول الحكمة، ص 89.

(2) انظر على سبيل المثال كتابى:

- عبدالفتاح الطوخى، السحر العجيب فى جلب الحبيب، مكتبة القاهرة، جزء أول.

- عبدالفتاح الطوخى، تسخير الشياطين فى وصال عاشقين، مكتبة الجمهورية العربية، القاهرة.

(3) محمد جعفر، المصدر السابق، ص 109.

أهله⁽¹⁾.

ويفسر المعنقد السحري الحب الشديد، بأنه يرجع إلى تأثير عمل سحري معين بالمحبة، ولا يعالج هذا الحب والهيام إلا عن طريق فك العمل. ولعل ذلك هو السبب في تردد أهل الفتاة التي تهيم حباً بشخص ما على المشتغل بالسحر كي يفك لها العمل المعمول لها بمحبة هذا الشخص، حرصاً على شرف الأسرة وسمعة الفتاة⁽²⁾.

ويرتبط بمسائل الحب والزواج، وصفات تهدف إلى شل قدرة الرجل الجنسية (الربط) أو جعل المرأة غير قادرة على الحمل، وكذلك وصفات لتقوية الجنس عند الرجل، وتمكينه من أداء واجباته في هذا الصدد بكفاءة عالية. وهناك وصفات لضمان إخلاص المرأة لزوجها، وكذلك إخلاص الرجل لزوجته، وكذلك وصفات تستهدف معرفة الحقيقة إذا ما شك الرجل في عفة زوجته أو ابنته أو أى امرأة من أفراد أسرته⁽³⁾.

4- الحفظ من الآثار الضارة للسحر :

يذهب معظم المترددين على المشتغلين بالسحر لأسباب تتعلق بحفظهم من الآثار الضارة للسحر، أو لإبطال مفعول أى عمل سحري ضار يوجه إليهم إذ إنهم يعتقدون أنه ما دامت لديهم القدرة على استخدام السحر في إيقاع الضرر بالآخرين، فلا بد أن الآخرين لديهم في الوقت نفسه، وبالدرجة نفسها القدرة على إيقاع الضرر بهم، لذلك فإنه يجب عليهم التحوط من الأعمال السحرية الضارة الموجهة إليهم.

ويذهب المترددون هنا للحصول على وصفات تستهدف شفاء الرجل المربوط، أي الذى فقد قدرته الجنسية بسبب عمل سحري أجراه له عدوه، أو

(1) البونى. شمس المعارف، الجزء الثانى، ص 211.

(2) انظر محمد الجوهري، علم الفلوكلور، المصدر السابق، ص 224.

(3) انظر محمد الجوهري، علم الفلوكلور، المصدر السابق، ص 224، 225.

لإخراج تأثير عين الحاسد من الجسد، كما يذهبون لعمل تحويطة (حجاب للوقاية) تحرزاً من أى عمل سحرى يقوم به أحد ضدهم⁽¹⁾.

5- الانتقام من الظالم :

قد يلجأ الضعيف المظلوم إلى المشتغل بالسحر الذى يعتقد أن فى استطاعته تسخير الجان فى الانتقام، فيصاب عدوه بداء عضال قد يصل إلى حد الخبل، أو ينكب فى أطفاله أو يفقد حب زوجته، أو يمرض بالعنة⁽²⁾.

وهناك وصفات معينة تهدف إلى هلاك العدو بعامه، سواء كان عدواً شخصياً أو سياسياً، ولتدمير الظالم، أو إشعال النار فى بيته. وتوجد وصفات أخرى أكثر تحديداً تهدف إلى إصابة الظالم بالأمراض، أو تعذيبه "بإبطال نومه" أو "بتسليط الهموم والأحزان عليه".

ومن العقوبات الأخرى التى تتردد فى أشهر كتب السحر - ومنها كتاب "منبع أصول الحكمة" للبونى - ويراد توقيعها على الظالم: رجم داره، وإخراجه من داره أو من بلده، وتسليط الصداغ عليه ... إلخ⁽³⁾.

6- أهداف متنوعة :

ويذهب بعض المترددين على المشتغلين بالسحر لأهداف أخرى متنوعة، فالتاجر يذهب سائلاً عن وصفة لترويج التجارة، وتيسير البيع والشراء⁽⁴⁾. وهناك من يذهب لأهداف تتعلق بإشباع الحاجات اليومية، ومختلف شؤون الحياة. فيذهب

(1) انظر المصدر نفسه، ص 216.

(2) حسن الساعاتى، علم الاجتماع القانونى، ص 195.

(3) انظر محمد الجوهري، المصدر السابق، ص 228.

(4) انظر البونى، منبع أصول الحكمة، ص 68، 80.

وانظر البونى، شمس المعارف، ج2، ص 198.

الطالب طالبًا وصفة لمنع النسيان أثناء المذاكرة أو تسهيل الحفظ عن ظهر قلب، ويذهب المدين باحثًا عن وصفة لقضاء الدين. وتذهب المرأة أو الرجل للسؤال عن وصفة لرؤية الحبيب أو الصديق في المنام حيًّا كان أو ميتًا.

وجدير بالذكر أن هناك نفر غير قليل من المترددين على المشتغلين بالسحر يذهبون بهدف أن يساعدهم هؤلاء المشتغلون في اتخاذ القرارات الهامة في حياتهم كاختيار خاطب معين لابنتهم، وعدم قبولهم لآخر، أو آخرين، حين يكون هناك أكثر من متقدم، أو كقرار الدخول في عمل تجارى كبير، ومعرفة ما إذا كان سيكتب له النجاح أم لا، وكقرار السفر للعلاج أو العمل، وهل سيتوفر له التوفيق أم لا، إلى غير ذلك من القرارات الهامة والمصيرية في حياة كل إنسان⁽¹⁾.



(1) انظر ما بعد.

السحر والمجتمع

البحث الميداني

الفصل السادس

ظاهرة السحر

في مدينة القاهرة

خطة البحث :

تشتمل خطة بحث "ظاهرة السحر فى مدينة القاهرة" على بيان الهدف منه ومجاله، ومنهجه، وخطواته المختلفة.

أولاً: هدف البحث:

الهدف من البحث هو التعرف على ظاهرة، السحر كما توجد، وتمارس، فى مدينة القاهرة، باعتبارها ظاهرة اجتماعية ذات تركيب وخصائص.

ويكشف هذا البحث عن المشتغلين بالسحر فى مدينة القاهرة ، وعن المترددين من الأفراد على هؤلاء المشتغلين. كما أنه يبين أحوال المشتغلين بالسحر، وكذا المترددين عليهم من الناحية المدنية، والتعليمية، والمهنية، ومدى ارتباطها بممارسة السحر من ناحية، أو التردد على المشتغلين بها من ناحية أخرى.

كما يزودنا البحث ببيانات توضح لنا أعمار المشتغلين بالسحر، وأعمار المترددين عليهم ، ونوعهم ، وديانتهم، ومناطق، نشأتهم، وإقامتهم فى القاهرة. وفيما يخص المشتغلين شمل البحث بيانات عن توزيعهم فى القاهرة وفق القسم الإدارى، وعن توزيعهم وفق تخصصاتهم، ووفق دخلهم، كما تحرى عن مدى شهرتهم والدافع الأساسى لاشتغالهم بهذه المهنة، ومدى اقتناعهم بفائدتها.

أما بالنسبة للمترددين على المشتغلين بالسحر، فقد تضمن البحث بيانات عن توزيعهم وفق النوع ، وفئات السن، والديانة، ومستوى التعليم، والحالة الاجتماعية، ويحتوى البحث أيضاً على بيانات عن عدد مرات التردد والدوافع إليه، ومدى شعور المتردد بالفائدة من ترده.

ثانياً: مجال البحث :

ينقسم مجال البحث الميدانى للسحر فى مدينة القاهرة الى ثلاثة أقسام: المجال الجغرافى، والمجال البشرى، والمجال الزمنى.

(أ) المجال الجغرافى

المجال الجغرافى لهذا البحث هو مدينة القاهرة، وذلك لما يأتى:

- 1- كون القاهرة العاصمة من جهة، وكونها أكثر مدن الجمهورية سكاناً، ونقصد بالقاهرة منطقة القاهرة الإدارية (أى الأقسام الإدارية التى تكون محافظة القاهرة).
- 2- تميز القاهرة العاصمة بالنسبة للمدن الأخرى، فيما عدا مدينة الإسكندرية، بمستوى عال من الوعى ، والتعليم، والأمر الذى تظهره إحصاءات التعداد العام للسكان.
- 3- حصر البحث فى نطاق محدد يساعد على التعمق فى الدراسة، والإحاطة بموضوعها، فلو كان قد شمل مدناً أخرى أو تطرق إلى الريف لاستحال إنجازُه على الباحث المفرد.

(ب) المجال البشرى

لما كان السحر عملية اجتماعية تتضمن فئتين: المشتغلين به، والمترددین من أجله، لذلك كان المجال البشرى للبحث يضم أبرز المشتغلين بالسحر فى مدينة القاهرة (كمُنطقة إدارية) وعددهم 139 مشغلاً بالسحر، موزعين على الأقسام الإدارية المختلفة، وكل المترددين عليهم إبان ثلاثة أشهر فى ربيع وصيف 1978 (مارس، إبريل، مايو) من ذكور وإناث من أعمارهم مختلفة، وقد بلغ عددهم 704 متردداً ومتردة.

(ج) المجال الزمنى

استغرق البحث حوالى سنة، ما بين إعداده وكتابة التقرير النهائى عنه، وذلك فى مجالات زمنية فرعية، فقد استغرق إعداد صحائف الاستبيان للمشتغلين

والمتريدين، وصياغة الأسئلة وتجريبها وتعديلها أكثر من مرة وحتى وصلت إلى صورتها النهائية الواردة فى الملحق ثلاثة أشهر بدأت فى ديسمبر 1977 أى آخر فبراير 1978 وبعدها طبقت هذه الصحائف فى شهر يونيو، ويوليو، وأغسطس، وفى سبتمبر، وأكتوبر، ونوفمبر، وديسمبر ثم تحليل ابيانات وتفسيرها وكتابة تقرير النهائى للبحث.

ثالثاً: منهج البحث :

منهج البحث هو المنهج الوصفى، ونستخدمه بقصد الكشف عن ظاهرة السحر فى مدينة عاصمة (METROPOLITAN) هى مدينة القاهرة، والتعرف على أهم خصائص من تضمهم هذه الظاهرة سواء من المشتغلين بالسحر، أو من المتريدين عليهم.

أما طريقة البحث فكانت المسح الاجتماعى فى مدينة القاهرة، على كل من المشتغلين والمتريدين، وكانت وسيلة جمع البيانات هى الاستبار (interview) المقيد باستبيان (SCHEDULE).

وكانت أداتا جمع البيانات والمعلومات صحيفتا استبيان وجهت أحدهما أى المشتغلين بالسحر والأخرى إلى المتريدين عليهم.

وقد صمم هذان الاستبيانان فى هذا البحث على أساس أن تكون الأسئلة فى كل منهما من النوع المقفل، ويتكون الاستبيان الخاص بالمشتغلين من 21 سؤالاً تكشف عما يأتى بالنسبة لكل مشتغل.

(أ) بيانات عامة و شخصية وتشمل :

- 1- محل الميلاد.
- 2- محل الإقامة.
- 3- المستوى التعليمى.
- 4- الحالة المدنية.
- 5- الديانة.

(ب) بيانات عن المهنة وممارستها، وتشمل:

- 1- التخصص.
 - 2- الدخل.
 - 3- درجة الشهرة.
 - 4- الكتب والأشياء المستخدمة فيها.
 - 5- الهواية والاحتراف.
 - 6- مدى اعتقاد المشتغل في نفع مهنته.
- أما الاستبيان الخاص بالمتكررين فيشمل 23 سؤالاً تكشف عما يلي بالنسبة لكل متكرر:

- 1- بيانات عامة أو شخصية.
- 2- مستوى التعليم.
- 3- المهنة.
- 4- الدخل.
- 5- المصادر التي عرف عن طريقها المشتغل.
- 6- عدد مرات التردد.
- 7- مدى شعور المتكرر بالفائدة من تفرده.
- 8- التجاور المكاني بالنسبة للمتكرر.
- 9- دوافع التردد.

الفصل السابع

المشتغلون بالسحر

مقدمة

يحتوى هذا الفصل على البيانات المتعلقة بالسحر فى مدينة القاهرة ، والذين أجرى عليهم المسح الاجتماعى، وتشمل هذه البيانات توزيع المشتغلين حسب النوع. والسن، ومحل الميلاد، والأقسام الإدارية والديانة، وحسب المستوى التعليمى، والحالة الاجتماعية. كما تحتوى بيانات هذا الفصل على توزيع المشتغلين بحسب التخصص، والدخل ودرجة الشهرة، والكتب والوسائل المستخدمة فى المهنة، ومدى تفرغ المشتغلين لمزاولة المهنة، وأثر الوراثة والهواية فى الاشتغال بالمهنة.

أولاً: بيانات أساسية:

(أ) نوع المشتغلين

يكشف تحليل البيانات الخاصة بنوع المشتغلين بالسحر الذين شملهم المسح وعددهم 139. عن أن حوالى نصفهم 49.64 % من الذكور، وأكثر من النصف بنسبة قليلة جداً من الإناث 50.36 % أى أن هناك تعادل تقريباً، بالنسبة للمشتغلين بالسحر من الذكور والإناث وذلك كما يتضح من الجدول رقم (1).

ويدل هذا على أن الاشتغال بالسحر، عمل يمكن أن يقوم به الذكر، أو الأنثى على السواء وأن التخصص حسب النوع ليس له أهمية هنا.

جدول (1)

توزيع المشتغلين حسب النوع

النوع	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
ذكر	69	49.64 %
أنثى	70	50.36 %
المجموع	139	100.00 %

(ب) أعمار المشتغلين :

يبين تحليل البيانات الخاصة بأعمار المشتغلين بالسحر الذين شملهم المسح عن أن الغالبية العظمى منهم تقع أعمارهم بين 40 وأكثر من 50 سنة بنسبة 78.45%، ويلى ذلك مجموعة من المشتغلين التى تتراوح أعمارهم بين 30 ، 40 سنة وتمثل 17.96 % من المجموع الكلى للمشتغلين. أما بالنسبة لفئات السن الصغيرة من 20 إلى 30 سنة فإن عدد المشتغلين يتناقص بشكل واضح فيصل إلى 3.59 % وذلك كما يتبين من الجدول رقم (2).

ويمكن أن نعزو وقوع أغلبية المشتغلين فى الفئات العمرية الكبيرة إلى أن هذه المهنة تتطلب التمرس والخبرة. كما أن كبر السن يضيف على المشتغل بها الهيبة، ويغرى على الاعتقاد فيما يقول وتصديقه، وبخاصة أن من قيم مجتمعنا المصرى احترام كبار السن واعتبارهم "بركة" وتقدير ما يقولون وما يفعلون.

وتتفق هذه النتيجة ما توصل إليه محمد الجوهري فى تقارير دراساته الميدانية فى محافظات الشرقية، والدقهلية، والقاهرة، وأسيوط، لبعض المشتغلين بالسحر فى الريف المصرى إذ يذكر ما يلى "جدير بالملاحظة أن كافة السحرة الذين قابلناهم لم يبدأوا هذه المهنة فى سن مبكرة فالقاعدة الغالبة أن يبدأ الساحر الكتابة فى مطلع الأربعين من العمر لأنه قبل هذه السن لا يكون قد نضج بعد فى نظر أهل وبنى قريته والاستثناء، الوحيد من قاعدة العمر أن "تلبس" الأرواح شخصاً معيناً وتدفعه دفعاً إلى هذه المهنة، وفى هذه الحالة لا يلعب عامل السن أى دور فى الموضوع".⁽¹⁾

(1) محمد الجوهري، علم الفولكلور، الجزء الثانى، المصدر السابق ص 356.

جدول (2)

توزيع المشتغلين حسب فئات السن

فئات السن	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
أقل من 20	0	0
من 20 - 30	5	3.59
من 30 - 40	25	17.96
من 40 - 50	54	38.87
أكثر من 50	55	39.58
المجموع	139	% 100.00

(ج) محل ميلاد المشتغلين:

من تحليل البيانات الخاصة بمحل ميلاد المشتغلين بالسحر فى القاهرة تبين أن ثلث هؤلاء، المشتغلين تقريباً من القاهرة أصلاً بنسبة 28.00 % منهم، والباقي موزعين على المحافظات القريبة من القاهرة بنسب أقل كثيراً فمن القليوبية نسبة 12.22 % من مجموعهم، ومن الشرقية 7.91 % ومن الدقهلية 5.04 % ومن المنوفية 7.19 % ومن الغربية 5.04 %.

أما نسبة القادمين من الإسكندرية قليلة جداً وتمثل فقط 2.15 % من مجموعهم وذلك لأن الإسكندرية مدينة عاصمية أيضاً ويمكن أن يجد المشتغلون فيها العمل والمجال لممارسة مهنتهم. (ويمكن أن يطبق على الإسكندرية بحث خاص بها).

ويلاحظ أن هناك نسبة وإن كانت ضئيلة من المشتغلين فى مدينة القاهرة قد قدموا من أربعة دول ذات حضارات قديمة عريقة عرفت السحر والاشتغال به منذ القدم، وهى السودان، واليونان، وفلسطين، وتونس، وهذه النسبة من المشتغلين على قلتها، فإنها تلقى إقبالا شديداً، ذلك أن العنصر السحري سواء كان الكلمة المنطوقة أو المكتوبة أو الساحر نفسه. يكون أكثر فاعلية كلما كان غريباً ومنتمياً إلى خارج المجتمع، فيعتقد فى المشرق العربى أن الساحر البارع القادر يأتى عادة من المغرب، أو من السودان، ويعتقد فى المغرب العربى أن الساحر المقدر يأتى عادة من بلاد الشرق العربى وهكذا، ويقول المثل المصرى فى ذلك: "الشيخ البعيد سره باع"

جدول (3)

توزيع المشتغلين حسب محل الميلاد

النسبة المئوية	عدد المشتغلين	محل الميلاد
28.00	39	القاهرة
2.15	3	الإسكندرية
12.23	17	القليوبية
7.91	11	الشرقية
5.04	7	الدقهلية
0	0	دمياط
0.72	1	بورسعيد
0	0	الإسماعيلية
1.44	2	السويس
7.19	10	المنوفية
5.04	7	الغربية
0.72	1	كفر الشيخ
0	0	البحيرة
2.15	3	أسوان
0	0	قنا
1.44	2	سوهاج
3.59	5	أسيوط
2.88	4	المنيا
1.44	2	بنى سويف
3.59	5	الفيوم
2.15	3	الجيزة
0	0	البحر الأحمر
0.72	1	مرسى مطروح
0.72	1	سيناء
0.72	1	السودان
2.88	4	اليونان
0.72	1	فلسطين
0.72	1	تونس
5.76	8	لم يذكر
% 100.00	139	المجموع

(د) المشتغلون بالسحر حسب الأقسام الإدارية فى محافظة القاهرة:

يتبين من تحليل البيانات الخاصة بتوزيع المشتغلين بالسحر حسب أقسام القاهرة الإدارية أن أكبر عدد من المشتغلين بالسحر فى مدينة القاهرة يتركزون فى قسم الشرايية (12.95) وليس هذا بمستغرب، لأن الشرايية ثانية أقسام القاهرة الإدارية تعدادا للسكان بعد المطرية⁽¹⁾. فضلاً عن أنها تضم أفراداً من مستويات اجتماعية اقتصادية مختلفة، فمنهم الموظف ورجل الأعمال، والعامل، والطالب، والتاجر، والحرفى، كل هؤلاء بهمومهم، وأمالهم، وطموحاتهم المتنوعة.

أما السيدة زينب، فهى ثانية أقسام القاهرة الإدارية حيث تركز المشتغلين بالسحر فيها (10.79)، وهى منطقة بؤرية شعبية تتميز بوجود ضريح "السيدة زينب"، بها، والذى يقصده الألوف للتبرك، والشكوى، والاعتقاد بسرعة قضاء الحاجات.

وتعد المطرية، ثالثة أقسام القاهرة الإدارية من حيث تركز المشتغلين بالسحر فيها (9.35) وهى منطقة تقع على أطراف القاهرة، وتعد منطقة ريفى، حضرية، والمشتغلون هناك آمنون بعيداً عن الأنظار، والذهاب إليهم رحلة لكن المترددون يتجشمون كل مشقة فى سبيل زيارتهم، ولعل المثل القائل "الشيخ البعيد سره باتع" ينطبق على ازدهار المشتغلين ورواجهم فى هذه المنطقة.

ويحتل كل من قسم شبرا، وقسم حدائق القبة، المرتبة الرابعة بالتساوى من حيث تركز المشتغلين بالسحر فى كل منهما (7.19)، وشبرا تكاد تكون مدينة مستقلة مكتفية بذاتها، وبها مستويات اجتماعية مختلفة من الموظفين والطلبة، والتجار، ورجال الأعمال، كما أن بها عديداً من الكنائس الشهيرة أهمها كنيسة

(1) الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء، النتائج الأولية للتعداد العام للسكان، ص 39.

"سانت تريزا" التى يقصدها المسيحيون والمسلمون على السواء للتبرك، وطلب الحاجات⁽¹⁾.

أما قسم حدائق القبة فيكاد يكون منطقة مستقلة شمال شرق القاهرة يتميز أيضاً بتركيز كثير من الطلبة فيه، وبخاص المنتمين منهم لجامعة عين شمس، فضلاً عن أن أغلب سكان هذا القسم ينتمون إلى الطبقة الوسطى التى تتميز بكثرة الضغوط عليها. فأفراد هذه الطبقة يتطلعون دائماً إلى أعلى، ويخافون الهبوط إلى ما دونهم مستوى. وتميل الباحثة إلى الاعتقاد بأن لوجود جامعة عين شمس وكرلياتها المختلفة علاقة بارتفاع نسبة المشتغلين فى هذا القسم فضلاً عن الأسباب المذكورة آنفاً، ذلك أن الطلبة كثيراً ما يقلقون على نجاحهم ونتائجهم التى تربط أيضاً باشتغالهم فى الوظائف المختلفة، ثم بزواجهم، وكل ذلك يجعل بعضهم يتردد على المشتغلين بالسحر.

ويتقاسم قسم مصر القديمة، وقسم مصر الجديدة المرتبة الخامسة بالتساوى من حيث تركيز المشتغلين بالسحر فيهما، وتبلغ نسبتهم فى كل منهما (6.47)، ويعد قسم مصر القديمة منطقة شعبية بؤرية على أطراف القاهرة، ذات شهرة فى السحر خاصة، أما قسم مصر الجديدة فيعد مدينة مستقلة بذاتها، تمتاز بوجاهة سكانها، وهو أقدم محلة سكنية فى هذه المنطقة.

ويحتل قسم الجمالية المركز السادس من حيث تركيز المشتغلين بالسحر فيه إذ تبلغ نسبتهم (5.76)، ويمثل هذا القسم منطقة بؤرية شعبية، كما أن وجود ضريح "سيدنا الحسين" به يجعله غاصاً بالوافدين على هذا الضريح للتبرك، وطلب قضاء الحاجات.

(1) ليس بالمستغرب فى هذا الصدد أن يتبرك المسلمون بالقدسيين المسيحيين فالإسلام يعترف بالديانتين السابقتين عليه أى باليهودية والنصرانية. وذلك وفقاً للآية ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَمَلٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ سورة البقرة آية 285.

ويلاحظ أنه يمكن تقسيم أقسام القاهرة الإدارية جغرافياً من حيث تركز المشتغلين بالسحر فيها إلى أربع مناطق، أما المنطقة الأولى (جغرافياً) فهي منطقة شمال القاهرة وتضم أقسام الساحل. وروض الفرج، وشبرا والشرابية، ويتركز المشتغلون بالسحر فى منطقة شمال القاهرة نسبة كبيرة تبلغ (24.46) من مجموعهم، وهى بذلك تحتل المرتبة الثانية من حيث تركز المشتغلين بالسحر، بعد منطقة شمال شرق القاهرة، كما سيتضح لنا، ومرد ذلك إلى أن هذه المنطقة تضم تنوعات من الطبقات المختلفة بآمالها وطموحاتها، ومتاعبها، ومخاوفها، كما أنها تضم نسبة كبيرة من المسلمين والنصارى والعديد من الجوامع والكنائس التى أهمها كنيسة سانت تريزا والتى يقصدها المسلمون أيضاً للتبرك، وطلب قضاء الحاجات، ولهذه المنطقة المنطقة شهرة قديمة، وتقليدية بوجود بعض المشتغلين بالسحر فيها، كما أن هذه المنطقة تعد مركز اتصال ريفى حضرى ويكثر من سكانها من نطلق عليهم "الريفي حضريين".

أما المنطقة الثانية جغرافياً فى تقسيم القاهرة الإدارى (بحسب تركز المشتغلين بالسحر فيها) فهي منطقة شمال شرق القاهرة وتضم أقسام النزهة، والمطرية، والزيتون، ومصر الجديدة، وحدائق القبة، ومدينة نصر، والوايلي، وتبلغ نسبة المشتغلين فى هذه المنطقة أعلى نسبة لها إذ تبلغ 31.65 من مجموع المشتغلين بالسحر فى القاهرة، ويمكن أن نعزو ذلك إلى أسباب عدة أهمها أن المشتغل بالسحر فى هذه الأماكن يكتسب قوة وعلو مكانة بتواجده المكانى فى هذه المنطقة، كما أن هذه المنطقة تعد منطقة طرفية، وهناك من يحب أن يذهب إلى مشتغل فى منطقة بعيدة حتى لا يعرف أحد أنه يتردد على المشتغلين بالسحر، والمواصلات إلى هذه المنطقة سهلة عن غيرها من المناطق هذا فضلاً عن أنها تضم عديداً من الطبقات المتنوعة بكل آمالها ومخاوفها، وطموحاتها.

وتعد منطقة وسط القاهرة، التى تضم الجمالية، والدرب الأحمر، وباب الشعرية، والظاهر، والأزبكية، والموسكى، وقصر النيل، وعابدين، وبولاق رابعة

المناطق الإدارية من حيث تركيز المشتغلين بالسحر فيها إذ تبلغ نسبتهم في هذه المنطقة 30.15 من مجموعهم في القاهرة، وتعد هذه نسبة كبيرة تجاوز الخمس، ويتركز المشتغلون بالسحر في هذه المنطقة لعدة أسباب منها الطبقي، والاقتصادي والديني والعمراني، فالطبقات في هذه المنطقة أغلبها طبقات شعبية تمتنع التجارة كما أنها تتميز بمكانتها الدينية الكبرى إذ يجتمع فيها معلمين دينيين كبيرين هما الأزهر الشريف، وضريح "سيدنا الحسين"، كما أن هذه المنطقة تعد من المناطق القديمة عمرانيًا، وذات الشهرة من حيث وجود بعض المشتغلين بها من زمن قديم يجدون في زوار الحسين وغيره من الأضرحة، صيدًا سهلاً مهيبًا من الناحيتين النفسية والفكرية.

أما رابع المناطق الإدارية فهي منطقة جنوب القاهرة، وتضم أقسام الخليفة والسيدة زينب، ومصر القديمة، والمعادي، وحلوان، والتبين، وتمثل هذه المنطقة ثلثة مناطق القاهرة الإدارية من حيث تركيز المشتغلين بالسحر فيها إذ تبلغ نسبتهم 23.74 من جملة المشتغلين في القاهرة، وهي نسبة كبيرة تقارب الربع، وترجع أسباب تركيز المشتغلين في هذه المنطقة إلى أن هذه المنطقة تتميز بأن سكانها خليط من الطبقات الشعبية، والطبقات المتوسطة، كما أن هناك أسبابًا دينية تتعلق بوجود أضرحة للمسلمين أهمها ضريح السيدة زينب، وكنائس وأضرحة للنصارى أهمها كنيسة ماري جرجس، ولمصر القديمة بالذات شهرة قديمة في السحر.

جدول (4)
توزيع المشتغلين بحسب الأقسام الإدارية في محافظة القاهرة

النسبة المئوية	عدد أفراد العينة	القسم الإدارى
0.72	1	الأزبكية
0.72	1	التبين
5.76	8	الجمالية
2.88	4	الخليفة
4.32	6	الدرب الأحمر
2.16	3	الزيتون
2.88	4	الساحل
10.79	15	السيدة زينب
1.44	2	الظاهر
9.35	13	المطرية
0.72	1	المعادى
0.72	1	الموسكى
0.72	1	النزهة
4.32	6	الوايلي
3.59	5	باب الشعرية
1.44	2	بولاق
7.19	10	حدائق القبة ⁽¹⁾
2.16	3	حلوان
1.44	2	روض الفرج
7.19	10	شبرا
0.72	1	عابدين
1.44	2	قصر النيل
1.44	2	مدينة نصر ⁽²⁾
6.47	9	مصر الجديدة
6.47	9	مصر القديمة
12.95	18	الشرابية ⁽³⁾
% 100.00	139	المجموع

- (1) قسم حدائق القبة أخذ أجزاء من قسم الوائلى (قرار وزارى لسنة 1971).
- (2) قسم مدينة نصر أخذ من قسم الوائلى (قرار وزارى لسنة 1972).
- (3) قسم الشرايية أخذ من قسم شبرا (قرار وزارى لسنة 1925).
- انظر الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء، النتائج الأولية للتعداد العام لسكان والإسكان ليلة 23/22 نوفمبر 1976.

(هـ) المشتغلون حسب الديانة:

يلاحظ من تحليل البيانات فى الجدول رقم (5) أن الغالبية العظمى من المشتغلين بالسحر من المسلمين وذلك نسبة 94.24 % وأن المشتغلين من المسيحيين لا تتجاوز نسبتهم 5.76 % وهذه النسب تتفق مع نتائج التعداد للسكان 1976 إذ وصلت جملة عدد المسلمين فى الجمهورية 34334328، بينما جملة المسيحيين 2285620، أى نسبة المسلمين فى الجمهورية وصلت إلى 93.74، بينما بلغت نسبة المسيحيين فى الجمهورية 6.24 من جملة عدد السكان البالغ عددهم 36626204 نسمة فى سائر أنحاء الجمهورية⁽¹⁾.

جدول (5)

توزيع المشتغلين حسب الديانة

الديانة	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
مسلم	131	94.24
مسيحى	8	5.76
المجموع	139	% 100.00

(1) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء، التعداد العام للسكان والإسكان 1976، النتائج التفصيلية، مرجع رقم 93، 15111، 1978، ص 84.

(و) المشتغلون حسب المستوى التعليمي

تكشف بيانات المسح عن أن حوالي ثلث المشتغلين بالسحر من الأميين وذلك بنسبة 27.34 %، وأن حوالي نسبة شبه مماثلة تصل إلى 28.06 % منهم يقرؤون ويكتبون كما بين التحليل الإحصائي للبيانات أن نسبة منهم تصل إلى 13.67 % يقرؤون فقط. وأن هناك نسبة مماثلة تمامًا نالت تعليمًا ابتدائيًا بنسبة 13.67 % أيضًا. وأن نسبة ضئيلة قد نالت تعليمًا إعداديًا، وتبلغ 6.47 % ونسبة أقل تصل إلى 4.32 % نالت تعليمًا ثانويًا.

ومما يلفت النظر أن هناك نسبة من المشتغلين وإن كانت ضئيلة من الجامعيين وتبلغ 6.47 %، وذلك كما يتضح من الجدول رقم (6).

وجدير بالذكر أنه لا بد لنا من الربط بين تخصص المشتغل ومستوى تعليمه، فمن يقرأ الكوشينة أو الفنجان لا يستلزم أن يكون ملماً بالقراءة، والكتابة، وأغلبية الأميين من المشتغلين بالسحر يعملون بهذه التخصصات أما كتابة الأحجية والأعمال فلا بد أن يكون المشتغل بها ملماً بالقراءة والكتابة، ومطلعاً على بعض كتب السحر الرسمي⁽¹⁾.

(1) انظر ما قبل الفصل الثالث.

جدول (6)

توزيع المشتغلين حسب مستوى التعليم

مستوى التعليم	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
أمى	38	27.34
يقرأ فقط	19	13.67
يقرأ ويكتب	39	28.06
ابتدائي	19	13.67
إعدادى	9	6.47
ثانوى	6	4.32
جامعى	9	6.47
فوق جامعى	0	0
المجموع	139	% 100.00

(ز) المشتغلون حسب الحالة الاجتماعية:

ظهر من البحث الميدانى أن الغالبية العظمى من المشتغلين بالسحر من المتزوجين بنسبة كبيرة تصل إلى 67.63 % ، وأن هناك عدداً أقل بكثير من المطلقين تصل نسبتهم إلى 19.43 % كما كانت نسبة العزب والأرامل من المشتغلين متماثلة تماماً إذا بلغت فى الاثنين 6.47 % كما يبين الجدول رقم (7).

ويمكن أن نفسر هذه المعطيات بأن المترددين يقبلن أكثر على المتزوجين من المشتغلين وهذا يرتبط أيضاً بالسن، والاحترام الأكثر، والثقة، كما أن الإناث من المترددات يفضلن أن تذهبن إلى مشغل متزوج عن أن يذهبن إلى الأعزب، بل إنهن يفضلن أن يذهبن إلى مشغلة متزوجة أكثر من تفضيلهن الذهاب إلى امرأة لم تتزوج أو إلى مطلقة أو أرملة.

جدول (7)

توزيع المشتغلين حسب الحالة الاجتماعية

الحالة الاجتماعية	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
اعزب	9	6.47
متزوج	94	67.63
مطلق	7	19.43
أرمل	29	6.47
المجموع	139	% 100.00

(ج) المشتغلون حسب التخصص

يكشف تحليل البيانات الخاصة بتخصص المشتغلين بالسحر الذين شملهم المسح عن أن قرابة نصفهم بنسبة 43.16 % يشغلون بأكثر من تخصص وأن حوالي ربع المشتغلين بنسبة 25.18 % متخصصون في قراءة الفنجان كما أن هناك نسبة أقل تصل إلى 20.86 % متخصصون في "العمل"، وفي داخلها نسبة أقل تبلغ 9.35 % متخصصة "في العمل عن طريق الأثر" ثم توزع باقي المشتغلين على التخصصات المختلفة مثل الكف، وقراءة الكوتشينة، والمندل.

ويمكن أن نفسر المعطيات السابقة المبينة في الجدول رقم (8)، بأن السبب في أن معظم المشتغلين يعملون بقراءة الفنجان إلى أن عنصر الفكاهة وإضاعة الوقت والتسلية يدخل فيه، لذلك فإن الكثير من المتقنين يلجأون إليه دون الإحساس بأنهم يلجأون إلى السحر، أو العرافة وكشف الغيب، كما أن قراءة الفنجان تتناسب مع طبيعة النفس البشرية وأن الإنسان يريد دائماً أن يعرف الكثير عن نفسه، كما أن قراءة الفنجان ظاهرة منتشرة في الحضر أكثر منها في الريف.

أما وجود نسبة كبيرة من المشتغلين الذين يعملون في أكثر من تخصص فيبدل على أن هذه التخصصات لا تحتاج إلى خبرة دقيقة ودراية إنمهي تنتوع

حسب ظروف الحالة.

ويمكن أيضاً أن نربط هذه التخصصات بالعرض والطلب، فالتخصصات التي عليها طلب كبير كالفنجان، "والعمل" نجد أن المشتغلين بها أكثر من غيرهم في التخصصات التي ليس عليها طلب كبير.

جدول (8)

توزيع المشتغلين حسب التخصص

النسبة المئوية	عدد المشتغلين	التخصص
25.18	35	قراءة الفنجان
2.88	4	قراءة الكف
11.51	16	عمل
9.35	13	عمل (بالأثر)
2.88	4	كوتشينة
5.04	7	مندل
43.16	60	أكثر من تخصص
% 100.00	139	المجموع

(ط) المشتغلون حسب مصادر الدخل الشهري:

تدل بيانات الدخل الشهري لمشتغلين بالسحر أن قرابة النصف تقريباً بنسبة 43.17 % منهم يعتمدون على دخل خارجي بجانب دخلهم من المهنة وهذا قد يكون معاشاً أو دخلاً من أملاك أو مساعدة من أقارب.

كما تفصح البيانات عن أن نسبة تصل إلى حوالي الربع يعتمدون على أجرهم من الاشتغال بالسحر، وهؤلاء تصل نسبتهم إلى 21.58 % بينما يعتمد 12.23 % من مجموعهم على مرتبهم إلى جانب دخلهم من المهنة، وذلك كما يتبين من الجدول رقم (9).

وقد تبين من سؤال المشتغلين أن ما يأخذونه من أجر من المترددين يتراوح بين 25 قرشاً إلى خمسة جنيهات، وأن أقل أجر أخذه هو خمسة قروش وترتبط النتائج هنا مع نتائج جدول رقم (13) الذى بين التفاوت بين ما يأخذه بعض المشتغلين من الأغنياء وما يأخذونه من الفقراء.

جدول (9)

توزيع المشتغلين حسب مصادر الدخل

الدخل	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
مرتب	17	12.23
أجر	30	21.58
دخل خارجى	60	43.17
غير مبين	32	23.02
المجموع	139	% 100.00

(ى) المشتغلون حسب درجة الشهرة:

عند تصنيف درجة شهرة المشتغلين بالسحر، إلى مستويات بحسب رأى الناس بعامة، والمترددين بخاصة عنهم، تبين أن قرابة نصفهم من المشهورين بنسبة 43.88 % ، وأن نسبة أقل منهم تصل إلى 30.94 % من نصف المشهورين، أما المشهورين جداً منهم فكانت نسبتهم لا تتجاوز 17.27 % ، والباقي نسبة ضئيلة من المغمورين الذين لم يصبهم حظ من الشهرة وتبلغ هذه النسبة 7.91 % كما تبين من الجدول رقم (10).

ويلاحظ أن المشهورين جداً من المشتغلين بالسحر يكون أجرهم مرتفعاً ولذلك فإن عدد المترددى الذين يذهبون إليهم يكون أقل بكثير، من العدد الذى يذهب إلى المشهورين أو نصف المشهورين أو المغمورين. وجدير بالذكر أن درجة الشهرة هنا نسبية وأنا توصلنا إليها من وجهة نظر المترددى من ناحية ، ومن وجهة نظر الناس بعامة من جهة أخرى.

جدول (10)

توزيع المشتغلين حسب درجة الشهرة

درجة الشهرة	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
مشهور جدًا	24	17.27
مشهور	61	43.88
نصف مشهور	43	30.94
مغمور	11	7.91
المجموع	139	% 100.00

(ك) المشتغلون بحسب الكتب المستخدمة فى المهنة:

تدل البيانات على أن غالبية المشتغلين بالسحر يستخدمون القرآن فى مهنتهم، وذلك بنسبة 50.36 %، بينما يستخدم الإنجيل نسبة ضئيلة لا تتجاوز 4.32 % ، أما التوراة فلا يستخدمها أحد.

ويستخدم كتب السحر عدد لا بأس به من المشتغلين تصل نسبتهم إلى 34.46 % ، بينما توجد نسبة أخرى لا تستخدم كتبًا على الإطلاق فى المهنة ونسبتهم 20.86 % وذلك كما يتضح من الجدول رقم (11).

ويلاحظ أن هذه النتائج تتفق مع نتائج الجدول رقم (5) الخاص بتوزيع المشتغلين حسب الديانة ، فأغلبية المشتغلين من المسلمين ولذلك فإنهم يستخدمون القرآن.

ونلاحظ أن كثيرًا من المشتغلين بالسحر فى مدينة القاهرة يلجأون الى خط السحر بالدين ليضمنوا سهولة التأثير على الناس، ولكي ينجحوا فى ترويج بضاعتهم، وكسب المال الوفير. فالدين عند المصريين وبخاصة الريفيين ومن هم من أصل ريفي من الأمور الجوهرية، والدوافع الأساسية ذات القيمة العالية فى أعمالهم وحياتهم.

وقد استغل المشتغلون بالسحر هذه الحقيقة فدرجوا على تلوين أعمالهم السحرية باللون الدينى، لذلك لا نجد حجاباً، أو عملاً، أو سحراً، يخلو من الآيات القرآنية. كما أن استخدام الكتب فى المهنة سواء أكانت كتباً مقدسة أم كتباً متخصصة فى السحر، يستلزم إلمام المتخصص بالقراءة والكتابة.

وتتنوع الكتب المستخدمة فى المهنة (غير الكتب المقدسة) بين كتب طالع، وكتب حساب النجوم، وكتب مشهورة مثل كتاب شمس المعارف الكبرى، وكتاب تذكرة داود، وكتاب الديربى، وكلها تدرج فى عداد كتب السحر الرسمى.⁽¹⁾

جدول (11)

توزيع المشتغلين حسب التخصص

النسبة المئوية	عدد المشتغلين	الكتب المستخدمة فى المهنة
50.36	70	قرآن
4.32	6	إنجيل
0	0	توراة
24.46	34	كتب سحر
20.86	29	لا يستخدم الكتب
% 100.00	139	المجموع

(ل) المشتغلون حسب الوسائل المستخدمة فى المهنة:

تكشف البيانات الخاصة بالوسائل التى يستخدمها المشتغلون بالسحر عن أن أكثر من نصفهم بمنسبة 56.83 % يستخدمون أشياء متنوعة كالشعر والعظم، والودع، والفخار (للكره) والبخور، والدم، وأثر الإنسان (جزء من ثيابه، أو خصلات من شعره، أو أظافره، أو دمه)، والأحجية.

(1) انظر محمد الجوهري، السحر الرسمى، والسحر الشعبي، المصدر السابق، ص 7 - 9.

وهناك نسبة من المشتغلين تصل إلى 18.71 % تستخدم الطيور كالحمام وأبى قردان والغراب (للكره)، ومنهم نسبة أخرى أقل، وتبلغ 10.1 % تستخدم الحيوانات. كما أن هناك نسبة من المشتغلين لا تستخدم أيا من هذه الوسائل وتبلغ 14.39 % وذلك كما يتبين في الجدول رقم (12).

ويلاحظ أن بعض المشتغلين يستعيضون عن طلب النقود، بطلب أشياء أخرى تؤكل كالحوانات والطيور، وذلك بحجة استخدامها في عملهم.

جدول (12)

توزيع المشتغلين حسب الوسائل المستخدمة في المهنة

الوسائل المستخدمة في المهنة	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
حيوانات	14	10.7
طيور	26	18.71
أشياء أخرى متنوعة	79	56.20
لا يستخدم	20	14.39
الجموع	139	100.00 %

(م) المشتغلون بحسب تنوع مطالبهم من الفقراء والأغنياء:

تفصح البيانات الخاصة بالمشتغلين بالسحر عن أن نسبة كبيرة منهم تجاوزت النصف بقليل وتبلغ 53.96 % تأخذ أجراً ثابتاً محدداً من الفقراء، والأغنياء على حد سواء، (بل إن بعضهم يشبه نفسه بالطبيب في هذا الصدد).

كما نلاحظ أن هناك نسبة تكاد تبلغ النصف، لا تأخذ الأجر نفسه من الفقير والغنى، وتصل هذه النسبة إلى 46.04 % كما يتضح من الجدول رقم (13). فهذه النسبة من المشتغلين تفرق بين ما تطلبه من الفقراء وما تطلبه من الأغنياء والفرق هنا قد يصل إلى العشرات بل المئات وأحياناً الألوف من الجنيهات.

وجدير بالذكر أن هؤلاء يعتقدون أنهم أكثر إنسانية حيث أنهم يطلبون من كل على قدر إمكانياته، وهم لا يرهقون الفقراء بمطالبهم.

جدول (13)

توزيع المشتغلين حسب تنوع مطالبهم من الفقراء والأغنياء

تنوع المطالب من الفقراء والأغنياء	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
كلهم زى بعض	75	53.96
الغنى حاجة والفقير حاجة	64	46.04
المجموع	139	% 100.00

(ن) مدى تضرغ المشتغلين لمزاولة المهنة:

تكشف البيانات عن أن نسبة كبيرة من المشتغلين بالسحر تتجاوز نصف عددهم وتبلغ 56.83 % من مجموعهم، يتفرغون للعمل بالسحر وأن نسبة أخرى تقارب النصف، وتصل إلى 43.17 % يجمعون بين اشتغالهم بالسحر واشتغالهم بمهن أخرى وذلك كما يتضح من الجدول رقم (14).

وبسؤال المشتغلين فى مهن أخرى إلى جانب السحر ، تبين أن بينهم ستة من رجال الدين، واثنين من أئمة المساجد، وأربعة من المقرئين وثلاثة من الوعاظ، كما أن من بينهم مدرس بمدرسة ابتدائية أزهرية، وعالم فلك، وخريج جامعة اتجه إلى التصوف، وهذه النتيجة تتفق مع ما ذهب إليه باحثون آخرون من أن رجال الدين، والأولياء، والصوفية، هم فى بعض الأحيان من أهم طوائف المشتغلين بالسحر. (1)

(1) انظر: محمد الجوهري، علم الفولكلور، الجزء الثانى، ص 215.

جدول (14)

توزيع المشتغلين حسب تنوع مطالبهم من الفقراء والأغنياء

مدى تنوع المشتغل لمزاولة مهنة	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
شغلته الوحيدة	79	56.83
له شغله أخرى	60	43.17
المجموع	139	% 100.00

(س) المشتغلون حسب الوراثة والهواية:

أوضحت البيانات الخاصة بالمشتغلين بالسحر عن أن عدداً كبيراً منهم يجاوز النصف بنسبة 46.76 % قد اتجهوا إليها عن طريق الوراثة وذلك كما يتبين من الجدول رقم (15).

ويمكن أن نفسر اتجاه غالبية المشتغلين بالسحر من غير الوارثين أصلاً لهذه المهنة، والقادمين إليها من مهن أخرى، إلى رغبتهم في الحصول على المال، فهم يستغلون مواهبهم ومهارتهم في الحصول على المال عن طريق إغراء الأفراد بقوة أعمالهم وفاعليتها، ويشجعهم على ذلك أن هذه الأعمال تحقق دخلاً لا بأس به سواء كان دخلاً مادياً أو عينيّاً.

كما يعد السعى وراء المكانة عاملاً من العوامل التي تدفع بعض الأفراد للاشتغال بالسحر، فبعض الناس يخشون تلك الفئة ليس عن حب أو احترام بقدر ما هو انتقاء لأذاهم.

جدول (15)

توزيع المشتغلين حسب الوراثة أو الهوية

الوراثة والهوية	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
عن وراثة	65	% 46.76
عن هوية	74	% 53.24
المجموع	139	% 100.00

أما السبب في اتجاه الكثيرين إلى الاشتغال بالسحر، بتأثير الوراثة، فيكون في الغالب لأن الناس لديهم اعتقاد بأن هذه المقدرة يمكن توريثها من الأب أى الابن، كذلك لأن الابن تكون له دراية بالأعمال السحرية بحكم أن والده كان ساحراً، ولأن كثيراً من الأبناء يريدون أن يكونوا مثل والديهم ويقلدونهم هذا إلى جانب إغراء العاملين للذين سبق ذكرهما وهما الرغبة في الحصول على المال، والسعى وراء المكانة.

ويمكن القول أن مسألة الهوية والوراثة في الاشتغال بالسحر تختلف باختلاف التخصص فالهوية تكون في قراءة الفنجان على سبيل المثال، أما الوراثة فتكون في التخصصات المحتاجة إلى نوعية العمل وإلى كتب السحر الرسمى مثل كتابة الأحجية مثلاً.

(ع) مدى اقتناع المشتغلين بالسحر بفائدة مهنتهم:

تدل البيانات الخاصة بالمشتغلين على أن هناك إجماعاً تاماً بنسبة 100 % منهم على اقتناعهم بأن مهنتهم مفيدة، وبأنهم يقدمون خدمات للناس، وذلك كما يبين الجدول رقم (16).

ويمكن أن تعد هذه النتيجة نوعاً من الدعاية ينشرها المشتغلون عن أنفسهم كما أنها تدل على وجود نسبة كبيرة من المشتغلين مقتنعين تماماً بفائدة مهنتهم

للناس، وأنه إذا وجدت نسبة منهم غير مقتنعة فإنها لا تجاهر بهذا وتعتبره نوع من الدعاية ضد نفسها، ويعد جهرها بفائدة مهنتها، نوع من الخوف الادعائي ضد القشل.

جدول (16)

توزيع المشتغلين بالسحر بفائدة مهنتهم

مدى اقتناع المشتغل بفائدة مهنته	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
نعم	139	% 100
لا	0	% 0
المجموع	139	% 100.00

(ف) مدى إيمان المشتغلين بالسحر بقدرة الله وتدخلها في مهنتهم: تكشف البيانات الخاصة بالمشتغلين عن أن الغالبية العظمى منهم تؤمن بأنها تعمل بإذن الله وذلك بنسبة 92.81 %، بينما هناك نسبة ضئيلة جداً من المشتغلين تؤمن بأنها تستطيع أن تفعل شيئاً وحدها، وتبلغ تلك النسبة 7.19 % وذلك كما يتبين من الجدول رقم (17).

جدول (17)

مدى إيمان المشتغلين بقدرة الله وتدخلها في مهنتهم

مدى إيمان المشتغل	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
يقدر يعمل حاجة وحده	10	% 7.19
كله بإذن الله	129	% 92.81
المجموع	139	% 100.00

وتدلنا هذه النتيجة على أن معظم المشتغلين بالسحر يؤمنون بالفعل، كما دلت إجاباتهم، أنهم يعملون بوحى من الله، وأن الله قد أعطاهم هذه الموهبة وميزهم بها عن غيرهم.

الفصل الثامن

الترددون على المشتغلين بالسحر

تمهيد

يحتوى هذا الفصل على تحليل للشق الثانى من البحث وهم المترددون على المشتغلين بالسحر، ويشمل هذا الفصل بيانات تتعلق بنوع المترددين، وأعمارهم، ومحل ميلادهم، وتوزيعهم بحسب الأقسام الإدارية التى ينتمون إليها.

ويتناول هذا الفصل أيضاً بيانات عن ديانة المترددين، وتوزيعهم حسب المستوى التعليمى، وحسب الحالة الاجتماعية، والمهنة.

كما يشتمل هذا الفصل على بيانات عن المصادر التى عرف عن طريقها المترددين المشتغلين، وعن عدد مرات التردد على المشتغلين بالسحر، وعن مدى شعور المتردد بالفائدة من ترده، وعما يدفعه المترددون لمشتغلين من مقابل مادي أو عيني أو خلافه، وعن توزيع أفراد العينة من المترددين بحسب الدافع إلى التردد، وأخيراً عن رأى المترددين فى مدى اعتراف الدولة والدين بالسحر.

أولاً: بيانات أولية:

(أ) تقسيم المترددين حسب النوع:

يكشف تحليل البيانات الخاصة بنوع المترددين عن أن حوالى ثلثيهم من الإناث وذلك بنسبة 61.65 %، بينما يبلغ الذكور منهم نسبة تصل إلى 38.35 %، وذلك كما يتضح من الجدول رقم (1).

وجدير بالذكر أن السبب فى أن الإناث أكثر تردداً على المشتغلين بالسحر هو أن النساء أكثر استعداداً للاستهواء، كما أنهن أكثر اعتقاداً فى هؤلاء المشتغلين، كما أن عليهن ضغوطاً وأعباء كثيرة لذلك فهن أكثر مطالباً من الذكور، فالمرأة تتردد على المشتغلين بالسحر لأكثر من سبب فهى إما باحثة عن الخلف بعامة، أو عن علاج للعقم، أو عن خلف الصبيان بخاصة، وإما هدها المرض

بسبب كثرة الحمل والولادة ولذلك فهي تبحث عن علاج لأمراضها وبخاصة النزيف، وإما خائفة على زوجها من امرأة أخرى ، وإما ناشدة حب الزوج وحنوه، وإما ساعية لنجاح أبنائها، أو لتزويجهم، وإما طالبة الخلاص من "الضرة" أو ذاهبة للكشف عن ابن مفقود، أو فك عمل.

ويلاحظ أن المرأة المصرية بعامة، وغير المتعلمة على وجه الخصوص لا تحس أماناً في زواجها ولا في حياتها بعامة⁽¹⁾ وأن هذا ما يلجئها إلى المشتغلين بالسحر.

أما الذكور فأغلبهم يترددون لفك الربط، أو كشف الغيب، أو كشف المسروق ومعرفة السارق، أو لرواج التجارة، أو للشفاء من المرض.

جدول (1)

توزيع المترددين حسب النوع

النوع	عدد المترددين	النسبة المئوية
ذكر	270	38.35 %
أنثى	434	61.65 %
المجموع	704	100.00 %

(ب) توزيع المترددين حسب فئات السن :

تنتمى الغالبية الساحقة من المترددين على المشتغلين بالسحر إلى فئات ما بين 20 إلى أقل من 50 (وذلك بضم الفئات من 20 - 30 ، 30 - 40 ، 40 - 50) وتبلغ نسبتهم 82.81 % بينما يقل عدد المترددين في فئات السن الصغيرة (أقل من 20) فتصل نسبتهم إلى 7.53 % ويقل عدد المترددين أيضاً في فئات السن الكبيرة (أكثر من 50) لتصل إلى 9.66 % وذلك كما يتبين من الجول رقم (2).

11) انظر سامية حسن الساعاتي، دور المتقافات المصريات في التغيير الاجتماعي، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومي للبحوث الجنائية والاجتماعية، ص 121 ، 122.

ويمكن أن نفسر هذه النتائج بأن فئة السن التي تبدأ من 20 وتنتهى بأقل من 50 سنة، تعد فترة قلق على النجاح، وعلى المستقبل، وعلى بداية تكوين حياة عائلية، ثم الاستمرار فيها، أى تتطوى على التفكير فى الزواج، وتكوين الأسرة، ثم الرغبة فى الاستقرار النفسى والعائلى.

ففى فئات السن أقل من 20 سنة، يكثر التردد على المشتغلين بالسحر بسبب الرغبة فى التقدم والترقية فى حياتهم العملية، ويستمر ذلك فى فترة السن من 30 إلى 40، وفى الفترة من 40 إلى 50 يكون هناك تخوف من ضعف العاطفة أو زوالها، وقلق من التغيرات فى الأسرة، أما فى الفترة ما بعد الخمسين، فهى سن بداية الشيخوخة، ويكون التردد فيها بسبب الطموحات النهائية لأصحابها، وبسبب مشكلات الأولاد الكبار.

ويلاحظ أنه فى المراحل المتوسطة من العمر، تزداد مطالب الإنسان، ويزداد حرصه على تأكيد ذاته ومستقبله، لذلك فإن لجوء الناس إلى المشتغلين يزداد فى هذه المرحلة.

أما فى المراحل المبكرة من العمر، فلا يلجأ الناس إلى المشتغلين بالسحر، لعدم إحساسهم بوطأة الحياة، ومشكلاتها، وضعف اعتقادهم فى المشتغلين بالسحر، وفى المراحل المتقدمة من العمر نجد أن الناس قد زهدوا الحياة، وقلت مطالبهم، لذا فإن ترددهم يكون فى الأعم الأغلب بسبب قلقهم على أولادهم الكبار ومشكلاتهم الكثيرة.

جدول (2)

توزيع المترددين حسب فئات السن

فئات السن	عدد المترددين	النسبة المئوية
أقل من 20	53	7.53 %
من 20 - 30	258	36.65 %
من 30 - 40	194	27.55 %
من 40 - 50	121	18.61 %
أكثر من 50	68	9.66 %
المجموع	704	100.00 %

(ج) توزيع المترددين حسب محل الميلاد:

اتضح من تحليل البيانات الخاصة بالمترددين أن قرابة نصفهم، موطنهم الأصلي القاهرة وذلك بنسبة 41.11 %، أما بقية المترددين فتوزع موطنهم الأصلي على محافظات الجمهورية المختلفة بنسب مختلفة وذلك كما يتضح من الجدول رقم (3).

ويبين هذا الجدول أثر الهجرة إلى القاهرة في مواجهة التوطن، كما يبين أثر جذب القاهرة للريفيين، فالقاهرة مركز جذب شديد يجذب أفراد المحافظات ذات الطرد المرتفع (كالمنوفية في وجه بحرى، وسوهاج في وجه قبلى) والمحافظات القريبة من القاهرة.

ويظهر من الجدول أن ملاحظتنا تنطبق على سوهاج (5.54) ، والمنوفية (4.97)، والشرقية (6.39)، وبنى سويف (6.39)، كما أن هناك (5.68) من المترددين يأتون من محافظة البحيرة.

جدول (3)

توزيع المترددين حسب محل الميلاد

محل الميلاد	عدد المترددين	النسبة المئوية
القاهرة	290	% 41.19
الإسكندرية	10	% 1.42
بورسعيد	20	% 2.84
السويس	2	% 0.28
دمياط	6	% 0.85
الدقهلية	20	% 2.84
الشرقية	45	% 6.39
القليوبية	30	% 4.26
كفر الشيخ	12	% 1.71
الغربية	25	% 3.55
المنوفية	35	% 4.97
البحيرة	40	% 5.68
الإسماعيلية	8	% 1.14
الجيزة	12	% 1.71
بنى سويف	45	% 6.39
الفيوم	5	% 0.071
المنيا	24	% 3.41
أسيوط	22	% 3.13
سوهاج	39	% 5.54
قنا	3	% 0.43
أسوان	11	% 1.56
المجموع	704	% 100.00

هذا من ناحية المعالجة الإيكولوجية للجدول، أما من حيث المعالجة الثقافية "cultural" فيتضح من الجدول أن المترددين القاهريين أصلاً، والأتين من محافظات حضرية تبلغ نسبتهم 47 ٪ في مواجهة 53 ٪ من المترددين يأتون من محافظات ريفية ومعنى ذلك أن نسبة المترددين من الريفيين إلى المشتغلين بالسحر في القاهرة نسبة عالية، تتماشى معها الأفكار الغيبية والأسطورية، وفي هذه الحالة لا يكون التعليم والتحضر إلا قشرة تغلف الثقافة الريفية التي تظهر وطأتها في مناسبات كثيرة يظهر فيها التفاعل الاجتماعي على أشده خاصة في المواقف الحساسة مثل الاعتقاد في السحر والخرافات واستطلاع الغيب، ومثل الالتجاء إلى الأطباء ومراكز العلاج.

(د) توزيع المترددين حسب الأقسام الإدارية:

تدل البيانات الخاصة بتوزيع المترددين حسب الأقسام الإدارية على أن هناك نسبة عالية من المترددين وتبلغ 14.91 ٪ تأتي من خارج القاهرة إلى المشتغلين بالسحر داخل القاهرة، وهذا يدل على مدى اعتقاد المترددين خارج القاهرة في المشتغلين بالسحر داخلها، وهذا يعضد القيم الشائعة بين سكان مصر فيما يتعلق بمركزية النشاط في القاهرة، فهي بالنسبة لهم مركز النشاط الإداري، والثقافي، والاقتصادي فمن باب أولى أن تكون أيضاً مركزاً للنشاط السحري.

فالقاهرة هي العاصمة، ومركز الجذب الرئيسي، وكما أنها صفوة المتخصصين والأطباء والمتقنين، كذلك يعتقد الناس أنها تضم صفوة المشتغلين بالسحر، لذا فهم يتجهون إليها من كل المحافظات.

وهناك ارتباط بين توزيع المترددين بحسب الأرقام الإدارية، وتوزيع المشتغلين بالسحر حسب الأقسام الإدارية أيضاً، (كما لاحظنا في الفصل الخاص بالمشتغلين⁽¹⁾) وذلك لأننا كشفنا عن ارتباط موجب بين كثرة عدد المترددين في

(1) انظر الجدول الخاص بالمشتغلين حسب الأقسام الإدارية.

أقسام إدارية معينة من القاهرة وبين ارتفاع نسبة المشتغلين في هذه الأقسام ، ويؤدى هذا الارتباط إلى أن نستنتج أن هناك علاقة طردية بين حجم المشتغلين وحجم المترددين في هذه الأقسام، فبينما يحتل قسم الشراعية المركز الأول من حيث المشتغلين بالسحر فيه نجد أنه يحتل المركز الأول أيضاً من حيث نسبة المترددين على المشتغلين بالسحر فيه وتبلغ 8.52 ٪ من مجموعهم كذلك الحال بالنسبة لقسم السيدة زينب فهو يحتل المرتبة الثانية من حيث تركيز المشتغلين بالسحر فيه، وكذلك يحتل المرتبة نفسها من حيث نسبة المترددين على المشتغلين بالسحر فيه وتبلغ 7.81 ٪ من مجموعهم، ويشارك قسم شبرا مع قسم السيدة زينب في احتلال المركز الثانى من حيث نسبة المترددين على المشتغلين بالسحر فيه. ويمثل قسم الجمالية ثالث أقسام القاهرة الإدارية من حيث نسبة المترددين على المشتغلين السحر فيه، وتبلغ 6.40 ٪ من مجموعهم⁽¹⁾.

وتدل هذه البيانات على وجود ارتباط موجب بين كثرة عدد المترددين في أقسام إدارية معينة من القاهرة، وبين وجود أضرحة لأولياء الله الصالحين من المسلمين، أو لقديسين من النصارى، فقسم السيدة زينب يتميز بوجود ضريح السيدة زينب رضى الله عنها فيه، وقسم شبرا يتميز بوجود كنيسة القديسة سانت تريزا فيه، أما قسم الجمالية فيشتهر بوجود ضريح سيدنا الحسين رضى الله عنه فيه.

كما تفصح البيانات أيضاً عن أن نسبة كبيرة من المترددين تفضل أن تذهب إلى المشتغلين القريبين منهم أكثر من تفضيلهم الذهاب إلى من يبعدون عنهم إلا في حالات خاصة يكون فيها أحد المشتغلين ذا سمعة كبيرة لاعتقاد الناس بما يتمتع به من قوة روحية عظيمة، وقدرة بالغة الأثر على تسخير القوى الغيبية.

وبتقسيم أقسام القاهرة الإدارية جغرافياً من حيث نسبة وجود المترددين على المشتغلين بالسحر بها إلى مناطق، نجد أنه يمكن تقسيمها إلى أربعة مناطق

(1) المصدر نفسه، ص 238.

تمائل تقسيمنا القاهرة الإدارية جغرافيا بحسب تركيز المشتغلين فيها⁽¹⁾ وهى منطقة شمال القاهرة ، ومنطقة الشمال الشرقى، والوسط، والجنوب.

وتحتل منطقة وسط القاهرة⁽²⁾ المركز الأول من حيث تواجد المترددين على المشتغلين بالسحر فيها وتبلغ نسبتهم 23.59 % من المجموع الكلى، تليها فى المركز الثانى منطقة شمال القاهرة⁽³⁾ وتصل نسبة المترددين على المشتغلين بالسحر فيها أى 21.78 % من جملتهم، أما منطقة الشمال الشرقى للقاهرة⁽⁴⁾، فتحتل المركز الثالث من حيث تواجد المترددين بها وتبلغ نسبتهم 21.45 % من المجموع الكلى للمترددين، أما المنطقة الرابعة فهى منطقة جنوب القاهرة⁽⁵⁾ ، وتصل نسبة المترددين على المشتغلين بالسحر فيها إلى 18.18 % من جملة المترددين.

-
- (1) انظر خريطة توزيع المشتغلين بالسحر حسب أقسام القاهرة الإدارية ، ص 297.
 - (2) تشمل منطقة وسط القاهرة إداريا أقسام بولاق، والجمالية، والدرب الأحمر ، وباب الشعرية، والظاهر، والأزبكية، والموسكى، وقصر النيل، وعابدين.
 - (3) تشمل منطقة شمال القاهرة إداريا أقسام الساحل، وروض الفرج، وشبرا، والشرابية.
 - (4) تشمل منطقة شمال شرق القاهرة إدارية أقسام، النزهة ، والمطرية، الزيتون، ومصر الجديدة، وحدائق القبة، ومدينة نصر، والوايلى.
 - (5) تشمل منطقة جنوب القاهرة، إداريا أقسام، الخليفة، والسيدة زينب، ومصر القديمة، والمعادى، وحلوان، والتبين.

جدول (4)
توزيع المترددين حسب الأقسام الإدارية

القسم الإدارى	عدد المترددين	النسبة المئوية
الأزبكية	6	٪ 0.85
التبين	10	٪ 1.42
الجمالية	45	٪ 6.40
الخليفة	5	٪ 0.71
الدرب الأحمر	35	٪ 4.97
الزيتون	10	٪ 1.42
الساحل	35	٪ 4.97
السيدة زينب	55	٪ 7.81
الظاهر	15	٪ 2.13
المطرية	15	٪ 2.13
المعادى	6	٪ 0.85
الموسكى	5	٪ 0.71
النزهة	3	٪ 0.43
الوايلى	40	٪ 5.68
باب الشعرية	16	٪ 2.28
بولاق	30	٪ 4.26
حدائق القبة	40	٪ 5.68
حلوان	8	٪ 1.14
روض الفرج	4	٪ 0.57
شبرا	55	٪ 7.81
عابدين	10	٪ 1.42
قصر النيل	4	٪ 0.57
مدينة نصر	3	٪ 0.43
مصر الجديدة	40	٪ 5.68
مصر القديمة	44	٪ 8.25
الشرابية	60	٪ 8.52
خارج القاهرة	105	٪ 14.91
المجموع	704	٪ 100.00

(هـ) توزيع المترددين حسب الديانة:

من تحليل البيانات الخاصة بديانة المترددين على المشتغلين بالسحر يتبين أن أكثر من ثلثي المترددين من المسلمين بنسبة 69.32 %، وأن حوالى ثلث المترددين من المسيحيين بنسبة 30.68 %، وذلك كما يتضح فى الجدول رقم (5) ويمكن إرجاع ذلك إلى تلك الحقيقة الإحصائية التى تسجل أن المسلمين أكثر عدداً من المسيحيين فى القاهرة بشكل لافت، فقد بلغت نسبتهم فى تعداد 1976، (89.83 %) بالمقارنة بنسبة 10.13 % من المسيحيين⁽¹⁾.

أما تفسير ارتفاع تلك النسبة من المترددين المسيحيين على المشتغلين بالسحر، فهو أن معظم هذه النسبة تشكل من الطبقة المتوسطة ذات التطلعات، والحرص على النجاح، والقلق الكثير، كما أن جزءاً كبيراً من هذه النسبة تتألف من الأغنياء الحريصين دائماً على الثراء والنجاح، والمحافظة عليهما.

جدول (5)

توزيع المترددين حسب الديانة

الديانة	عدد المترددين	النسبة المئوية
مسلم	488	69.32 %
مسيحي	216	30.68 %
المجموع	704	100.00 %

(و) توزيع المترددين حسب مستوى التعليم:

تدل البيانات الخاصة بالمستوى التعليمى للمترددين على المشتغلين بالسحر إلى أن حوالى ثلث المترددين من الأميين بنسبة 40 و 30 %. كما أن هناك نسبة

(1) انظر المؤشرات الإحصائية "إقليم القاهرة" "الجهاز المركزى للتعبئة العام والإحصاء"، يوليو 1987، ص 37.

كبيرة تصل إلى 24.71 % من المترددين يقرأون ويكتبون. ويسترعى النظر أن بقية المترددين ونسبتهم 55.11 % موزعون على مراحل التعليم المختلفة بنسب متفاوتة، أعلاها من تخرجوا من المدارس 15.06 %، ومن نالوا تعليمًا عاليًا بنسبة 17.47 % (1).

ويمكن أن نربط بين معطيات هذا الجدول، ومعطيات الجدول (13) الخاص بدوافع التردد. فالأميون يذهبون لأسباب تتعلق معظمها بفك العمل. وفك الربط، والزواج، والمرض، أما المثقفون فيذهبون لأسباب تتعلق بالنجاح في الدراسة، والنجاح في العمل، ومسائل الحب والزواج، والأمراض الميئوس منها، والتي أخفق الطب في علاجها. ويمكن تفسير ذلك بأن المتعلمين بوجه عام أكثر قلقًا وأكثر مجابهة للمشاكل، وأعتقد حياة ومطالبًا من الأميين.

جدول (6)

توزيع المترددين حسب مستوى التعليم

مستوى التعليم	عدد المترددين	النسبة المئوية
أمي	214	30.40 %
يقرأ فقط	13	1.75 %
يقرأ ويكتب	174	24.71 %
ابتدائي	55	7.81 %
إعدادي	19	2.70 %
ثانوي	16	15.06 %
جامعي	123	17.48 %
المجموع	704	100.00 %

(1) تتفق هذه النتائج مع ما وجدته د. سيد عويس في الدراسة التي أشرف عليها عن اتجاهات قراء "بختك اليوم" في الصحف اليومية، انظر سيد عويس، حديث عن الثقافة ص 22، 223.

(ز) توزيع المترددين حسب الحالة الاجتماعية:

تبين من تحليل البيانات الخاصة بالحالة الاجتماعية للمترددين أن أغلبهم من المتزوجين نسبة 51.28، يلي ذلك العزاب بنسبة 28.27، ثم الأرامل بنسبة 12.21، والمطلقين بنسبة 8.24 %.

وتدل هذه النتيجة على أن المتزوجين من المترددين أكثر استشعاراً من غيرهم بالمشكلات التي تواجههم، تلك المشكلات المترتبة على الزواج، مثل الخلف، والتوافق، والمشكلات المتعلقة بالجنس في الزواج، والمسائل المادية، والرغبة في الاحتفاظ بالزوج (في الأعم الأغلب) أو الزوجة.

أما العزاب من المترددين فهم أقل عدداً، وأقل إحساساً بالمشكلات فمشكلاتهم تنحصر في الرغبة في نيل رضا المحبوب، ومشكلات الحب عموماً والخوف من الفشل فيه، والرغبة في التأكد من أن المحبوب يبادل الطرف الآخر الحب ومشكلة اختيار الشريك، هذا إلى جانب مشكلات النجاح في الدراسة والحياة العملية وابتداء حياة سعيدة من كل النواحي.

أما الأرامل من المترددين، وكذلك المطلقين فمشكلاتهم معروفة ومحددة بحالاتهم الخاصة.

جدول (7)

توزيع المترددين حسب الحالة الاجتماعية

الحالة الاجتماعية	عدد المترددين	النسبة المئوية
اعزب	199	٪ 28.27
متزوج	361	٪ 51.28
أرمل	86	٪ 12.21
مطلق	58	٪ 8.24
المجموع	704	٪ 100.00

(ج) التوزيع حسب المهنة:

يتبين لنا من توزيع المترددين بحسب مهنتهم أن أغلبية المترددين من الموظفين وذلك بنسبة 72.4 % ، يليهم العمال بنسبة 22.2 % ثم التجار بنسبة 5.4 %، كما تبين أن حوالي ثلثهم ينتمون إلى مهن فنية متوسطة وعليا وذلك بنسبة 30.2 % يلي ذلك من ينتمون إلى مهن كتابية متوسطة وعليا وذلك بنسبة 24.1 % ويلي ذلك من ينتمون إلى مهن إدارية ومتوسطة وعليا وذلك بنسبة 18.2 % أما الباقون فيتوزعون ما بين عمال نصف فنيين بنسبة 8 % ، وعمال غير فنيين _حرف صغيرة) 14.2 % وتجار بنسبة 5.3 %.

ويتضح من الجدول أيضاً أننا إذا ربطنا بين المهنة ودرجة التعليم لوجدنا أن نسبة كبيرة تصل إلى حوالي 85.7 % من المترددين من المتعلمين تعليماً متوسطاً وعالياً، وذلك على أساس أن هناك 72.40 %، منهم من المتعلمين وهم الموظفون إلى جانب افتراض أن نصف العمال والتجار من المتعلمين (1).

(1) تتفق نتائج بحثنا هنا مع النتائج التي وجدها د. سيد عويس في ضوء دراسة عملية أشرف عليها لدراسة اتجاهات قراء موضوع "بختك اليوم" في الصحف اليومية، فقد وجد أن نحو 75 % من موظفي مصلحة من مصالح الحكومية يواظبون على قراءة هذا الموضوع يوميًا. منهم من يقرأه لأنه يتناول نتائج القراءة، ومنهم يقرأه لأنه يقارن بين ما يقع وبين ما تتبأ به، ومنهم من يقرأه لمجرد التسلية ومنهم من يقرأه لأن ما يقرأه يتحقق عادة، ومنهم من يقرأه لأنه يؤمن بنتائجه، والملاحظ أن هؤلاء الموظفين تتراوح أعمارهم ما بين 17 - 55، منهم نحو 63 %، لا تزيد أعمارهم على ثلاثين عامًا، وأن نحو 52 % منهم من مواليد محافظة القاهرة، وأن نسبة المسلمين منهم نحو 82 %، ونسبة المتزوجين منهم نحو 50 %، وأن نحو 90 % منهم قد حصلوا على شهادات متوسطة، وأن نحو 10 % منهم قد حصلوا على شهادات عالية. ويلاحظ أن من يقرأون "بختك اليوم" يزورون المقابر كثيرًا، كما يزورون أضرحة الأولياء والقديسين، ويؤدون لهم النذور، ويؤمنون بها، وهم يؤدون فريضة الصلاة، وفريضة الصوم، ونسبة كبيرة منهم يؤمنون بالأشباح، ويمارسون عمليات البخور في المناسبات وقراءة الفنجان والكف، وحمل التمام، وفتح المنديل.

- انظر سيد عويس، المصدر السابق، ص 222 - 223.

وترجع أسباب تردد ذلك العدد الضخم من الموظفين على المشتغلين بالسحر إلى أن للموظف مطالب كثيرة، فهناك تطلعات الوظيفة، وهمومها واحتكاكات الرؤساء، والزملاء والمرعوسين، كما أن الأعباء الملقاه على عاتقه كثيرة من زوجته وأولاده، فهو غالبًا إما مكدود أو مطحون ، أما العامل فله أيضًا أسبابه في التردد على المشتغلين بالسحر وأهمها التطلعات الجديدة مثل الرغبة في الاشتغال في دولة عربية، و الزواج من فتاة أعلى منه تعليمًا، أو الرغبة في معرفة مدى نجاحه في مشروع ينوى تنفيذه.

أما التجار فيترددون للتأكد من نجاح صفقاتهم ومشروعاتهم، أو لمعرفة من سرق أحد مخازنهم أو أذاع أسرارهم لمنافسيهم.

جدول (8)

توزيع المترددين وفق مهنتهم

النسبة المئوية	عدد المترددين	المهن
		1- موظفون
		(أ) مهن كتابية
		متوسطة
		عليا
		(ب) مهن إدارية
		متوسطة
		عليا
		(ج) مهن فنية
		متوسطة
		عليا
		2- عمال
		فنيون ونصف فنيين
		غير فنيين (حرف صغيرة)
		3- تجار
		المجموع
% 100.00	704	

(ط) المصادر التي عرف المترددون عن طريقها المشتغلين:

تدل البيانات الخاصة بالمصادر التي عرف المترددون عن طريقها المشتغلين بالسحر على أن عددا كبيرا من المترددين قد عرفوا المشتغلين عن

طريق جيرانهم وذلك بنسبة 34.7 %، يلي ذلك عدد كبير منهم عرف المشتغلين عن طريق الأقارب وذلك بنسبة 27.7 % كما أن هناك نسبة لا بأس بها من المترددين قد عرفت المشتغلين عن طريق الأصدقاء بلغت 23.7 % أما بقية المصادر فقد توزعت ما بين زملاء في العمل بنسبة 8.7 % وزملاء الدراسة وذلك بنسبة 5.2 % وذلك كما يتضح من الجدول رقم (9).

ويتبين لنا إذن أن الجيران والأقارب والأصدقاء، وزملاء العمل وزملاء الدراسة على الترتيب هم المصادر الهامة التي عرف المترددون عن طريقهم المشتغلين بالسحر وأن دور وسائل الإعلام المتمثل في الإعلانات التي ينشرها المشتغلون في الصحف اليومية أو المجلات لم يظهر في البحث. فالعلاقات الأولية والحميمة إذن (face to face relationships) هي التي تلعب دورا هاما في هذا المجال، ويبدو أن الذي يرغب الذهاب إلى أحد المشتغلين بالسحر يود أن يتأكد بنفسه من أن آخرين يعرفهم جيدا قد ذهبوا إليه وأكدوا فعاليته، مما لا توفره له الإعلانات. هذا بالإضافة إلى ما ذكره معظمهم من أن سبب عدم ذكرهم لوسائل الإعلام، ودورها في تعريفهم بالمشتغلين بالسحر، اعتقادهم بأن من يعلنون عن أنفسهم في الصحف يأخذون "فيزيتا" عالية على حد قولهم.

جدول (9)

المصادر التي عرف المترددون عن طريقها المشتغلين

النسبة المئوية	عدد المترددين	المصادر
27.7 %	195	أقارب
23.7 %	167	أصدقاء
34.7 %	244	جيران
8.7 %	61	زملاء في العمل
5.2 %	37	زملاء في الدراسة
100.00 %	704	المجموع

(ي) عدد مرات التردد:

تبين من الجدول رقم (10) الخاص بعدد مرات التردد، ان معظم المترددين بنسبة تصل إلى 63.10 % قد ترددوا على المشتغلين مرتين، بينما هناك نسبة أقل ترددت ثلاث مرات بلغت 15.76 % أما من ترددوا أكثر من ثلاث مرات فبلغت نسبتهم 11.34 % وكانت أقل نسبة هي الخاصة بمن ترددوا مرة واحدة فقط اذ بلغت 9.8 %.

ويلاحظ أن التردد أكثر من مرة قد يكون له أسبابا مختلفة، فقد يتردد الإنسان على المشتغل أكثر من مرة لاعتقاده بجدوى ما يفعله المشتغل، وقد يتردد أكثر من مرة لعدم شعوره بأى تقدم أو بأى جدوى لكنه لا ينقطع عن الأمل والتمنى فى حدوث ما يرغب ويتمنى، ويرتبط التردد مرة أو أكثر من مرة بنوعية المطلب، فالتوافق الزوجى والشفاء من مرض يتطلب التردد أكثر من مرة، أما الكشف عن الغيب أو المستقبل فلا يتطلب إلا التردد مرة واحدة فقط.

جدول (10)

عدد مرات التردد

عدد مرات التردد	عدد المترددين	النسبة المئوية
مرة	68	9.8 %
مرتان	411	63.10 %
ثلاث مرات	131	15.76 %
أكثر من ثلاث مرات	94	11.34 %
المجموع	704	100.00 %

(ط) مدى شعور المتردد بالفائدة من تردده :

يتبين لنا من الجدول رقم (11) أن أكثر من نصف المترددين لا يشعرون بفائدة من ترددهم على المشتغلين بالسحر وذاك بنسبة 57.50 % بينما تستشعر نسبة كبيرة من المترددين تبلغ 42.50 % فائدة تذكر من ترددها.

ويتضح من ذلك ان ظاهرة السحر باقية ولن تختفى لأن هناك من يحسون عن صدق أو عن وهم بأن التردد على المشتغلين بالسحر يفيدهم (1).

ولو كان الأمر على خلاف ذلك وأنهم يتركون هؤلاء المشتغلين بتاتا ويطلقوا باب الطب في القضاء على المرض والشرطة في العثور على المسروق لاختفت هذه الظاهرة.

جدول (11)

مدى شعور المتردد بالفائدة من ترده

مدى شعور المتردد بالفائدة من ترده	عدد المترددين	النسبة المئوية
نعم	299	42.50
لا	405	57.50
المجموع	704	100.00 %

(ي) المترددون حسب ما يدفعونه للمشتغلين:

يبين الجدول رقم (14) الخاص بما يدفعه المترددون للمشتغلين بالسحر أن حوالي ثلث المترددين بنسبة تصل إلى 66.2 % يدفعون مقابل ماديًا، بينما تدفع نسبة لا بأس بها من المترددين تصل إلى 24 % مقابل عينيًا، كما أن هناك نسبة صغيرة تصل إلى 9.8 % لا تدفع للمشتغلين أى مقابل ماديًا كان أم عينيًا.

جدول (12)

توزيع المترددين حسب ما يدفعونه للمشتغلين بالسحر

ما يدفع	عدد المترددين	النسبة المئوية
مقابل مادي	466	66.2 %
مقابل عيني	169	24 %
بدون مقابل	29	9.8 %
المجموع	704	100.00 %

(1) تذكر إحدى السيدات على سبيل المثال من اللاتي أجبن باستشارهن فائدة من تردهن في أحد المشتغلات بالسحر ما يلي: "ده أنا جيت لها أكثر من 10 مرات، فكت لي كذا عقدة احتار فيها الذكاترة" وأخرها عملت لي عمل خلت جوزي يحبنى زى بتوع السيماء بعد ما كان طول اليوم خناق وضرب وشتمة، دى سرها باتع، والجن ما يرفضوهاش طلب".

(ك) توزيع المترددين حسب الدوافع إلى التردد:

يتبين من الجدول رقم (13) الخاص بتوزيع المترددين حسب الدافع إلى التردد على المشتغلين بالسحر، أن أكثر من نصف المترددين بنسبة 58.38 % من مجموعهم الكلى يترددون على المشتغلين لتخصص فى قراءة الفنجان والكف والكوتشينة تبلغ نسبتهم 30.94 % من جملة المشتغلين بالسحر⁽¹⁾، وذلك لمقابلة احتياجات هؤلاء المترددين لمعرفة المستقبل أو كشف الغيب.

تلى ذلك نسبة تبلغ حوالى خمس المترددين، تذهب إلى المشتغلين بالسحر بدافع التسلية، وقضاء الوقت، وتبلغ هذه النسبة 18.61 % من مجموعهم الكلى، ويشكل المتقنون نسبة كبيرة من هذه الفئة من المترددين الذين يذهبون لمجرد التسلية.

ومن المترددين من يذهب إلى المشتغلين بالسحر بدافع دينى أى لأنه يعتقد بالفعل ان الذين يعترف بالسحر، ويشكل هؤلاء نسبة تصل إلى 13.35 % من مجموع المترددين، وأغلبهم من الأميين. أما النسبة الباقية من المترددين على المشتغلين بالسحر وتصل إلى 9.66 % من مجموعهم فيذهبون بدافع اليأس من الطرق العلمية والطبية فى علاج أمراضهم، وهؤلاء خليط من المتعلمين والأميين على السواء، ويمثل المترددون المتعلمون والمتقنون الذين يذهبون للمشتغلين بالسحر بهذا الدافع غلبه التفكير الغيبى لديهم أحياناً على التفكير العلمى والتفكير المنطقى.

جدول (13)

توزيع المترددين على المشتغلين بالسحر حسب الدافع إلى التردد

الدافع إلى التردد	عدد المترددين	النسبة المئوية
اليأس من الطرق العلمية والطبية	68	9.66 %
اعتقاد دينى	94	13.35 %
مجرد تسلية	131	19.61 %
حب استطلاع	411	58.38 %
المجموع	704	100.00 %

(1) انظر ما قبل الجدول الخاص بتوزيع المشتغلين حسب التخصصات.

(ل) رأى المترددين فى مدى اعتراف الدولة والدين بالسكر:

يكشف تحليل البيانات الخاصة برأى المترددين على المشتغلين بالسكر فى مدى اعتراف الدولة والدين بالسكر، عن أن نسبة ضئيلة جدًا منهم ترى أن الدولة تعترف بالسكر، وتصل هذه النسبة إلى 1.99 ٪ من مجموعهم وتذهب هذه الفئة من المترددين إلى أن اعتراف الدولة بالسكر يتجلى فى السماح بتداول كتب الكوتشينية والفينجان، وكتب السكر، والطالع وغيرها، والسماح أيضًا للمشتغلين بالسكر بالإعلان عن أنفسهم فى الصحف اليومية وبعض المجلات، مشفوعا بألقاب "البروفيسور" و"الدكتور" حتى يزداد تأثيرهم على الأفراد.

أما الغالبية الساحقة من المترددين من كل المستويات الاجتماعية، والاقتصادية والتعليمية، وتبلغ نسبتهم 98.01 ٪ من مجموعهم الكلى فيذهبون إلى أن السكر معترف به من الدين، ويستندون فى تأكيد ذلك إلى أن السكر مذكور فى التوراة والإنجيل والقرآن أى فى كل الكتب السماوية، رغم أنهم لا يتعمقون فى كيفية ورود ذكر السكر فى الكتب السماوية، وموقف هذه الكتب من السكر بعامة، ولعلمهم يجدون فى معتقدهم هذا وهو أن الدين يعترف بالسكر تبريرًا كافيًا للجوئهم إلى المشتغلين بالسكر، كما أن هؤلاء المشتغلين بدورهم يقولون هذا المعتقد لديهم حتى تروج بضاعتهم.

وتؤكد المعطيات السابقة ما سبق أن ذهبا إليه فى الجزء النظرى من اختلاط ظاهرة السكر فى مصر بالدين، واستغلال المشتغلين بالسكر فى مصر لهذه الحقيقة لى يضمّنوا سهولة التأثير على الناس، وبذلك يصيبون الكسب الكثير، لذلك حرصوا على تلوين أعمالهم السحرية باللون الدينى حتى تجد قبولاً عند من يتردد عليهم من الناس⁽¹⁾.

جدول (14)

رأى المترددين فى مدى اعتراف الدولة والدين بالسكر

مدى اعتراف الدولة والدين بالسكر	عدد المترددين	النسبة المئوية
السكر معترف به من الدولة	14	1.99 ٪
السكر معترف به من الدين	690	98.01 ٪
المجموع	704	100.00 ٪

(1) انظر ما قبل الفصل الخامس، السكر كظاهرة اجتماعية.

الفصل التاسع

ظاهرة السحر في مدينة القاهرة

أهم النتائج النهائية للبحث

يمكن أن نجمل النتائج النهائية لبحث السحر في مدينة القاهرة، الذى كان الهدف منه هو التعرف على ظاهرة السحر كما توجد وتمارس في مدينة القاهرة، باعتبارها ظاهرة اجتماعية ذات تركيب وخصائص، فيما يأتى:

أولاً: نتائج خاصة بالمشتغلين بالسحر:

1- الاشتغال بالسحر عمل يمكن أن يقوم به الذكر والأنثى على السواء، فالتخصص حسب النوع ليس له أهمية في هذا المجال.

2- أغلبية المشتغلين بالسحر ينتمون إلى الفئات العمرية الكبيرة (40 - 50) وذلك بنسبة 78.45 % من مجموعهم الكلى، ويعزى ذلك إلى أن هذه المهنة تتطلب الخبرة والتمرس، كما أن كبر السن يضى على المشتغل بها الهيبة والاحترام، ويفرى على الاعتقاد فيما يقول، وتصديقه، وبخاصة أن من القسيم السائدة فى المجتمع المصرى احترام كبار السن، واعتبارهم "بركة" وتقدير ما يقولون ويفعلون.

3- تبين من البحث أن أكبر عدد من المشتغلين بالسحر في مدينة القاهرة يتركزون فى قسم "الشرابية" وليس هذا بمستغرب لأن الشرايبة ثمانية أقسام القاهرة الإدارية تعدادا للسكان بعد المطرية، فضلا عن أنها تضم أفرادا من مستويات اجتماعية اقتصادية مختلفة، فمنهم الموظف، ورجل الأعمال، والعامل، والطالب، والتاجر، والحرفى، كل هؤلاء بهمومهم، وآمالهم، وطموحاتهم المتنوعة، أما "السيدة زينب" فهي ثمانية أقسام القاهرة الإدارية من حيث تركز المشتغلين بالسحر فيها (10.79)، وهى منطقة بؤرية شعبية تتميز بوجود ضريح "السيدة زينب" الذى يقصده الألوف للتبرك، والشكوى وطلب قضاء الحاجات، والمشتغلون يجدون فى هؤلاء صيدا سهلا مهيئا من الناحيتين النفسية، والفكرية.

4- ظهر من البحث أن حوالى ثلث المشتغلين بالسحر فقط من الأميين، وذلك بنسبة 27.29 % من مجموعهم الكلى، وأن نسبة أخرى شبة مماثلة تصل إلى 28.47 % يقرأون ويكتبون، وتتوزع النسب الباقية بين من يقرأون فقط، ومن نالوا تعليماً ابتدائياً، وإعدادياً، وثانوياً، كما كانت هناك نسبة صغيرة من المشتغلين تبلغ 6.38 % من الجامعيين.

وجدير بالذكر أن هناك ارتباطاً بين تخصص المشتغل ومستوى تعليمه فمن يقرأ الكوتشينة أو الفنجان لا يستلزم أن يكون ملماً بالقراءة والكتابة وأغلبية الأميين من المشتغلين بالسحر يعملون فى هذه التخصصات. أما كتابة الأحجية والأعمال، فلا بد أن يكون المشتغل بها ملماً بالقراءة والكتابة، ومطلعاً على بعض كتب السحر الرسمى.

5- أفصح البحث عن أن قرابة نصف المشتغلين بالسحر وذلك بنسبة 43.17 % يشتغلون بأكثر من تخصص وأن حوالى ربع المشتغلين بنسبة 25.18 % من مجموعهم الكلى، متخصصون فى قراءة الفنجان، كما أن هناك نسبة أقل تصل إلى الخمس 20.87 % متخصصون فى العمل، ثم توزع باقى المشتغلين على التخصصات المختلفة مثل الكف، وقراءة الكوتشينة والمندل.

ووجود نسبة كبيرة من المشتغلين بالسحر يعملون فى أكثر من تخصص، يدل على أن تلك التخصصات لا تحتاج إلى خبرة دقيقة ودراية وإنما يمكن أن تتنوع حسب ظروف الحالة. ويمكن أيضاً أن تربط هذه التخصصات بالعرض والطلب، فالتخصصات التى عليها طلب كبير كالفنجان و"العمل" نجد أن المشتغلين بها أكثر من غيرهم فى التخصصات التى ليس عليها طلب كبير.

5- يدل البحث على أن غالبية المشتغلين بالسحر يستخدمون القرآن فى مهتهم وذلك بنسبة 50.36 % من مجموعهم الكلى، بينما يستخدم الإنجيل نسبة ضئيلة لا تتجاوز 4.22 %، أما التوراة فلا يستخدمها أحد. ويستخدم كتب السحر الرسمى، مثل كتاب شمس المعارف الكبرى، وتذكرة داوود، وكتاب محتويات الديربى الكبير، عدد لا بأس به من المشتغلين تبلغ نسبتهم 24.46 %

من مجموع المشتغلين، بينما توجد نسبة أخرى لا تستخدم كتباً على الإطلاق. ويلاحظ أن كثيراً من المشتغلين بالسحر في مدينة القاهرة يلجأون إلى خلط السحر بالدين ليضمنوا سهولة التأثير على الناس، ولكي ينجحوا في ترويج بضاعتهم، وكسب المال الوفير. فالدين عند المصريين، وبخاصة الريفيين، ومن هم من أصل ريفي من الأمور الجوهرية ذات القيمة العليا في أعمالهم وحياتهم. وقد استغل المشتغلون بالسحر هذه الحقيقة فدرجوا على تلوين أعمالهم السحرية باللون الديني، لذلك لا نجد حجاباً، أو عملاً، أو سحراً يكاد يخلو من الآيات القرآنية.

7- تبين من البحث أن من المشتغلين بالسحر بعض رجال الدين، وأئمة المساجد والمقرئين، والوعاظ، ومدرس في مدرسة ابتدائية أزهرية. وتتفق هذه النتيجة مع ما ذهب إليه باحثون آخرون من أن رجال الدين، والأولياء، والصوفية هم في بعض الأحيان أهم طوائف المشتغلين بالسحر، وتتفق هذه النتيجة مع النتيجة المذكورة آنفاً من تلون السحر كثيراً بالصبغة الدينية في مصر.

8- أوضح البحث أن عدداً يجاوز نصف المشتغلين بالسحر وتصل نسبتهم إلى 53.24 % يمارسون مهنتهم لأنهم هووها، بينما اتجه الباقون إلى هذه المهنة عن طريق الوراثة وذلك بنسبة 46.76 % من مجموعهم.

وبعد السعي وراء المال، والمركز، والمكانة، والهيبة هي أهم الدوافع التي جعلت كثيراً من المشتغلين يهون هذه المهنة، أما من اتجهوا إليها عن طريق الوراثة، فللدوافع السابقة الذكر إلى جانب أن الأبناء يرثون هذه المهنة بدافع من حب التقليد للأباء، إلى جانب أن بعضهم يكون قد اكتسب خبرة ودراية بها من مساعدة ذويهم في ممارستها أو مجرد معاشرته لهم.

ويمكن القول أن مسألة الهوية والوراثة في الاشتغال بالسحر تختلف باختلاف التخصص، فالهوية تكون في قراءة الفنجان على سبيل المثال أما الوراثة

فتكون فى التخصصات المحتاجة إلى توعية العمل، وإلى كتب السحر الرسمى، وذلك مثل كتابة الأحجية و"عمل الأعمال".

9- يدل البحث على أن هناك إجماعاً تاماً بنسبة 100 ٪ من المشتغلين بالسحر ويظهر اقتناعهم بأن مهنتهم، وأنهم يقدمون خدماتها للناس، كما يبين البحث أن الغالبية العظمى منهم بنسبة 92.81 ٪ تؤمن بأنها تعمل بإذن الله، بينما هناك نسبة ضئيلة جداً من المشتغلين تؤمن بأنها تستطيع أن تفعل شيئاً وحدها، وتبلغ تلك النسبة 7.19 ٪ أى أن غالبية المشتغلين بالسحر يؤمنون - كما دلت إجاباتهم - بأنهم يعملون بوحى من الله، وأن الله قد ميزهم بموهبة معينة أو "بسر معين" عن غيرهم من البشر.

ثانياً: نتائج خاصة بالمتريدين على المشتغلين بالسحر:

1- كشف البحث عن أن الإناث أكثر تردداً من الذكور على المشتغلين بالسحر وذلك بنسبة 61.65 للإناث، 38.35 للذكور والسبب هو أن النساء أكثر استعداداً للاستهواء، كما أنهن أكثر اعتقاداً فى هؤلاء المشتغلين، كما أن عليهن ضغوطاً وأعباء كثيرة لذلك فهم أكثر من الذكور مطالباً.

والمرأة تتردد على المشتغلين بالسحر لأكثر من سبب فهى إما باحثة عن الخلف، وعن علاج العقم، أو عن خلف الصبية بالذات، وإما هدها المرض بسبب كثرة الحمل والولادة، ولذلك فهى تبحث عن علاج لأمراضها وبخاصة النزيف، وإما خائفة على زوجها من امرأة أخرى، وإما ناشدة حب الزوج وحنوه، وإما ساعية لنجاح أبنائها، أو لتزويجهم، وإما طالبة الخلاص من "الضرة" أو ذاهبة للكشف عن ابن مفقود، أو فك عمل.

ويلاحظ أن المرأة المصرية بعامة، وغير المتعلمة على وجه الخصوص لا تحس فى الغالب أماناً فى زواجها ولا فى حياتها بعامة، وهذا ما يلجئها فى الأغلب إلى المشتغلين بالسحر.

2- تبين من البحث أن الغالبية الساحقة من المترددين على المشتغلين بالسحر تنتمي إلى فئات السن ما بين 20 إلى أقل من 50 (وذلك بضم الفئات من 20 حتى 40) وتبلغ نسبتهم 81.18 % من المجموع الكلى، بينما يقل عدد المترددين فى فئات السن الصغيرة (أقل من 20) لتصل نسبتهم إلى 7.53 %، كما تقل أيضا فى فئات السن الكبيرة ليصل إلى 9.66 %.

وترجع هذه النتيجة إلى أن فترة السن التى تبدأ من 20 سنة وتنتهى بأقل من 50 سنة، تعد فترة قلق على النجاح، وعلى المستقبل، وعلى بداية تكوين حياة عائلية، ثم الاستمرار فيها، أى تتطوى على التفكير فى الزواج، وتكوين الأسرة، ثم الرغبة فى الاستقرار النفسى والعائلى، وفى المراحل المتوسطة من العمر تزداد مطالب الإنسان، ويزداد حرصه على تأكيد ذاته ومستقبله، لذلك فإن لجوء الناس إلى المشتغلين بالسحر يزداد فى هذه المرحلة.

أما المراحل المبكرة من العمر، فلا يلجأ الناس إلى المشتغلين بالسحر، لعدم إحساسهم بوطأة الحياة، ومشكلاتهم، وضعف اعتقادهم فى المشتغلين بالسحر، وفى المراحل المتقدمة من العمر نجد أن الناس قد زهدوا الحياة، وقلت مطالبهم، لذا فإن ترددهم على المشتغلين بالسحر يقل أيضا، وإذا حدث أن ترددوا على المشتغلين بالسحر فإن ترددهم يكون فى الأعم الأغلب بسبب قلقهم على أولادهم الكبار ومشكلاتهم الكثيرة.

3- أوضح البحث أن قرابة نصف المترددين موطنهم الأصلى القاهرة، وذلك بنسبة 4.11 %، أما بقية المترددين فتوزع موطنهم الأصلى على محافظات الجمهورية بنسب مختلفة، ويتبين هنا أثر الهجرة إلى القاهرة فى مواجهة التوطن، وأثر جذب القاهرة للريفيين وخاصة المحافظات ذات الطرد المرتفع، والمحافظات القريبة من القاهرة.

كما اتضحت من البحث نتيجة ثقافية متصلة بالنتيجة الايكولوجية السابقة وهى أن المترددين القاهريين أصلا، والآتين من محافظات حضرية تبلغ نسبتهم

47 ٪ فى مواجهة 53 ٪ من المترددین یأتون من محافظات ريفية، ومعنى ذلك أن نسبة المترددین من الريفیین على المشتغلین بالسحر فى القاهرة نسبة عالية، تتمشى معها الأفكار الغيبية والأسطورية، وفى هذه الحالة لا يكون التعليم والتحضر إلا قشرة تغلف الثقافة الريفية التى تظهر وطأتها فى مناسبات كثيرة يظهر فيها التفاعل الاجتماعى على أشده، خاصة فى المواقف الحساسة مثل الاعتقاد فى السحر، ومثل الالتجاء إلى التطبيب الشعبى أكثر من الالتجاء إلى الأطباء ومراكز العلاج.

4- تبين من البحث أن نسبة لا بأس بها من المترددین وتبلغ 14.91 ٪ تأتى من خارج القاهرة إلى المشتغلین بالسحر داخلها، وهذا يعضد القيم الشائعة عن سكان مصر فيما يتعلق بمركزية النشاط فى القاهرة، فهى بالنسبة إليهم مركز النشاط الإدارى والثقافى، والاقتصادى فمن باب أولى أن تكون مركزا للنشاط السحرى فالقاهرة هى العاصمة، ومركز الجذب الرئيسى، وكما أنها تضم صفوة المتخصصین، والأطباء، والمتقنين، كذلك يعتقد الناس أنها تضم صفوة المشتغلین بالسحر، لذا فهم يتجهون إليها من كل المحافظات.

وقد كشف البحث أيضا عن وجود علاقة طردية موجبة بين حجم المشتغلین، وحجم المترددین بحسب الأقسام الإدارية لمحافظة القاهرة، فبينما يمثل قسم الشراعية المركز الأول من حيث المشتغلین بالسحر فيه، نجد أنه يمثل المرتبة نفسها من حيث نسبة المترددین على المشتغلین بالسحر فيه. كذلك الحال بالنسبة لقسم السيدة زينب فهو يحتل المرتبة الثانية من حيث تركيز المشتغلین بالسحر فيه، وكذلك يحتل المرتبة نفسها من حيث نسبة المترددین على المشتغلین بالسحر فيه.

5- دل البحث على وجود ارتباط موجب بين كثرة عدد المترددین فى أقسام إدارية معينة على المشتغلین بالسحر فيها، وبين وجود أضربة لأولياء الله من المسلمين، أو لقديسين من النصارى، فقسم السيدة زينب يتميز بوجود

ضريح "السيدة زينب" عليها السلام فيه، وقسم شبرا يتميز بوجود كنيسة القديسة "سانت تريزا" فيه، أما قسم الجمالية فيشتهر بوجود ضريح "سيدنا الحسين" عليه السلام فيه.

6- أوضح البحث أن أكثر من ثلث المترددين على المشتغلين بالسحر من المسلمين بنسبة 69.32 %، وأن حوالي ثلث المترددين من المسيحيين بنسبة 30.68 %، ويمكن إرجاع ذلك إلى تلك الحقيقة الإحصائية التي تسجل أن المسلمين أكثر عددا من المسيحيين في القاهرة بشكل لافت، فقد بلغت نسبتهم في تعداد 1976، 89.83 % مقابل 10.13 % من المسيحيين. أما تفسير ارتفاع تلك النسبة من المترددين المسيحيين على المشتغلين بالسحر، فهو أن معظمهم من الطبقة المتوسطة ذات التطلعات والحرص على النجاح، والقلق الكثير، كما أن جزءا كبيرا من هذه النسبة تتألف من الأغنياء الحريصين دائما على الثراء والنجاح.

7- دل البحث على أن حوالي ثلث المترددين على المشتغلين بالسحر من الأميين وذلك بنسبة 30.40 %، كما أن هناك نسبة كبيرة تصل إلى الربع تقريبا وتبلغ 24.71 % منهم يقرأون ويكتبون، ويسترعى النظر أن بقية المترددين وتبلغ نسبتهم أكثر من النصف إذ تصل إلى 55.11 % من مجموعهم من المتعلمين الموزعين على مراحل التعليم المختلفة بنسب متفاوتة أعلاها من تخرجوا من المدارس 15.06 %، ومن نالوا تعليما عاليا بنسبة 17.47 %.

ويلاحظ أن هناك ارتباطا بين المستوى التعليمي للمتردد على المشتغل بالسحر، وبين دوافعه للتردد. فالأمر يذهب لأسباب تتعلق معظمها بفك العمل، وفك الربط، والزواج، والمرض. أما المتعلمون، والمتفوقون فيذهبون لأسباب تتعلق بالنجاح في الدراسة، والنجاح في العمل والتطلعات المختلفة، ومسائل الحب والزواج، والأمراض الميئوس منها، والتي أخفق الطب في علاجها، ويمكن تفسير ذلك بأن المتعلمين بوجه عام أكثر قلقا وأكثر مجابهة للمشاكل، وأعد حياة ومطالباً من الأميين.

8- تبين من البحث أن المترددين على المشتغلين بالسحر أغلبهم متزوجين بنسبة

51.28 ٪ يلى ذلك العزاب بنسبة 28.27 ٪، ثم الأرامل بنسبة 12.21 ٪،
ثم المطلقين بنسبة 8.23 ٪.

وتدل هذه النتيجة على أن المتزوجين من المترددين أكثر استشعاراً من غيرهم بالمشكلات التى تواجههم، تلك المشكلات المترتبة على الزواج، والمسائل المادية، والرغبة فى الاحتفاظ بالزوج (فى الأعم الأغلب)، أو الزوجة.

أما العزاب من المترددين فهم أقل عدداً، وأقل إحساساً بالمشكلات فمشكلاتهم تنحصر فى الرغبة فى نيل رضا المحبوب، ومشكلات الحب عموماً والخوف من الفشل فيه، والرغبة فى التأكد من أن المحبوب يبادل الطرف الآخر الحب، واختيار الشريك، هذا إلى جانب مشكلات النجاح فى الدراسة والحياة العملية وابتداء حياة سعيدة من كل النواحي.

أما الأرامل من المترددين، وكذلك المطلقين فمشكلاتهم معروفة ومحدودة مجالاتهم الخاصة.

9- دل البحث على أن أغلبية المترددين على المشتغلين بالسحر من الموظفين، وذلك بنسبة 72.4 ٪، يليهم العمال بنسبة 22.2، ثم التجار بنسبة 5.4 ٪، ومرد ذلك أن للموظف مطالب كثيرة، فهناك تطلعات الوظيفية، وهمومها، واحتكاكات الرؤساء، والزملاء، والمرعوسين، كما أن الأعباء الملقاة على عاتقه كثيرة من زوجته وأولاده، فهو غالباً إما مكدود أو مطحون. أما العامل فله أيضاً أسبابه فى التردد على المشتغلين بالسحر وأهمها التطلعات الجديدة مثل الرغبة فى الاشتغال فى دولة عربية، أو الزواج من فتاة أعلى منه تعليماً، أو الرغبة فى معرفة مدى نجاحه فى مشروع ينوى تنفيذه .. إلخ، أما التجار فيترددون للتأكد من نجاح صفقاتهم ومشروعاتهم، أو لمعرفة من سرق أحد مخازنهم، أو أذاع أسرارهم لمنافسيهم.

10- ظهر من البحث أن الجيران، والأقارب، والأصدقاء، وزملاء العمل، وزملاء الدراسة على الترتيب هم المصادر الهامة التي عرف المترددين عن طريقهم المشتغلين بالسحر، وأن دور مسائل الإعلام المتمثل في الإعلانات التي ينشرها المشتغلون في الصحف اليومية أو المجلات لم يظهر في هذه البحث. فالعلاقات الأولية والحميمة Face to face relationships هي التي تلعب دوراً في هذا المجال، ويبدو أن الذي يرغب في الذهاب إلى أحد المشتغلين بالسحر يود أن يتأكد بنفسه من أن آخرين يعرفهم جيداً قد ذهبوا إليه، وأكدوا فعاليته مما لا يتوفر للإعلانات. ويمكن أن نشبه ذلك، بموقف من يسأل جيرانه وأقاربه، وأصدقائه عن مدى مهارة طبيب معين.

11- تبين من البحث أنه بينما ذكر أكثر من نصف المترددين على المشتغلين بالسحر، بقلل أنهم لا يشعرون بفائدة من ترددهم، وذلك بنسبة تصل إلى 57.50 % نجد أن عدداً كبيراً أيضاً من المترددين يستشعرون فائدة من ترددهم، بل ويذكرون بالتفصيل كيف استفادوا من ترددهم على المشتغلين بالسحر وتبلغ نسبة هؤلاء 42.50 %.

ويتضح من ذلك أن ظاهرة السحر باقية ولن تختفى لأن هناك من يشعرون عن صدق أو وهم بأن التردد على المشتغلين بالسحر يفيدهم، ولو كان الأمر على خلاف ذلك، لتركوا هؤلاء المشتغلين، وطرقوا باب الطب في القضاء على المرض، والشرطة في العثور على المسروق ولاختفت هذه الظاهرة.

12- كشف البحث عن أن أكثر من نصف المترددين بنسبة 58.38 % من مجموعهم الكلى يترددون على المشتغلين بالسحر بدافع حب الاستطلاع، ولعل في ذلك تفسير وجود نسبة كبيرة من المشتغلين متخصص في قراءة الفئجان والكف والكونيشنة وذلك لمقابلة احتياجات هؤلاء المترددين لمعرفة المستقبل أو كشف الغيب، تلى ذلك نسبة أقل بكثير وتبلغ قرابة خمس المترددين، وتذهب بدافع التسلية وقضاء الوقت وتبلغ هذه النسبة 18.61 %

من مجموعهم الكلى، وأغلبها من المنقذين، ويذهبون لمجرد التسلية ومعرفة شىء مختلف. يلى ذلك نسبة من المترددين تذهب بدافع دينى لأنهم يعتقدون بالفعل أن الدين يعترف بالسر، وأغلب هذه النسبة من الأميين. وتبلغ 13.35 % من المجموع أما الباقي فيذهبون بدافع اليأس من الطرق العلمية أو الطبية فى علاج أمراضهم. وهؤلاء خليط من المتعلمين والأميين على السواء.

13- أفصح البحث عن أن الغالبية العظمى من المترددين، من كل المستويات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية، وتبلغ نسبتهم 98.01 % من مجموعهم الكلى يذهبون إلى أن السحر معترف به من الدين ويستندون فى تأكيد ذلك إلى أن السحر مذكور فى التوراة والإنجيل والقرآن، رغم أنهم لا يتعمقون فى كيفية ورود ذكر السحر فى الكتب السماوية، وموقف هذه الكتب من السحر بعامة، ولعلمهم يجدون فى معتقدهم هذا تبريرا كافيا للجوءهم إلى المشتغلين بالسحر، كما أن هؤلاء المشتغلين بدورهم، يقوون هذا المعتقد حتى تروج بضاعتهم.

وتؤكد النتيجة السابقة ما سبق أن ذهبنا إليه فى الجزء النظرى من اختلاط ظاهرة السحر فى مصر بالدين، واستغلال المشتغلين بالسحر فى مصر لهذه الحقيقة كى يضمنوا سهولة التأثير على الناس، وإصابة الكسب الوفير.

كما بين البحث أن هناك نسبة قليلة من المترددين تذهب إلى أن الدولة تعترف بالسحر، وتستند فى ذلك إلى أن الدولة تسمح بتداول كتب السحر، والطالع، والكويتشينة، والفنجان، وتسمع أيضا للمشتغلين بالسحر بالإعلان عن أنفسهم فى الصحف اليومية، وبعض المجلات مشفوعا بألقاب "البروفسور"، و"الدكتور" حتى يزيد تأثيرهم على الأفراد.

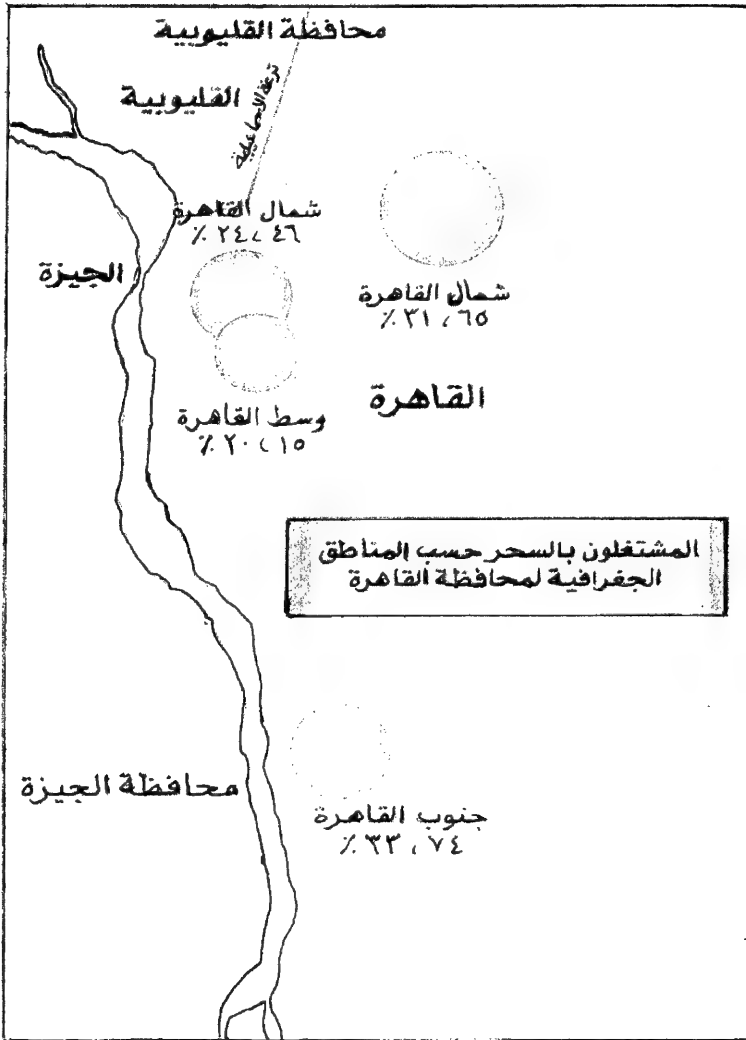
الملاحق

خريطة أحياء القاهرة



"الخريطة السحرية لمحافظة القاهرة"

(1)



"الخريطة السحرية لمحافظة القاهرة"

(2)



السحر فى القاهرة

بحث ميدانى فى مدينة عاصمية

صحيفة الاستبيان الخاصة بالمشتغلين

اسم الباحث:.....

تاريخ تطبيق الصحيفة:.....

البيانات الأساسية

1- النوع:

☐ ذكور

☐ أناث

2- السن:

3- محل الميلاد:

4- المنطقة الإدارية:

5- الديانة:

☐ مسلم

☐ مسيحي

6- المستوى التعليمي:

7- الحالة الاجتماعية:

8- التخصص:

☐ ففجان

☐ مندل

☐ كوتشينه

☐ كف

9- الدخل:

10- درجة الشهرة

☐ مشهور جدًا

☐ مشهور

☐ نصف مشهور

☐ مغمور

11- الكتب التي يستخدمها

ياترى إيه الكتب اللي بتستخدمها فى شغلك ؟

☐ القرآن

☐ الإنجيل

☐ التوراة

☐ كتب الجان

☐ كتب أخرى تذكر

12- يا ترى إيه الحاجات اللي أنت بتستخدمها فى شغلك ؟

☐ حيوانات

☐ طيور

☐ أشياء أخرى تذكر

13- ياترى أنت تطلب من الناس كلهم زى بعضهم واللا بتطلب من الفقير

حاجة ومن الغنى حاجة تانية ؟

☐ كلهم زى بعضهم

☐ من الفقير حاجة ومن الغنى حاجة

14- طب بتطلب إيه من الغنى وبتطلب إيه من الفقير؟

15- ياترى الشغلة دى شغلتك الوحيدة ولا لك شغلة ثانية؟

☐ شغلته الوحيدة

☐ له شغلة ثانية

16- ياترى الشغلة دى أنت ورثتها عن حد ولا هويتها؟

☐ ورثتها

☐ واخذها غية

17- تفكر أنت بتقدم بشغلتك دى خدمات للناس؟

☐ نعم :

☐ لا :

18- لمن أجب بنعم

إيه هى الخدمات دى ؟

19- إذ جالك واحد لمجرد التسلية وأنت عايز تقنعه أن شغلك ده ليه قيمة
تقوله إيه؟

20- تفكر أنت تقدر تعمل حاجة لوحذك ولا كله بإذن الله؟

☐ يقدر يعمل حاجة لوحده

☐ كله بإذن الله

السحر فى القاهرة

بحث ميدانى فى مدينة عاصمة

صحيفة الاستبيان الخاصة بالترددين

اسم الباحث:.....

تاريخ تطبيق الصحيفة:.....

البيانات الأساسية

1- النوع:

☐ أنثى

☐ ذكر

2- السن :

☐ أقل من 20 سنة

☐ من 20 - 30 سنة

☐ من 30 - 40 سنة

☐ من 40 - 50 سنة

☐ أكثر من 50 سنة

3- محل الميلاد:

4- محل الإقامة:

5- المنطقة الإدارية:

6- الديانة:

☐ مسلم

☐ مسيحي

7- مستوى التعليم:

☐ أمي

- ☐ يقرأ فقط
- ☐ يقرأ ويكتب
- ☐ ابتدائي
- ☐ إعدادي
- ☐ ثانوي
- ☐ جامعي
- ☐ فوق الجامعي

8- الحالة الاجتماعية:.....

- ☐ اعزب
- ☐ متزوج
- ☐ مطلق
- ☐ أرمل

9- المهنة:.....

10- الدخل:.....

- ☐ مرتب
- ☐ أجر
- ☐ دخل خارجي

الهدف من التردد

- 11- ياترى انت جاي ليه ؟
- ☐

أسباب اختيار هذا الشخص بالذات

12- ياترى أنت سمعت على فلان وفلاحة منين ؟

☐

من أقارب

☐

من أصدقاء

☐

من جيران

☐

من زملاء فى العمل

☐

من زملاء فى الدراسة

☐

من وسائل الإعلام

(الجرنان - المجلات - الإذاعة - السينما)

عدد مرات التردد

13- يا ترى دى أول مرة تيجى هنا وإلا جيت قبل كدة ؟

☐

أول مرة

☐

جيت قبل كدة

14- لمن (تردد أكثر من مرة) طيب أنت جيت كام مرة قبل كده ؟

15- طيب أنت لقيت من مجيتك هنا فائدة ؟

☐

نعم

☐

لا

16- (فى حالة نعم) إيه هى الفائدة ؟

قرب المشتغل أو بعده من المتردد

17- ياترى أنت ساكن قريب من المشتغل

☐

فى المنقطة الإدارية نفسها

☐

فى الحى نفسه

☐

فى المحافظة نفسها

☐

خارج المحافظة

18- ياترى أنت بتدفع فلوس وإلا حاجة غير الفلوس ؟

☐

فلوس

☐

أشياء أخرى

☐

لا يدفع شىء

الدافع إلى التردد

19- ياترى إيه اللى خلاك تيجى لـ..... من الأول ؟

☐

اليأس من الطرق العلمية والطبية

☐

اعتقاد دينى

☐

مجرد تسلية

☐

حب استطلاع

20- درجة الشهرة:

☐

مشهور جدًا

☐

مشهور

☐

نصف مشهور

☐

مغمور

21- تفتكر إن السحر ده شىء معترف به من

☐

الدولة

☐

ليه ؟

☐

الدين

☐

ليه ؟

مراجع الكتاب

أولاً : مراجع باللغة العربية

(أ) مراجع عامة

- 1- القرآن الكريم.
- 2- الكتاب المقدس، العهد القديم، 1948.
- 3- الكتاب المقدس، العهد الجديد، بيروت، منشورات المطبعة الكاثوليكية.
- 4- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، جزءان، 1960، 1961.
- 5- التعداد العام للسكان والإسكان 1976، الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، القاهرة، النتائج التفصيلية، مرجع رقم 93 - 1511، 1978.
- 6- قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، 1971، ط 2.
- 7- معجم العلوم الاجتماعية، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين، تصدير ومراجعة إبراهيم مذكور، القاهرة الهيئة المصرية للكتاب، 1975.
- 8- محمد فؤاد عبدالباقى، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة، مطابع الشعب، 1378 هـ.

(ب) كتب ودوريات :

- 9- إبراهيم مذكور، الخرافة، مجلة الرسالة، القاهرة، عدد 100.
- 10- ابن خلدون، المقدمة، القاهرة، المكتبة التجارية، بدون تاريخ.
- 11- أبوبكر الباقلانى، البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات، والسحر، عني بنشره ريتشارد، مكارثى، بيروت، دار صادر، 1958.

- 12- أحمد أبو زيد، تايلور، مجموع نوابغ الفكر الغربى، القاهرة، دار المعارف، 1958.
- 13- أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعبير المصرية، القاهرة، 1953.
- 14- أحمد تيمور باشا، الأمثال العامية، القاهرة، مطابع دار الكتاب العربى، 1956، ط 2.
- 15- أحمد الحوفى "ألوان من اسكتناه الغيب فى العصر الجاهلى"، الهلال، عدد يناير، 1975.
- 16- أحمد الشرباصى، حديث السحر فى القرآن، الهلال عدد يناير 1975.
- 17- أحمد الشنتتاوى، فنون السحر، القاهرة، دار المعارف، 1957.
- 18- إدوارد وليم لين، المصريون المحدثون، شمائلهم وعاداتهم، ترجمة عدلى طاهر نور القاهرة، الطبعة الأولى، 1950.
- 19- إنجليزى يتحدث عن مصر، ترجمة فاطمة المحجوب، القاهرة، دار التحرير للطباعة والنشر، سلسلة كتب للجميع، 1957.
- 20- المجتمع العربى فى العصور الوسطى، ترجمة على حسنى الخربوطلى، القاهرة الدار القومية، 1960.
- 21- أرنولد جيزل وآخرون، الحضين والطفل فى ثقافة اليوم، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، القاهرة، دار الكرنك للنشر، 1964.
- 22- البونى، شمس المعارف الكبرى، القاهرة، مطبعة محمد على صبيح.
- 23- البونى، منبع أصول الحكمة، القاهرة، مكتبة ومطبعة عباس بن شقرون 1956.
- 24- بول غليسونجى، طب وسحر، القاهرة، المكتبة الثقافية، العدد 5، الناشر مكتبة النهضة، بدون تاريخ.

- 25- ج، ج، كراونر، صلة العلم بالمجتمع، ترجمة حسن خطاب، مراجعة محمد مرسى أحمد، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، مجموعة الألف كتاب، رو(211)، ج 1، بدون تاريخ.
- 26- جيمس برستد، تطور الفكر والدين في مصر القديمة، ترجمة زكى سوس القاهرة، دار الكرنك، 1961.
- 27- جيمس فريزر، الغصن الذهبى، دراسة في السحر والدين، ترجمة أحمد أبو زيد، وآخرين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، الجزء الأول، 1971.
- 28- حسن الساعاتى، علم الاجتماع القانونى، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968، ط 3.
- 29- المسح الاجتماعى لدائرة باب الشعرية، القاهرة، جامعة عين شمس، 1961.
- 30- دى شابيروول، وصف مصر، دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين، ترجمة زهير الشايب، القاهرة، مكتبة الخانجى.
- 31- سامية حسن الساعاتى، "دور المتقفات المصرىات فى التغير الاجتماعى"، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومى للبحوث الجنائية والاجتماعية 1981.
- 32- سعد الخادم، الفن الشعبى والمعتقدات السحرية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، مجموعة الألف كتاب رقم (488)، 1964.
- 33- سيد عويس، حديث عن الثقافة، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، 1970.
- 34- الإبداع الثقافى على الطريقة المصرية، دراسة عن بعض القديسين والأولياء فى مصر، القاهرة، 1980.
- 35- سيد كريم "السحر والسحرة عند قدماء المصريين"، الهلال العدد الأول يناير، 1975.
- 36- صمويل باسيليوس، "السحر ظاهرة اجتماعية عند الشعوب المتخلفة" مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد السادس والعشرون الجزءان الأول والثانى، 1969.

- 37- عبدالرازق نوفل، التاروت وسحر هاروت وماروت، القاهرة، كتاب القاهرة، كتاب اليوم، العدد 178، يناير 1981.
- 38- عبدالفتاح الطوخي، السحر العجيب فى جلب الحبيب، القاهرة، مكتبة القاهرة، ج 1.
- 39- عبدالفتاح الطوخي، تسخير الشياطين فى وصال العاشقين، القاهرة، مكتبة القاهرة.
- 40- فوزية دياب، نمو الطفل وتنشئة، مكتبة الأسرة، 2002.
- 41- القيم والعادات الاجتماعية، بيروت، دار النهضة العربية، مكتبة الأسرة، 2003.
- 42- الفولكلور الأمريكى، تأليف 25 باحثاً من المتخصصين، ترجمة نظمي لوقا، مطبعة دار العالم العربى، 1980.
- 43- ليفى بريل، العقلية البدائية، ترجمة محمد القصاص، مراجعة حسن الساعاتى، القاهرة، مكتبة مصر، بدون تاريخ.
- 44- محمد جعفر، كتاب السحر، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1958، الطبعة الأولى.
- 45- محمد الجوهري، "التراث الشعبى: وجهة نظر محددة فى تحديد موضوعات الدراسة"، حوليات كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد الثلاثون 1968.
- 46- السحر الرسمى والسحر الشعبى، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، العدد الثانى، مايو 1970.
- 47- "الجن فى المعتقد الشعبى المصرى"، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلد التاسع، العدد الأول، يناير 1972.
- 48- علم الفولكلور، دراسة المعتقدات الشعبىة، القاهرة، دار المعارف، الجزء الثانى، الطبعة الأولى، 1980.
- 49- محمد حسنين مخلوف، المطالب القدسية فى أحكام الروح وآثارها الكونية، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي، 1963، ط 2.

- 50- محمد طلعت عيسى، دراسات في الاجتماع الريفي، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، 1960.
- 51- محمد عمر، حاضر المصريين أو سر تأخرهم، القاهرة، مطبعة المقتطف 1902.
- 52- محمد فخر الدين السبكي، مذكرات طبيب في الأرياف، القاهرة، مكتبة الآداب، 1946.
- 53- مصطفى فهمي الحكيم، أسرار الجن، القاهرة، المطبعة العصرية بمصر، 1935، ط 1.
- 54- نبيل صبحي حنا، السحر: دراسة مسيحية للسحر والسحرة والمتعاملين معهم في ضوء الكتاب المقدس، مراجعة وتقديم الأنبا غريغوريوس، القاهرة، 1974.
- 55- نجيب اسكندر إبراهيم ورشدي فام منصور، التفكير الخرافي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1962.
- 56- هيربرت ريد، تربية الذوق الفني، ترجمة يوسف ميخائيل أسعد، القاهرة، دار النهضة العربية، 1976.
- 57- وليام هاولز، ما رواه التاريخ، ترجمة أحمد أبو زيد، القاهرة دار نهضة مصر، 1965.
- 58- ويلاند د. هاند، "مخافة الأرباب": الاعتقاد الخرافي في المعتقد الشعبي الفولكلور الأمريكي، تأليف 25 باحثاً من المتخصصين، ترجمة نظمي لوقا، القاهرة، مطبعة دار العالم العربي، 1980.
- 59- يوسف بدوي، التفاؤل والتشاؤم، القاهرة، دار المعارف، 1980.
- 60- يوسف ميخائيل أسعد، السحر والتنجيم، القاهرة دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1978.

ثانياً : مراجع باللغة الإنجليزية والفرنسية

- 1- Oxford Dictionary of Sociology, (ed) Gordon Marshall, Oxford University Press, 1998.
- 2- Dictionary of Sociology. Fairchild, H. P. (edr). New Gersey. Little - field - Adams Co. 1964.
- 3- Dictionary of the Social Sciences, (eds.) Gould and Kolb, Great Britain, Tavistock Publications. 1964.
- 4- Encyclopedia Britannica, Vol. 14, 1965.
- 5- Encyclopedia of the Social Sciences, Seligman, and Johnson, A. (eds) Volumes IX - X, 1963.
- 6- Encyclopedia of Superstitions, Radford E., & Mona., London, Rider Co.. 1974.
- 7- The New Encyclopedia Britanica, in 30 vol. Vo. 1, 1975.
- 8- Aron R.. Main Currents in Sociological Thought England Penguin Books. 1965.
- 9- Blackman W.. The Fellaheen of Upper Egypt, 1929.
- 10-Castiglioni, A.. Incantation et Magie, Paris, Payot, 1951.
- 11-Cassier, E.. An Essay on Man Doubleday, Co., Inc., N. Y.. 1953.
- 12-Doutte, Edmund, Magie et Religion dans l'Afrique du Nord, Alger, 1909.

- 13-Flugel., J.C.. A Hundred Years of Psychology, London, Pelican Books. 1940.
- 14-Firth, Raymond (ed). Man and Culture, London. Routledge & Kegan Paul, 1970.
- 15-Freud. Totem and Taboo, England, Penguin Books, 1940.
- 16-Gillin and Gillin, Cultural Sociology, N. Y. Macmilan, 1954.
- 17-Hubert. H. AND Mauss M. Esquisse d'une Theorie Generale de la Magie L'Annee Sociologique, Paris. 1902 – 3 vol. VII.
- 18-Kardiner A. and Preble E., They Studied Man. Secker and Warfurg, London, 1962.
- 19-Kluckhoh. & Kelly . The Concept of Culture. In R. Linton (ed.): The Science of Man in the World Crisis. N. y. Columbia University Press, 1945.
- 20-Kretch O.. & Crutchfield. I. R., Theory and Problems of Social Psychology. N. Y.. McGraw Hill. 1948.
- 21-Malinowski, B., Magic. Science and Religion, Illionis, The Free Press. 1948.
- 22-Malinowski, B., The Dynamics of Culture Change: An Inquiry into Race Relations in Africa. (ed) Phillis M. Kaberry, New Haven. Yale University Press. 5th Printing. 1958.
- 23-Malinowski, B., Argonauts of the Western Pacific. N. y. Dutton and CO. INC.. 1961.

- 24-Muller. Max. Egyptian Mythology, London, 1942.
- 25-Pritchard. Evans. Witchcraft, Oracles and Magic among the Azandé, Oxford, 1937.
- 26-Pritchard Evans. The Nuer; A Description of the Modes of Livelihood and Political Institutions of a Nilotic People, Oxford University Press. 1940.
- 27-Rath. W. E. Superstition, Magic and Medicine, Ethnography, Vol. 121.
- 28-Russel. B.. History of Western Philosophy, London, George Allen and Unwin Ltd. 1951.
- 29-Skinner. B. F.. Science and Human Behavior, N. Y. The Macmillan Co. 1953.
- 30-Summer. William Graham, Folkways : A Study of the Sociological Importance of Usages, Manners, Customs, Mores, and Morals, N. Y., 1940.
- 31- Thorondike. Lynn.. A Short History of Civilization, 2nd edn. Appleton Century – Crofts. Inc.. N. Y.



الفهرس

الصفحة	الموضوع
7	●● الإهداء
9	●● تقديم
11	●● استهلال

القسم الأول

الناس والسحر.. الدراسة النظرية

21	●● الفصل الأول: ظاهرة السحر - لمحة تاريخية
23	* تمهيد
26	* السحر عند الكنعانيين
27	* السحر عند الكلدانيين
29	* السحر فى المجتمعات البدائية
39	* السحر عند قدماء المصريين
52	* السحر عند اليونان القدماء
53	* السحر عند الرومان القدماء
55	●● الفصل الثانى: المفهومات الأساسية والمرتبطة بالسحر
57	* تمهيد
57	* مفهوم السحر فى اللغة العربية
59	* مفهوم السحر فى القرآن الكريم والشرع الإسلامى
62	* مفهوم السحر من المنظور السوسيلوجى والأنثربولوجى والسيكلوجى

الصفحة	الموضوع
66	ثانيًا: المفهومات المرتبطة بالسحر.....
67	* الخرافة.....
87	* التفكير الخرافي.....
88	* العرافة.....
90	* الكهانة.....
90	ثالثًا: المفهومات المتعلقة ببعض الوسائل والإجراءات السحرية الهامة....
90	* التعويذة.....
91	* الحجاب.....
92	* الرقية.....
93	* العين.....
93	* الحسد.....
95	* الاستخارة.....
95	* المنديل.....
95	* الربط.....
97	●● الفصل الثالث: تصنيفات السحر - عرض تحليلي نقدي.....
99	* تمهيد.....
99	أولاً: تصنيفات السحر لدى علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع.....
99	* السحر الأسود والسحر الأبيض.....
100	* السحر التشاكلي.....
104	* السحر الاتصالي.....
107	* السحر الإيجابي والسحر السلبي.....

الموضوع	الصفحة
* السحر الرسمى والسحر الشعبى	108
* سحر التنبؤ وسحر العلاج	117
* السحر النظرى والسحر العملى	118
* سحر الإنتاج والوقاية والهدم	118
ثانيًا: السحر عند علماء المسلمين	119
* الرازى	119
* الأصفهاني	120
* ابن كثير	120
* ابن العربى والبونى	122
●● الفصل الرابع: السحر والدين	131
* تمهيد	133
* نظرية السحر والدين (فريزر)	134
* موقف اليهودية والمسيحية من السحر	138
* السحر فى الإسلام	140
* حكم السحر فى الإسلام	149
* بين السحر والمعجزة فى الإسلام	153
●● الفصل الخامس: السحر كظاهرة اجتماعية	155
* تمهيد	157
* ظاهرة السحر والعلوم الاجتماعية	161
* ظاهرة السحر والعادات الاجتماعية أو الطرق الشعبية	167
* ظاهرة السحر والتنشئة الاجتماعية	170

الموضوع	الصفحة
* الوظيفة الاجتماعية الظاهرة للسحر	174
* السحر فى سوسيولوجيا المجتمع المصرى الحديث	177
* دور ظاهرة السحر فى المجتمع المصرى	190

القسم الثانى

الناس والسحر .. البحث الميدانى

●● الفصل السادس: بحث اجتماعى ميدانى.....	201
* خطة البحث	203
* هدف البحث	203
* مجال البحث	203
* منهج البحث	205
●● الفصل السابع: المشتغلون بالسحر	207
* تمهيد	209
* بيانات أساسية عن المشتغلين	209
* نوع المشتغلين	209
* أعمار المشتغلين	210
* محل ميلاد المشتغلين	211
* المشتغلون حسب الأقسام الإدارية فى القاهرة	213
* المشتغلون حسب الديانة	218
* المشتغلون حسب مستوى التعليم	219
* المشتغلون حسب الحالة الاجتماعية	220

الموضوع	الصفحة
* المشتغلون حسب التخصص	221
* المشتغلون حسب مصادر الدخل الشهري	222
* المشتغلون حسب درجة الشهرة	223
* المشتغلون حسب الكتب المستخدمة فى المهنة	224
* المشتغلون حسب الوسائل المستخدمة فى المهنة	225
* المشتغلون حسب تنوع مطالبهم من الفقراء والأغنياء	226
* المشتغلون حسب الوراثة والهواية	228
* مدى اقتناع المشتغلين بالسحر	229
●● الفصل الثامن: المترددون على المشتغلين بالسحر	231
* تمهيد	233
* بيانات أولية عن المترددين	233
* حسب النوع	233
* حسب فئات السن	234
* حسب محل الميلاد	236
* حسب الأقسام الإدارية	238
* حسب الديانة	242
* حسب مستوى التعليم	242
* حسب الحالة الاجتماعية	244
* حسب المهنة	245
* المصادر التى عرف المترددون عن طريقها المشتغلين	247
* عدد مرات التردد	249

الصفحة	الموضوع
249	* مدى شعور المتردد بالفائدة
250	* المترددون حسب ما يدفعونه للمشتغلين
251	* الدوافع إلى التردد
252	* رأى المترددين فى اعتراف الدولة والدين بالسحر
253	●● الفصل التاسع: السحر فى مدينة القاهرة - نتائج البحث
255	* نتائج خاصة بالمشتغلين
258	* نتائج خاصة بالمترددين
265	●● الملاحق
267	* خريطة خاصة بأحياء القاهرة
268	* الخريطة السحرية رقم (1) لمحافظة القاهرة
269	* الخريطة السحرية رقم (2) لمحافظة القاهرة
271	●● صحيفة الاستبيان الخاصة بالمشتغلين بالسحر
277	●● صحيفة الاستبيان الخاصة بالمترددين (على المشتغلين بالسحر)
283	● مراجع الكتاب
291	● الفهرس

